



القضية العربية
في
السيرة الكوبية

خليفة الوقيان

القضية المربّية
الشعر الكويّتي
خليفة الوقيّات

مقدمة

لم يحظ الشعر الكويتي بقدر كاف من الدراسات التي تبرز اهم ملامحه وخصائصه وتياراته . ولربما كانت المحاولات التي بذلت في الاونة الاخيرة بدايات تاريخية لها فضل السبق ومزية الريادة ، وهذا يعني أن الميدان ما يزال فسيح الصدر ، متسع الأرجاء ، قادرا على احتضان مزيد من القادمين ، الذين ينشدون الكشف ويطمحون الى الاضافة . ويتخذ هذا البحث من الشعر القومي مادته الاساسية وموضوعه الرئيسي لعوامل عدة ، من اهمها ان القضية العربية كانت وما تزال محور الاهتمام الاكبر ، وقد احتلت بسبب من ذلك مساحة كبيرة من ديوان الشعر الكويتي ، بحيث يمكن ان يعد البحث في هذه الدائرة معالجة للشعر في اوسع اغراضه واكثرها اهمية ، فضلا عن ان تفاعل الشعر الكويتي مع احداث الوطن العربي بدأ منذ فترة مبكرة تعود الى العقد الثالث من هذا القرن ، الامر الذي يجدر تسجيله ودراسته .

وكان لا بد من البدء بتمهيد تاريخي موجز للمرحلة التي شهدت بدء ظهور شعر الفصحى في الكويت . ولا يعتمد هذا التمهيد على جهود السابقين ، وما اوشك أن يستقر من قناعاتهم ، بل يحاول ان يدلي بتصوير جديد ، مخالف في بعض جوانبه للاجتهادات السابقة .

وقد اقتضى الامر عرض الآراء التي وردت في المصادر حول الموضوع ، مع مناقشتها ومحاولة الخروج برأى مستقل معلل .

وعرض البحث لبواعث ومظاهر الوعي المبكر ، وقد اخذت بوادره في الظهور في مطلع القرن العشرين ، من خلال شيوع التذمر نتيجة توقيع معاهدة ١٨٩٩ بين بريطانيا والكويت ، وكان من أهم آثاره اقامة المجلس الاستشاري في عام ١٩٢١ . والمجلس التشريعي في عام ١٩٣٨ . ويلاحظ في هذا الصدد ان المصادر لم تتأن في عرض وتحليل احداث تلك الحقبة الدقيقة . بل كانت تعبر فوقها على عجل ، مخلفة وراءها كثيرا من التساؤلات . وكذلك لم يسلم الباحثون من الخلط بين المجلسين الاستشاري والتشريعي ، على الرغم من اختلاف طبيعتهما والظروف التي رافقت قيام كل منهما . ولعل ذلك يعود الى قلة المصادر واضطرابها في تناول الموضوع .

ويصور البحث اتساع افق التفاعل مع الاحداث العربية منذ بداية العقد الثالث من هذا القرن ، من خلال عرض نماذج موجزة تهدف الى التنبيه للغرض بأقل قدر ممكن من الشواهد ، حتى لا يترهل البحث ، ويستحيل معرضاً أو متحفاً للنصوص الطويلة ، وقد يكون في ذكر مصادر تلك الشواهد ما يرشد الراغب في الاستزادة الى النصوص الكاملة في مظانها .

ويلاحظ في هذا الصدد اهتمام الشعر بمتابعة احداث المنطقة العربية ، مع التنبيه الى مخاطر التفرق ، والحث على النضال في سبيل التحرر ، والتنديد بالاستعمار واعوانه ، والاشادة بالمناضلين ، والتعبير عن مشاعر الابتهاج بقيام الثورات التحررية ، فضلاً عن الاهتمام بالدعوة للوحدة العربية منذ فترة مبكرة ، بدأت في منتصف العقد الثالث من القرن العشرين ، وامتدت الى ما بعد وقوع نكسة الانفصال .

وكان لا بد من الاشارة للمراحل التي مرت بها القصيدة القومية منذ كانت امتدادات أو استطرادا لقصائد المناسبات الدينية والاجتماعية ، الى حين استقلالها عن المناسبة ، ثم عن الحدث المباشر ، الذي كانت تلتصق به وتمثل الاستجابة العفوية لوقوعه .

وبالنظر لاهمية القضية الفلسطينية . ولكثرة وتنوع النماذج الشعرية التي عنت بمتابعة مراحلها ، فقد اقتضى الامر افراد فصل مستقل لمعالجتها .

وقد واكب الشعر الكويتي الاحداث التي توالى منذ وقوع حادث البراق في عام ١٩٢٩ ، ونبه الى الاخطار المحدقة بفلسطين ، ودعا الى ضرورة النهوض لوقف الخطر قبل استفحاله ، واشاد بنضال الشعب العربي في فلسطين ، وبثوراته المتعاقبة ، وبخاصة ثورة ١٩٣٦ ، وخلد ذكرى الشهداء ، وندد بمن لم يؤمنوا بالقوة سبيلا الى الخلاص .

وكانت اساليب المعالجة تتأرجح بين الحماسة والتفاؤل والايمان بالامكانات العربية من جهة ، والقلق والشك والياس من جهة اخرى ، وتلك نتيجة طبيعية لتقلبات الاوضاع ، واضطراب التوقعات ، وتباين التصورات .

ويصور البحث الخصائص الفنية العامة للشعر القومي في الكويت تصويراً منصفاً بقدر الامكان ؛ اذ كان لا بد من النظر الى كثير من النماذج ، السامية في اغراضها ، والمتندنية من حيث قيمتها الفنية ، نظراً تعتمد الاعتدال والاتزان في الحكم ، دون افراط يعلي من قدرها الفني ، او تفريط يحط من قيمتها التاريخية .

والبحث لا يقف عند مرحلة معينة من تاريخ الشعر الكويتي ، ولا يقتصر على عدد محدد من الشعراء . ولكنه يسعى في سبيل رصد تيار الشعر القومي الى الاستعانة بكل ما يمكن ان يخدم هذا الغرض . وقد اقتضى الامر الاطلاع على كل ما يمكن ان تصل اليه اليد من نصوص الشعر الكويتي . وذلك بهدف انتقاء ما يتصل بالموضوع ، مع الحرص على الايجاز ، وتجنب التكرار والاكتفاء بما يرشد الى الظاهرة .

ولست املك في نهاية المطاف سوى التعبير عن بالغ الامتنان لاستاذي العالم الجليل الاستاذ الدكتور شوقي ضيف ، الذي منحني من توجيهاته ورعايته ما يسر أمامي سبل العمل .

كما لا يفوتني ان اشكر اساتذتي الكرام اعضاء لجنة الحكم على هذا البحث المقدم لنيل درجة الماجستير ؛ الاستاذ الدكتور شوقي ضيف ، والاستاذ الدكتور عبد الهادي محبوب ، والاستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد ، الذين اوصوا بطبعه على نفقة الجامعة . وقد يكون من المناسب الاشارة الى أن جامعة الكويت لم تقم بتنفيذ تلك التوصية .

والله ولي التوفيق .

الكويت في ٢٥ من ايار ١٩٧٤

خليفة عبد الله فارس الوقيان

الفصل الأول

ظهور شعر الفصحى في الكويت

(١)

حديث المصادر

في ظل بيئة فقيرة ، متخلفة ثقافيا ، يلهث السكان فيها خلف لقمة العيش التي تنتزع من بين أشداق الطبيعة انتزاعها ، علينا أن لا نتوقع ازدهار فنون التعبير ، كالشعر وغيره .

كانت تلك هي حال الكويت الى ما قبل منتصف القرن التاسع عشر ، فقسوة الطبيعة ، وندرة موارد العيش ، دفعتنا السكان الى قضاء معظم أيام السنة فوق الامواج ، بحثا عن اللؤلؤ في موسم الغوص ، أو ارتحالا الى آفاق الارض الفسيحة لنقل البضائع في موسم « السفر » .

واذا بقي ثمة اهتمام باللغة الفصحى في مثل هذه البيئة فانه يكاد ينحصر - عادة - في رجال الدين ، الذين تملي عليهم طبيعة اختصاصهم الاهتمام بالعلوم الدينية كالفقه والعلوم اللغوية كالنحو والصرف .

وفي أفضل الاحتمالات لا نستطيع أن نتوقع غير وجود عدد ضئيل من الشعراء الفقهاء ، حالت ظروف تخلف وسائل النشر دون اتصالنا بآثارهم .

وقد صور المؤرخ عبد العزيز الرشيد « ١٨٨٣-١٩٣٨ » تخلف الحركة الفكرية حينئذ بقوله « كانت الكويت من نشأتها الى ما قبل عشرين سنة غارقة في بحر الجمود ، منغمسة في حمأة التأخر ، ولا أثر للحركة العلمية والفكرية فيها »^(١) .

ربما يكون الرشيد متشائما من واقع الحركة الفكرية بالأمس ، أو انه ينظر اليها من خلال تطلعاته وأفكاره النيرة ، التي تتوق الى رؤية الواقع في حال أفضل، ولكن رأيه يؤكد - في الوقت ذاته - أن الأمر لم يكن بالصورة المرجوة ، وقد لا نتفق معه تماما في قوله انه لا أثر للحركة العلمية والفكرية الى ما قبل عشرين سنة من تأليفه « تاريخ الكويت »^(٢) ؛ ذلك أن الكويت عرفت

(١) عبد العزيز الرشيد - تاريخ الكويت - ص ٢٥٧

(٢) صدرت الطبعة الأولى من تاريخ الكويت سنة ١٩٢٦ .

قبل تلك الفترة عددا من علماء الدين وبعضا من الشعراء ، ولكن نشاطهم كان خافتا .

ولعل من المؤسف أن المصادر القديمة التي تعرضت لتاريخ الكويت ، والنشاط الفكري فيها ، لم تعن بتحقيق بداية عهدها بالشعر . بل اكتفت بذكر بعض الشعراء واستشهدت بنماذج من آثارهم . وهذا ما فعله الرشيد ، الذي يُعدُّ المؤرخ الكويتي الاول ، حين بدأ الكلام عن معاصريه مثل صقر الشبيب ، خالد الفرج ، أحمد خالد المشارى ، مساعد الرفاعي ، حجي قاسم الحجبي ، أحمد البشر ومنهم من لا يزال على قيد الحياة .

وأمام ندرة المعلومات المتصلة ببداية عهد الكويت بشعر الفصحى ، لا بد من المرور على أهم المصادر المحلية من كتب التاريخ والصحف وغيرها ، لعلنا نخرج بتحديد للبداية يقترب من الواقع .

يبدو أن عبد العزيز الرشيد لم يكن مقتنعا بوجود شاعر كويتي قبل عبد الله الفرج « ١٨٣٦-١٩٠١ » وان كان أغفل ذكره في تاريخه ، فقد بدأ بالكلام عنه في مجلته « الكويت » الصادرة في عام ١٩٢٨ ، وترجم لحياته في أربعة أعداد .

ويلى الرشيد من حيث الأهمية الشيخ يوسف بن عيسى القناعي « ١٨٧٨-١٩٧٣ » ، وهو أحد المهتمين بشؤون الثقافة ، ومن خلال تصفح كتابه « صفحات من تاريخ الكويت » ، نجد أنه يفرد صفحات قليلة للحديث عن الشعر ، ومما قال في مقدمة حديثه إن عبد العزيز الرشيد تكلم عن « شعراء الكويت وادبائها ، فلا حاجة لاعادة ذكرهم ، وإنما أراه ترك عددا من شعراء الكويت لهم المحل الأرفع ، ولم يذكرهم في تاريخه ، واليك البيان عنهم »^(١) . يتضح من هذا القول أن الشيخ يوسف يتفق مع الرشيد حول من ذكرهم ولكنه يستدرك عليه ذاكرة من فاتته الإشارة إليهم . وحين نستعرض أسماء هؤلاء الشعراء نجد انهم أربعة . وهم :
عبد الله الفرج ، وحمود الناصر البدر ، ومحمد الفوزان ، والسيد عبد المحسن السيد عبد اللطيف الطباطبائي .

(١) يوسف بن عيسى القناعي : صفحات من تاريخ الكويت ص ٤٨

والذي يلاحظ أن حمود الناصر البدر ومحمد الفوزان والسيد عبد المحسن الطباطبائي من شعراء البط الدين لا تعينا دراستهم . وإن كان للأخير منهم بعض قصائد في الفصحى لم تصل الى أيدينا ، أما عبد الله الفرج فكان أسبقهم في الظهور ، أى انه أقدم شاعر تعرض له الشيخ يوسف ، وكأنه بذلك يتفق مع عبد العزيز الرشيد في البدء به .

وتترك هذين المؤرخين المتقدمين الى المؤرخين والكتاب المحدثين وعندئذ نلتقي بـ « عبد الله الحاتم » في كتابه « من هنا بدأت الكويت » ، والكتاب يعرض لأوائل الكويتيين في كل اختصاص أو فن ، مثل :

أول أمير ، أول قاض ، أول فلكي ، أول طيار ، وهكذا ، ولكن المؤلف حين أراد الكلام عن أول شاعر اختار صقر الشبيب ، الذي توفي في عام ١٩٦٣ ، على انه الشاعر الأكبر ، لا على أساس انه أول شاعر ، وبهذا أغفل البحث فيمن يمكن أن يُعدَّ أول شاعر عرفته الكويت .

وخلال كلامه عن أول شاعرة ، ذكر الشاعرة « ماضي العبدى »^(١) ، التي رثت ابنها محمداً ، وهو أحد قتلى معركة الصريف في عام ١٩٠١ ، والشاعرة ممن ينظمون الشعر النبطي ، الذي لا يعنينا في البحث ، كما اننا نعرف من شعراء النبط من هم أقدم منها عهداً .

وإذا كان « راشد الفرحان » أغفل التعرض للحياة الفكرية في كتابه « مختصر تاريخ الكويت » ، فقد اكتفى « سيف مرزوق الشملان » في كتابه « من تاريخ الكويت » بذكر قصيدتين للشاعر صقر الشبيب في مدح محمد بن شملان أحد رجالات الكويت^(٢) .

ولم تعر الكتب التاريخية الاخرى الموضوع اهتماماً ، اذ عنت بجانب السياسي فحسب .

وحين نتجاوز المؤلفات التاريخية الى غيرها ، فسوف نلتقي بكتاب الشيخ أحمد الشرباصي « أيام الكويت » وقد أفرد المؤلف فصلاً ترجم فيه لعدد من

(١) عبد الله الحاتم - من هنا بدأت الكويت ص ٩١

(٢) سيف مرزوق الشملان - من تاريخ الكويت ص ٣٥٠ و ٣٥٦

شعراء الكويت وأورد نماذج من أشعارهم ، ولكنه لم يعن - كسابقه - بتحقيق بداية عهد الكويت بالشعر .

ومثله فعل فاضل خلف في أحاديثه الاذاعية عن بعض الشعراء ، التي ضمها فيما بعد كتابه « دراسات كويتية » .

وحين نتصفح كتابات الصحف الكويتية القديمة مثل الكويت والبعثة وكاظمة والبعث والايمان والرائد ، فسوف نتبين أنها لم تهتم بتحقيق بدء ظهور شعر الفصحى .

ولعل المقالة التي نشرها خالد سليمان العدساني في « سجل الكويت اليوم » سنة ١٩٥٦ هي الاولى من نوعها ، سن حيث دقتها وشمولها ، فقد رجع ببداية الحركة الفكرية الى مطلع القرن العشرين ، وأعاد الفضل الى العلماء الذين زاروا الكويت في مستهل ذلك القرن ، مثل الشيخ رشيد رضا صاحب المنار ، والشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبه^(١) .

وتبقى ثمة اشارة عابرة لأحد الشعراء المتقدمين ، نشرت في مجلة البعثة الكويتية بتوقيع « شرقاوى » تكلم فيها عن الشاعر عبد الجليل الطباطبائي قائلاً « اذا كنا نترجمه على أنه كويتي ، فقد كانت الكويت مثواه الأخير واختياره وترك بها أهلاً وولداً وصهراً »^(٢) .

وبعد هذه الاشارة الخاطفة التي لا تجزم باعتبار عبد الجليل الطباطبائي شاعراً كويتياً ، نلاحظ أن المصادر سكنت عن التعرض لهذا الموضوع ، وبقي بدء عبد العزيز الرشيد بعبد الله الفرج خلال حديثه عن أعلام الشعر في الكويت ، وكذلك اشارة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي اليه بمثابة اعتراف بكونه أول شاعر عرفته البلاد .

وفي كانون الثاني ١٩٦٧ نشر خالد سعود الزيد في مجلة « البيان » الكويتية مقالة ، عن عبد الجليل الطباطبائي ، ضمها فيما بعد كتابه القيم « ادباء الكويت في قرنين » وبذلك يكون خالد أول من جزم باعتبار عبد الجليل الشاعر الكويتي الأول ،

(١) سجل الكويت اليوم ١٩٥٦ - ادباء الكويت في قرنين ٢٦٤/١ ط ٢

(٢) مجلة البعثة - آذار - ١٩٤٩ - تبين أن كاتب المقالة هو الاديب محمد ملا حسين

كما أنه أكد هذا الرأي في دراسته عن تاريخ الحركة الفكرية في الكويت التي جاءت ضمن كتابه آنف الذكر .

وقد تتبع المؤلف مراحل حياة عبد الجليل منذ ولد في البصرة سنة ١٧٧٦ حتى غادر البحرين الى الكويت في عام ١٨٣٤ ، كما تكلم عن نفسيته وشاعريته ، وذكر نماذج من شعره . أما دوره حين استقر في الكويت فقال عنه « لذلك كان مجيء عبد الجليل فاتحة خير للمواهب الأدبية التي لم تفتح ، أو التي هي في سبيلها الى أن تفتح وتنطلق لتحقيق وجود أدبي ، كان من قبل عدما أو ما يشبه العدم فبرزت وجوه أدبية في فترة وجوده ، وبعدها بقليل ، كان لها فضل السبق في وضع بذرة الأدب والفكر »^(١) .

ويتضح من هذا القول أن خالدا يضيف الفضل في وضع بذرة الأدب في الكويت الى المواهب التي تفتحت خلال وجود عبد الجليل وبعدها بقليل ، أي أنه - كما يبدو - لا يحزم بإضافة الفضل اليه ، بقدر ما يعده فاتحة خير لتلك المواهب التي كان لها « فضل السبق في وضع بذرة الادب والفكر » .

وجاءت السيدة عواطف العذبي من خلال رسالتها عن الشعر الكويتي لتتوسع في بيان تأثير ذلك الشاعر ، بحيث سمته رائد حركة الاحياء في الشعر الكويتي. وعلى الرغم من قولها انه « يبدو للوهلة الاولى أن في اقحام اسمه في تاريخ الشعر الكويتي الحديث كثيرا من التعسف ومجانبة المنهج العلمي السليم »^(٢) ، الا انها بررت ذلك بقولها « ولكننا نحسب أن نوضح منذ البداية أن اهتمامنا به يعود الى اعتبارات فنية تتصل بما يعرف من أنه كان رائد النهضة الثقافية في الكويت »^(٣) .

ولتأكيد هذه القناعة ذهبت الباحثة الى القول انه « على الرغم من قصر الفترة التي قضاها الطباطبائي في الكويت ، فانها كانت فترة تحول خطير في حياة هذه « الأمة »^(٤) ، اذا استطاع هذا العالم بفضل ثقافته الدينية واللغوية الواسعة أن يحدث تطورا في ثقافة الناس وأذواقهم ، حملهم على العناية بألوان

(١) ادباء الكويت في قرنين ٣٥/١ ط ٢ .

(٢) الشعر الكويتي الحديث ص ٤٥

(٣) المصدر السابق ص ٤٥

(٤) عدلت كلمة « الأمة » في النسخة المطبوعة بعد وفاة المؤلفة فأصبحت « الشعب »

من المعارف القديمة التي لم يكونوا يعرفون عنها شيئا واضحا من قبل^(١) .
 وأشار الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد في دراسته عن الشعر الكويتي
 الى «أن الطباطبائي شاعر عراقي ، وفد على الكويت في منتصف القرن التاسع عشر
 ١٨٤٣ م» . ولم يمكث بها سوى عشر سنوات ، غير أنه استطاع على الرغم من
 غربته عن هذه البيئة ، وقصر المدة التي عاشها فيها أن يلفت بعض ابنائها
 إلى الشعر القديم في لغته الصحيحة . وأن يحمل فريقاً منهم على اصطناع هذه
 اللغة الفصحى في أشعارهم^(٢) .

وبعد فقد يكون من المناسب أن نتعرض لحياة ذلك الشاعر ، مع بيان حقيقة
 الدور الذي قام به . وذلك بعد أن أخذ الدارسون ينسبونه الى الكويت . وربما
 اسرف بعضهم في بيان دوره وتأثيره فيمن جاءوا بعده . على نحو ما نجد
 عند السيدة عواطف .

(١) المصدر السابق ص ٤٤

(٢) مجلة البيان الكويتية - تشرين اول ١٩٧١

(٢)

عبد الجليل البصري « الطباطبائي »

تشير معظم المصادر العراقية التي اتصلنا بها الى أن اسم الشاعر هو « السيد عبد الجليل البصري » نسبة الى مدينة البصرة التي ولد فيها ، ويتفق معها في هذه التسمية صاحب فهرس الأعلام^(١) . وصاحب أعيان القرن الثالث عشر^(٢) ، وغيرهما .

ولربما اشير اليه احيانا باسم « السيد عبد الجليل » كما جاء في « تاريخ الكويت » و « صفحات من تاريخ الكويت » و « من هنا بدأت الكويت » ، وكذلك في ديوانه طبعة بومباي ، وطبعة البحرين ، وطبعة دمشق .

أما اسمه الكامل فهو : السيد عبد الجليل بن السيد ياسين بن ابراهيم ابن طه بن خليل بن صفى الدين بنبه الطباطبائي الحسني .

وتجمع المصادر على أنه ولد سنة ١٧٧٦ في البصرة ، ولا يخالفها سوى كاتب مقدمة ديوانه الذي طبع على نفقة حاكم قطر ، حيث يذكر انه « ولد في قرية الزبارة »^(٣) وهي إحدى قرى قطر .

وجاء في « تاريخ الأدب العربي في العراق » أنه « أخذ العلم عن فضلاء البصرة ، وبرع وساد ، وأجاد في النظم والنثر ، وكانت له مراسلات مع الشيخ عبد الحميد بن القاضي عبد الله الرحبي ، والشيخ عثمان بن سند البصري . . . كما كانت له علاقة أدبية مع ادباء نجد والحجاز والبحرين »^(٤) .

واستشهد مؤلف « الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر » بعبد الجليل على انه الشاعر العراقي الوحيد الذي انفرد بتمجيد الوهابيين ، كما

(١) خير الدين الزركلي - فهرس الأعلام ٤/٩٤

(٢) خليل مروم بك - أعيان القرن الثالث عشر ص ١٧٨

(٣) روض الخل والخليل - ديوان السيد عبد الجليل - ص ج . طبعة حكومة قطر

(٤) عباس العزاوي - الادب العربي في العراق - ٢/٢٣٥

أشار الى أنه أحد الشعراء العراقيين الذين امتدحوا داود باشا^(١) والي بغداد .
أما مؤلف الشعر العراقي - أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ،
فقد عدّه نموذجاً يمثل الاقليمية الضيقة التي كان يعيشها شعراء العراق في
القرن التاسع عشر - حسب رأيه - واستشهد بقوله :

العيشُ طابَ وأسفرت أيامُهُ بلوغ غايات المُنَى والمقصِدِ
سلطاناً عبد المجيد ومن له الـ بأس الشديد وكلُّ مجد أتلد^(٢)

وإذا ما اتجهنا الى قطر فسوف نرى القطريين ينظرون اليه واحداً من
شعرائهم ؛ اذ جاء في مقدمة ديوانه « هذا ديوان السيد عبد الجليل الطباطبائي
القطري الموطن . . . وصاحب الديوان من شعراء البادية . . . ولد في قرية
الزبارة وعاش فيها ردحا من الزمن ، وتزوج فيها زوجة أحبها وأحبته . . .
ثم تعرضت الزبارة لاعتداء عن طريق البحر فرحل فيمن رحلوا ، وسكن
العراق الجنوبي فترة من الزمن ، وقاسى في تلك الفترة مرارة الفراق وضیعة
الحال ، فتغنّى بالشعر في ذكر أحبابه ، حيث يقول :

ففارقت طيبَ العيش بعد فراقها ولا ساغ لي يوماً لذیذُ المشارب^(٣)

وذكر محب الدين الخطيب ، خلال عرضه لسيرة حياته أنه « عندما كان
في السابعة والعشرين من عمره ، كان متوطناً بلدة الزبارة من شبه جزيرة
قطر ، واتفق ان تغيب عنها في الشمال لتعهد مصالح له ، وترك في بيته بقطر
أهله وولده فوقع عليهم الحصار من سلطان بن سعيد امام عمان^(٤) . ويقول
الشاعر مشيراً الى تعلقه بالزبارة :

هواي « زباري » ولستُ بكاتمٍ هواي ولا مُصغٍ للاحٍ وعاتبٍ

والحصار الذي تعرضت له الزبارة كان عن طريق البحر في عام ١٢١٧ هـ .
١٨٠٢ م . وهي الفترة التي ذكر محب الدين الخطيب أن الشاعر كان متغيباً

(١) د . ابراهيم الوائلي - الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٤٢ و ٢٣٣

(٢) د . يوسف عز الدين - الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ص ٤٧

(٣) د . هـ ص . ح . ضمة قطر

(٤) المصدر السابق ص : ر

فيها لتعهد مصالح له في الشمال ، ويقصد العراق ، ذلك أن عبد الجليل كان كثير التردد على العراق لرعاية أملاك عائلته . ويتبين من هذا القول أنه استوطن الزبارة قبل عام ١٢١٧ هـ ١٨٠٢ م ، وبعد انتهاء الحصار عاد الى الزبارة ثانية ، وبقي فيها الى أن احتلها القائد السعودي سليمان بن طوق سنة ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩ م ، اذ أخذه أسيرا مع امرائها وأعيانها الى سعود بن عبد العزيز امام الدرعية . وفي عام ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م ارتحل الى البحرين مع من غادروا الزبارة بعد أن عفت معالمها وأمت اطلالها^(١) .

وفي البحرين بقي الشاعر حتى عام ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م ، وعين كاتباً لحكومتها ومثلها « في المؤتمر الذي عقد بين امارات الخليج العربي وبريطانيا في « الشارقة » عام ١٢٣٥ هـ ، ١٨٢٠ م ، ووقع نيابة عن الشيخ سلمان بن أحمد والشيخ عبد الله بن أحمد شبيخي البحرين معاهدات الصلح المشترك بين بريطانيا وامارات الخليج العربي »^(٢) .

وطاب له المقام في البحرين فكث فيها الى أن حدث الشقاق بين امرائها في عام ١٢٥٨ هـ ، ١٨٤٢ م وعندئذ اضطر الى الهرب منها ، حيث توجه الى الكويت ، واتخذها منذ ذلك الحين مقراً لسكناه .

ولعل المدة التي قضاها في البحرين ، والمنصب الكبير الذي تولاه ، مما يميز للبحرين أن تدعى نسبه اليها ، كما فعلت العراق ، خاصة أن تاريخ قطر والبحرين يمكن أن يعدّ تاريخاً واحداً متصلاً ، كما أن آل خليفة الذين حكموا الزبارة هم الذين حكموا البحرين ، وبهذا يمكن اعتبار مدة اقامته في الزبارة والبحرين واحدة ، وهي مدة طويلة تمتد من قبل عام ١٢١٧ هـ . ١٨٠٢ م الى ١٢٥٨ هـ ، ١٨٤٢ م .

ويبدو من تتبع مراحل حياة الشاعر قبل وصوله الكويت ، ومن خلال الاطلاع على أشعاره ورسائله الثرية وما كتب عنه أنه كان كثير الصلات محباً للشهرة .

(١) ديوانه ص : ١ طبعة البحرين . انظر ايضاً : الشيخ محمد خليفة النباهي التحفة النباهية في تاريخ الجزيرة العربية ١٣٢/٦

(٢) ادباء الكويت في قرين ٤٤/١ ط ٢ - وجاء في مقدمة ديوانه طبعة البحرين أن المؤتمر عقد في رأس الخيمة عام ١٨٢٠ م - ١٢٣٦ هـ .

ويعده ديوانه سجلا حافلا لحياته ، بما ضم من مدائح ومساجلات ومراسلات ، مع الامراء والولاة والأعيان ورجال الدين والعلماء ، في العراق ونجد والحجاز والاحساء والبحرين وعمان والشام .

أما في العراق فكان وثيق الصلة بالوالي داود باشا والوالي علي باشا ومحمد أفندي بن علي أفندي معاون والي بغداد ، وبكل من القاضي عبد القادر صبغة الله الحيدري والسيد ياسين الخطيب البغدادي ، وبالشاعرين صالح التميمي وعبد الباقي العمري .

وفي نجد توطدت علاقته بالامام سعود بن عبد العزيز وفيصل بن تركي وبالقائد سليمان بن طوق .

وفي الحجاز كانت له صلات ومراسلات مع الشريف محمد بن عون والي الحجاز والسيد حسين نقيب السادة ، وبكل من محمد أمين الزيلهلي وعبد الله سراج ومحمد بن زيني الشيبلي .

واتصل في الاحساء بالامير أحمد السديري ، وعبد الله بن محمد الاحسائي، ومحمد بن علي البغلي ، وابن عتيق الاحسائي ، وعبد الله ابن عثمان بن غريب .

وفي البحرين كان وثيق الصلة بالشيخ أحمد بن سلمان الخليفة ، والشيخ سلمان بن أحمد الخليفة ، والشيخ عبد الله بن أحمد الخليفة وغيرهم . وكانت له مدائح في امام عمان ، ومحاورات مع شاعر الشام بطرس كرامه .

وبلغ به حب الشهرة واحتراف المديح حدا دفعه الى ارسال قصيدة الى أحد شاهات العجم ، لتتوب عنه في تمجيده ، وكان يكلف في بعض الأحيان بنظم قصائد المديح ، كما كان ينظم نيابة عن غيره ، كما فعل حين كتب جوابا على قصيدة وردت من الشاعر عبد الله بن عباس الصنعاني - ابن عم امام صنعاء - الى أحد أصدقائه ، فطلب ذلك الصديق منه أن ينظم نيابة عنه ردا عليها ، ففعل .

ومن طريف ما يدل على احترافه نظم الشعر أنه كتب مرة قصيدة

لأحد الشحاذين ليتكسب بها ، استجابة لطلب منه .
وبعد هذا كله نبحت في ديوانه عن اسم الكويت ، أو اسم أحد امرائها
أو الأحداث التي جرت خلال اقامته فيها ، أو قبل مجيئه إليها فلا نجد
شيئا من ذلك .

لقد قضى الشاعر فترة الخصب والعطاء من حياته متنقلا بين العراق
وقطر والبحرين ، لذا عدّ شاعرا عراقيا في العراق ، وقطريا أو بحرانيا في
قطر والبحرين وحيثما بلغ من العمر مرحلة الشيخوخة والهرم^(١) ، وجفت
ينابيعه ، أحس بالحاجة الى الاستقرار والراحة والابتعاد عن الأجواء
السياسية المتقلبة ، وعندئذ هداه تفكيره الى البحث عن بقعة ينعم فيها
بالهدوء ، فاختار الكويت ليقضي على ترابها البقية الباقية من عمره
الحافل بالتطواف .

ويتضح من رسالته الى أمير الاحساء أنه لجأ الى الحيلة كي يفر من
البحرين ولولا نشوب الفتنة لما فارقها ، يقول « وبعدما أوقع الله بين ولاية
البحرين ، وصاروا صفين في صفين ، وفارقها من هو في صدق الاخاء والوفاء بطين ،
وفرّ منها كل هجّان وهجين ، اخترت منها النقلة ، وان كانت مثلة ،
وأعملت سفينة الرحالة فمنعني ولائها عن الارتحال ، ولم أفلت منهم الا
بنوع من الاحتيال ، حرصا على اقامتي فيهم فاواخيهم ، ثم انني
اتخذت الكويت دار اقامة »^(٢) .

ولم تمدنا المصادر الكويتية أو غير الكويتية القديمة بمعلومات كافية عن
طبيعة أثر عبد الجليل في الشعر الكويتي ولعل ما قيل في هذا الجانب لا
يجاوز ما جاء في « ادباء الكويت في قرنين » من أن مجيئه كان فاتحة خير
للمواهب الأدبية التي لم تفتح أو التي هي في سبيلها الى أن تفتح . وفيما عدا
ذلك فان دوره لم يجاوز تبصير الناس بما يشكل عليهم من أمور الدين .

وهذا لا يعني أنه كان مجهولا لدى المؤرخين الأوائل ، فقد ذكره عبد العزيز

(١) كان عبد الجليل في نحو السبعين من عمره حين اتخذت الكويت مقرا لسكناء .

(٢) ديوانه - ص ٢٦ طبعة قطر .

الرشيد خلال حديثه عن أهمية القهوة ، وسرد قصة ذهابه مع الشيخ عثمان ابن سند الى الشيخ حمود التامر الشيبجي ، شيخ المنتفق على شاطئ الفرات ، حيث دارت بين الاثنين مساجلة طريفة حول القهوة^(١) .

وذكره عبد الله النورى على أنه أحد العلماء الذين كانوا يؤمنون الناس ؛ وذلك في قوله « ولم تخل الكويت منذ وجدت من عالم يؤمن الناس . ويرشدهم الى ما ينفعهم في دينهم ، ويصلح أحوال مجتمعهم وذكر من هؤلاء العلماء محمد بن فيروز ، الذى تولى القضاء والسيد عبد الجليل^(٢) . أما عبد الله الحاتم فأشار اليه ، خلال عرضه لحياة رحمة بن جابر ، على أنه من أعيان الزبارة^(٣) .

ومن خلال الاطلاع على ديوانه يتبين أن الفترة التي قضاها في الكويت كانت مجدبة بالقياس الى ما سبقها ، يضاف الى ذلك أن ماكتبه بعد انتقاله الى الكويت كان امتدادا لعلاقاته السابقة قبل مجيئه اليها ، ومثال ذلك قصيدته التي أرسلها في عام ١٢٦١ هـ ١٨٤٥ م الى أمير الاحساء أحمد السديري ، وقصيدته الأخرى التي بعث بها في عام ١٢٦٥ هـ ١٨٤٩ م الى الأديب المكّي عبد اللطيف الصحاف .

ولعل الكويت كانت خلال تلك الفترة في حال من التخلف ، لا تناسب ما ألفه في البيئات الأخرى التي قضى في ظلها جلّ حياته ، لذا لا نجد من الاخبار ما يكفي لبيان طبيعة وحجم الدور الذى قام به .

ويبدو أن عواطف العذبي التي أبدت خالد سعود الزيد في اعتبار عبد الجليل الطباطبائي أول شاعر كويتي أسرفت في بيان أثره ، اذ سمته رائد حركة الاحياء الشعري ، ورائد النهضة الثقافية في الكويت ، وبنت على هذا الأساس قناعات ونتائج تفتقر الى الدليل .

فقد ذكرت أنه « على الرغم من قصر الفترة التي قضاها الطباطبائي في الكويت ، فانها كانت فترة تحول خطير في حياة هذه « الأمة » اذ استطاع

(١) تاريخ الكويت ص ٢٧٣

(٢) عبد الله النورى : قصة التعليم في الكويت ص ١٧ و ١٨

(٣) من هنا بدأت الكويت - ص ٤٥ انهمس .

هذا العالم بفضل ثقافته الدينية واللغوية الواسعة أن يحدث تطورا في ثقافة الناس وأذواقهم ، حملهم على العناية بألوان المعارف القديمة التي لم يكونوا يعرفون عنها شيئا واضحا من قبل «^(١) .

من المسلم به أن الحياة الفكرية في الكويت كانت متخلفة أيام الطبائبي ، ولكن ذلك لا يعني أن الناس لم يكونوا يعرفون عن المعارف القديمة ، من دينية ولغوية شيئا واضحا من قبل .

وإذا ما سلمنا بأنه تصدى لتبصير الناس بامور دينهم لفترة وجيزة، فلا بد من التنويه بان الكويت عرفت قبل مجيئه جمهرة من العلماء الذين تولوا شئون القضاء.ومن المتوقع أن يكون لهؤلاء العلماء أثر في تبصير الناس بشؤون دينهم ، وحملهم على العناية بألوان المعارف القديمة . وكان من أوائل هؤلاء العلماء القاضي محمد بن فيروز الذي توفي في الكويت سنة ١١٣٥ هـ - ١٧٢٢ م^(٢) ، أى قبل وفاة عبد الجليل بأكثر من مائة وثلاثين عاما ، ذلك أن عبد الجليل توفي في عام ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ م.

ومحمد بن فيروز الذى نقصد هو غير محمد بن عبد الله بن فيروز الذى ذكر صاحب سبائك المسجد أنه توفي في سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م^(٣) ، والأخير منهما هو الذى أجاز عبد الجليل في ارجوزته التي وجهها اليه في عام ١٢١١ هـ - ١٧٩٦ م^(٤) .

ردا على طلبه الاجازة . وفي ذلك يقول :

<p>يوم الخميس ما هنا من مُنْتَظَمٍ مع مائتين بعد ألف حُرّاً أزكى الورى طراً بغير مِرْبِيَةٍ</p>	<p>في خمسة من قبلها عشرون تمّ من شهر شعبان لحادي عَشْراً من السنين أي سنين هجرة</p>
---	---

(١) الشعر الكويتي الحديث ص ٤٤

(٢) انظر : قمة التعليم في الكويت ص : ١٨ و ١٥ - صفحات من تاريخ الكويت ص ٣٣ - من هنا بدأت الكويت

ص ١٧ ، تاريخ الكويت ص : ٧٦

(٣) عثمان بن سند البصري : سبائك المسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد ص ٩٩

(٤) ديوانه ص ٩١ طبعة بومباي . ص ١٠٥ طبعة دمشق . ص ٢٩٨ طبعة قطر

وذكر تاريخ الاجازة في مقدمة الديوان أيضا^(١) .

واعتبرت السيدة غواطف الشاعر عبد الجليل استاذاً لمن جاء بعده ، وأشارت في غير موضوع الى الشاعر عبد الله الفرج على انه تلميذه^(٢) . وفي بداية كلامها عن عبد الله الفرج بينت أن المصدرين اللذين تعرضا لحياته هما « مجلة الكويت » والمقدمة التي كتبها خالد الفرج لديوانه النبطي ، ولدى مراجعة هاتين الدراستين لا نجد أية اشارة الى اتصال عبد الله الفرج بعبد الجليل ، أو أية اشارة الى اسم عبد الجليل . وكذلك الحال مع المصادر الاخرى التي تناولت حياة الشاعر الفرج . ومن المعلوم أن عبد الله الفرج « ولد في الكويت سنة ١٢٥٢ هـ - ١٨٣٦ م ونشأ في بومباي الهند في أحضان والده . حيث الثروة والرفاهية والنعيم ، لأنه وحيد أبيه ، وتلقى دروسه في المدارس الهندية ، وتعلم العربية على اساتذة خصوصيين هناك »^(٣) وإذا ما علمنا أن والده توفي سنة ١٢٧٠ هـ ١٨٥٣ م ، فلا بد أن يكون غادر الكويت الى الهند قبل هذا التاريخ حتى يصح بقاؤه في حضن والده هناك .

وحين نعلم أن عبد الجليل انتقل الى الكويت في عام ١٢٥٩ هـ - ١٨٤٣ م ، أي حين كان عبد الله في السابعة من عمره ، فاننا نستبعد أن يكون التقى به بل لعله غادر الكويت الى الهند قبل وصول عبد الجليل .

ومن جهة اخرى نرى أن آثار عبد الله الفرج ، سواء في الشعر النبطي أو الفصحى تدل على صلته الواسعة بالأدب العربي ، كما أن تأثير اتصاله بالشعر العربي لم يقتصر على قصائده الفصيحة ، بل تعداها الى النبطية حيث نلمس في لغته اقتراباً من الفصحى في مثل قوله :

ألا انعمُ أيها المعهود واسلم مدى الأيام ما ناحت حَمَامَةٌ^(٤)

(١) ديوانه ص : د طبعة البحرين - وقد نفت السيدة غواطف وجود تاريخ الاجازة في الارجورة أو في مقدمة الديوان

(٢) الشعر الكويتي الحديث ص ٨٣-٨٨-٩٢

(٣) ديوان عبد الله الفرج ص ٢٨٨

(٤) ديوان عبد الله الفرج ص ١٣٣

وقوله :

هل الدار الا خافيات رسومها وهل شاخص في الحي إلا رسومها^(١)

والمفردات هنا فصيحة لا تحتاج الى تفسير ، يضاف الى ذلك أنه نظم المثال الأول من بحر الوافر ، والمثال الثاني من بحر الطويل .
ونلاحظ أيضا آثار اطلاعه في مثل قوله :

يَدْبَتْهُ كَمَا يَنْدِبُ بِالْأَشْعَارِ « طَرْفَهُ » مَرَابِيعِ « حَوْلَهُ » حَيْثُ قَلْبِي لَهُمْ صَافٍ
وَبِي هَيْمَةٍ « الْمَجْنُونِ » « بِالْعَامِرَةِ » وَبِي عِبْرَةٍ « الْخَسَا » عَلَى « صَخْرَهَا » الْعَافِي^(٢)
وقد يلجأ الى تضمين أبياته النبطية بعض المعاني الواردة في الشعر
الجاهلي كقوله :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ضَعَائِنِ تَرَامَتْ عَلَى الْيَدَا سَهِيلَ يَوْمُهَا^(٣)

يَفْرَحُ حَبَائِي الْمَاءِ حِزْوْمَهَا بِهَا كَمَا وَضَفَ عَوَامٌ عَلَيْهَا يَوْمُهَا^(٤)

ونخرج من ذلك الى أن عبد الله الفرّج اتصل بمنابع الأدب العربي دون أن يلجأ الى وساطة عبد الجليل التي لم تثبت تاريخيا . وهذا يعني أن معاصريه أيضا وصلوا من حيث المستوى الثقافي الى حد يتيح لهم التعرف على تلك المنابع .

وقد قصدنا من هذا التفصيل الى مناقشة الآراء التي توسعت في بيان تأثير عبد الجليل في الحياة الفكرية ، والشعر خاصة ، وعدّت ذلك مبررا لاضافته الى تاريخ الشعر الكويتي ، والتنويه بدوره الرائد . ان هذا التأثير لو وجد لكان - تجاوزا - المبرر الأوحّد لنسبته الى الكويت ، واعتباره واحدا من شعرائها ، على الرغم مما في ذلك الرأي من تعسف ظاهر .

(١) المصدر السابق ص ١٢٧

(٢) المصدر السابق ص ٨٩

(٣) صمّن هذا البيت شطرا من قول زهير في معلقته :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ضَعَائِنِ
تَحْمِلُنَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جَرْنِمْ
مع تسهيل همزة ضعائن .

(٤) ديوان عبد الله الفرّج ص ١٢٧ ط ٢ - وبلاحظ أنه أخذ المعنى من قول طرفة في معلقته .
يشق حجاب الماء حيزومها بها
كما قسم التراب المقابل باليد

وحيث أن الشاعر ولد في العراق ، وعاش مراحل حياته الخصبة متنقلا ما بين العراق وقطر والبحرين . فان نسبته الى تلك الأقطار أو الى واحد منها ستكون أصدق من نسبته الى الكويت .

لذا يجدر عند الرغبة في الكلام عن الرواد الأوائل للشعر في الكويت، أن نبحث عن عاشوا فيها فترة كافية لأن تظهر تأثيرهم فيمن اتصلوا بهم أو جاؤوا بعدهم .

وعلى الرغم من أن عبد الجليل كان شاعرا عربيا معروفا لدى الكويتيين ، فقد عرفوا معه عددا آخر من مشاهير عصره ، وهو بذلك يشبه حال من كانوا يكثررون التردد على الكويت ، أو يطيلون الإقامة فيها أحيانا ، وقد عرفت البلاد في تلك الفترة عددا من الشعراء ، نذكر منهم شاعر العراق الكبير عبد الغفار الأخرس ، وهو معاصر للطباطبائي ، وكان كثير التردد على الكويت ، بل لعل صلاته بأهلها تجاوزت صلات عبد الجليل ، ونلمس ذلك في مدائحه لبعض أعيانها كقوله في مدح يوسف البدر ويوسف الصبيح :

إِنَّ الْكُوَيْتَ حَمَاهَا اللَّهُ قَدْ بَلَغَتْ بِالْيُوسُفَيْنِ مَكَانَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ^(١)

و يجدر التنبيه الى أن أحمد بن عبد الجليل الطباطبائي هو الذي كان ذا تأثير فيمن عاصروه ؛ إذ تتلمذ عليه كثير من الكويتيين حين « تصدى للتدريس نحو عشرين سنة ، ولم ينقطع عنه الا بمرض موته »^(٢) . وكانت وفاة أحمد عبد الجليل في عام ١٢٩٥ - ١٨٧٨^(٣).

(١) تاريخ الكويت ص ٧٨

(٢) صفحات من تاريخ الكويت ص ٤٢

(٣) قصة التعليم في الكويت ص ١٨

(٣)

بدء ظهور شعر الفصحى :

ليس من المحتم أن تنجب الكويت في مرحلة مبكرة ، وفي ظروف ثقافية متخلفة علما بارزا ، يكون له أثره الواسع ، ويؤدي وجوده الى ميلاد مدرسة تقتفي أثره ، وتلاميذ يسلكون نهجه .

كما أنه ليس من المقبول أن نلتمس الأسباب لاستعارة أحد الأسماء البارزة في المنطقة ، كي يسهل فيما بعد قيامه بالدور الذى قام سواه بتأديته ، في مناطق عربية اخرى لها ظروفها المغايرة ، فنجعل منه رائدا ، كما نضطر الى البحث عن تلاميذ ننسبهم قسرا الى مدرسته .

ومن المؤكد أن التكلفة في اعتماد الاعتبار الفنية ، والتعسف في اللجوء الى التقسيمات الرياضية . في تتبع سير حركة الفكر مما يجانب الحقيقة ، ويتعدد بالباحث عن رؤية الواقع ، ويحصره ضمن اطر أعدت سلفا كي يتم فيما بعد ملء فراغاتها .

وعلى هذا نرى أننا اذا ما أسقطنا عبد الجليل الطباطبائي من تاريخ الشعر في الكويت ، لعدم قيام دليل تاريخي أو موضوعي يبرر بقاءه ، فان ذلك سيؤدي الى التحرر من السير ضمن الاطر الجاهزة ، وبهذا يسهل النظر الى واقع الشعر الكويتي كما هو ، وليس كما نحب أن يكون ، صورة مماثلة لما هو قائم في أقطار عربية أخرى لها ظروفها المغايرة .

وحين نعود الى ما نقلته المصادر القديمة من أخبار وآثار الشعراء ، فسوف نبتين أن الشعر النبطي بقي الفن المسيطر ، والاداة المناسبة للتعبير عن القضايا والاهتمامات المحدودة للمجتمع العربي في الكويت ، حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين بدأ شعر الفصحى يشق طريقه ببطء ، ولعل أول من عرف من شعراء الفصحى خالد عبد الله

العدساني المتوفى سنة ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م ، وعبد الله الفرج المتوفى سنة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م ، فقد وجد الاثنان في فترة زمنية واحدة ، وكانت بينهما صداقة متينة نرى من مظاهرها رثاء عبد الله صديقه العدساني ، حين سبق اليه القضاء .

والفارق الزمني بين وفاة كل منهما - وهو ثلاث سنوات - لا ينهض مبررا لتقديم العدساني على الفرج ، لكن الشهرة الكبيرة التي نالها الفرج ربما تكون مبررا يمكن اعتماده لترجيح أهميته على صديقه .

جاء في مجلة الكويت لعبد العزيز الرشيد عند الحديث عن عبد الله الفرج أنه « مضى لهذا الفاضل رحمه الله وقت في الكويت لا يسمع الا صوته ، ولا يرجع الا الى رأيه في الأدب والشعر حتى لا يعد غريبا اذا قيل أنه كان شاعر الكويت وأديها يوما ما وهو في النبطي أشعر منه في العربي ، وقد يصح أن يكون هو الشاعر العربي الوحيد في أيامه ، اذ لم نعرف شاعرا اذ ذاك كان في وسعه أن يجاريه »^(١) .

وآثار هذين الشاعرين تمثل بصدق طبيعة النشاط الفكري في البيئة الكويتية. وتعتبر عن الواقع كما هو في تلك المرحلة المبكرة ، حيث تتطور فنون التعبير بصورة بطيئة ، تناسب ركود الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية ، وبعدها عن الهزات والأحداث المصيرية .

ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذت صلات الكويتيين بغيرانهم في العراق والخليج العربي في النمو ، نظرا لتزايد أهمية الكويت ، كما اتسع حجم اتصالهم - وسطاء في النقل البحري - بأقطار العالم ، مثل الهند ، التي كانت تضم جمهرة من العلماء المهتمين بعلوم العربية . ويكفي أن نعلم أن الشاعر عبد الله الفرج تلقى علومه العربية في الهند ، كما كانت له علاقات وثيقة بمشاهير رجالات العراق ، يدلنا على ذلك قصيدته في مدح رجب النقيب ، نقيب الاشراف في البصرة ، وقصيدته في تقرّظ كتاب « الآيات الينبات » للسيد عبد الوهاب بن السيد أحمد

(١) مجلة الكويت ج ١-١٣٤٦ هـ

الموسوى النقشبندى ، ورثاؤه لناصر باشا السعدون ، وقاسم الزهير وصالح الزهير ، وتأريخه لبناء بيت أحمد بن ياسين في أبي الخصيب بالعراق ^(١) ومن جهة ثانية نجد في اشعار خالد عبد الله العدساني الصورة الحقيقية لطبيعة المشكلات ، أو الاهتمامات البسيطة التي كانت تشغل سكان تلك البقعة الصغيرة ، البعيدة عن معترك الأحداث ، من ذلك قصيدته في الدبى :

الله أكبر كيف القمل الضعفا
وصير الأرض بيضا لا نبات بها
قد جاء كالسيل يعدو ليس يمنعه
آذى الانام ومنه الزرع قد تلفا
كأنه لم يكن فيها وما عرفا
شيء فما مل من شيء ولا وقفا ^(٢)

ومن حيث القيمة الفنية ، نرى أن أشعار العدساني والفرج يمثل بصدق أيضا طبيعة تلك المرحلة التي نتوقع أن يكون الشعر فيها متخلفا ، يخطو ببطء ؛ اذ تثقله الصنعة ، ويسلبه الافراط في استخدام المحسنات البديعية الحياة والحرارة .

ونلمس ذلك جليا في اهتمام عبد الله الفرّج بتاريخ بعض الأحداث والمناسبات وافراطه بذكر التاريخ في كل شطر احيانا ، مثل قوله مؤرخا بناء بيت أحمد بن ياسين في سنة ١٣١٠ هـ :

رُبَ فضل كَأحمدٍ ليس يُجحد ١٣١٠ فابن ياسين فاضلٌ عُدَّ يُحمدُ ١٣١٠
بدرُ أفقِ العلا سرى يتسامى ١٣١٠ للفخارِ الحفي مع كلِّ سؤددٍ ١٣١٠ ^(٣)

ومن أمثلة الجناس قوله :

لقد ذكر العتيقُ فهام وجداً
فساقطٌ منه خاتمةُ الدارِ
غزال ما الحريق بوجنتيه
عجبت بخده نأراً وماءً
ولولا الوجدُ ما ذكّر العقيقا
على العافي ونرجسه العقيقا
بمحرقها ولو سكن الحريقا
وذلك منه ما يطفى الحريقا ^(٤)

(١) مجلة الكويت ج ٥ - ذو الحجة ١٣٤٦ ومحرّم ١٣٤٧ هـ

(٢) دواء الكويت في قرنين ٥٦/١ ط ٢

(٣) مجلة الكويت ج ٥ - ذو الحجة ١٣٤٦ ومحرّم ١٣٤٧ هـ

(٤) مجلة الكويت ج ٢ - شوال وذو القعدة ١٣٤٦ هـ

وآثار هذين الشاعرين اللذين وجدا في فترة زمنية واحدة هي الجديرة بحق بأن تكون أول ما وصلنا من شعر الفصحى ، وعندئذ نستطيع القول ان الشاعرين خالد عبد الله العدساني وعبد الله الفرج هما أقدم من عرفنا من شعراء الكويت .

ومنذ ذلك الحين أخذ عدد شعراء الفصحى في التزايد . وفي كتاب « ادباء الكويت في قرنين » قائمة باسماء هؤلاء الشعراء ، الذين رتبوا حسب تواريخ ميلادهم .

وان كانت ثمة حاجة الى تقسيم تاريخ الشعر في الكويت الى مراحل ، بغية تبين الأطوار التي مر بها ، فلعل من الجائز أن نقول بكلمة موجزة انه مرّ بمراحل ثلاث ، مع الاعتراف بصعوبة وضع حدود زمنية دقيقة ترسم سير حركة الأدب نظراً لتداخل المراحل .

المرحلة الأولى

وتمتد من النصف الثاني للقرن التاسع عشر - بدء ظهور شعراء الفصحى - الى العقد الثاني من القرن العشرين . وحيث أن هذه الحقبة تتسم بالتخلف ، وبعد البلاد عن المؤثرات الثقافية ، لذا كان الشعر خلالها مثقلاً بالصنعة والتكلف ، من حيث الشكل ، محصوراً من حيث المضمون في دائرة ضيقة ، لا تتجاوز أغراض الشعر العربي في عصور الانحطاط . ولعل قصائد عبد الله الفرج « ١٨٣٦-١٩٠١ » بأساليبها المزركشة ومضامينها الفجة خير عنوان لتلك المرحلة المتخلفة .

المرحلة الثانية

وتبدأ مع مطلع العقد الثالث من القرن العشرين حين عرفت البلاد التعليم النظامي ، كما أنشئت أول مكتبة أهلية ، وأقيم أول ناد أدبي ، وصدرت أول صحيفة كويتية ، وبدأ الكويتيون بالتعرف على الصحف العربية ، وبخاصة العراقية والمصرية .

وتمتد هذه المرحلة حتى نهاية العقد الرابع من هذا القرن ، ويعتد فهد العسكر « ١٩١٧-١٩٥١ » من أظهر أعلامها ، وان كان بروزه في نهايتها .

وقد حظي العسكر بعناية فائقة من قبل دارسي الشعر الكويتي ، وأضيف اليه من الفضل ما يجاوز حقيقة الدور الذي قام به ، لأسباب عدة ، منها ظروف حياته الخاصة ، وما لاقى من عنت ومشقة ، فضلاً عن احتجابه المبكر . الامر الذي وسم نظرة دارسيه بطابع العطف والحب ، ثم توافر فرص الاطلاع على نماذج من شعره منذ عام ١٩٥٦ ، عندما صدر كتاب « فهد العسكر حياته وشعره » على حين لم تنشر المجاميع الشعرية لبعض معاصريه حتى اليوم .

وفي هذا الصدد يرى ان فهد العسكر يمكن أن يعدّ احد ثلاثة من الشعراء الكويتيين الذين يجمع بينهم نهج متقارب في النظم . وإن تفوقت أعمارهم ، ودرجة ذبوع اشعارهم ، وهم عبد اللطيف النصف وكان أسبق الثلاثة في الظهور ، إذ ولد في عام ١٩٠٦ ، ولكنه كان مقلاً وعازفاً عن النشر ، على الرغم من متانة نسجه الشعري . وثانيهم عد المحسن الرشيد ، الذي ولد عام ١٩٢٨ . وهو يعانق العسكر من جهة سلاسة الصياغة ومتانة السبك ، وإن كان ينافسه من ناحية عمق الفكرة . ولكن مجيئه في اعقاب ذبوع شهرة فهد العسكر كان سبباً في خفوت ذكره ، وبقائه بعيداً عن دائرة الضوء .

اما الشاعر الثالث فهد العسكر فقد نال من الشهرة حظاً جعله يطغى على زميله النصف والرشيد ، بل لقد تجاوز ذلك حين شغل انظار دارسي الشعر الكويتي عن الالتفات الى الشاعر احمد العدواني ، الذي كان يمارس في نهاية تلك الحقبة حفر قنوات جديدة للشعر الكويتي ، ويقدم نماذج مغايرة في التجديد ، لم يألفها معاصروه أول الامر .

المرحلة الثالثة

وتبدأ مع اندلاع الحرب العالمية الثانية ، التي أبقت المشاعر ، وهزت واقع الركود ، يضاف الى ذلك ما تميزت به تلك الحقبة من جهة « تدفق المد القومي وتوثق الصلات بين الشعب العربي »^(١) . وما نتج عن ذلك من اتساع ميادين التعاون والتبادل الثقافي .

(١) أنظر أدباء الكويت في قرنين ٣٨/١ ط ٢

وظهر خلال تلك الفترة عدد كبير من الشعراء الذين ساهموا في تطوير أغراض الشعر وأساليبه ، ومنهم من لا يزال يساهم في العطاء ولعل أبرزهم أحمد العدواني .

أما الشعراء الشباب الذين بدأوا في الظهور منذ سنوات ليست بعيدة ، فيمكن أن نعدّهم امتداداً متطوراً لشعراء هذه المرحلة الثالثة ، ولعل من السابق لأوانه القول بأنهم يكونون مدرسة أو مرحلة مستقلة لها سماتها وخصائصها ، ذلك أن تأثرهم بتيارات التجديد التي يشهدها الشعر في البيئات المتقدمة ما يزال بطيئاً ، وإن هم أفادوا منها أفادة جزئية .

وتجدر الإشارة إلى أن التيار المحافظ في الشعر الكويتي ما يزال يقف إلى جانب التيار المجدد ، ويمكن القول إنهما « يعيشان جنباً إلى جنب في أحدث نماذج هذا الشعر ، لم يستطع أحدهما أن يقضي على أقدامهما على الرغم مما طرأ على الفن الشعري ذاته ، والحياة العربية في الكويت وغير الكويت من الأقطار العربية الأخرى من تطورات حضارية وثقافية »^(١)

(١) الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد - مجلة البيان تشرين أول ١٩٧١

الفصل الثاني

الوعي السياسي .. بواعثه وآثاره

(١)

بواذر الوعي :

كان من المتوقع أن تبقى الكويت الى فترة طويلة ، بعيدة عن الأحداث المصرية والهزات الاجتماعية والسياسية الحادة ، التي تغير أساليب الحياة وأنماط التفكير، نظرا لحدثة نشأتها ، وقلّة عدد سكانها ، وصغر حجمها ، وتخلّفها الثقافي .

واذا كانت تلك هي الحال حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فقد حمل العقد الأول من القرن العشرين ارهاصات التغيير ، وتجاوز واقع الركود والاستقرار ، ويعود ذلك لعدة عوامل ؛ داخلية، وخارجية وهي الأكثر أهمية . ولعل من أبرز العوامل الخارجية ازدياد حدة الصراع الدولي على منطقة الخليج العربي عامة ، والكويت بصفة خاصة، ومن مظاهر ذلك الصراع :

١- سعي المانيا الى أن يكون لها مرفأ في الخليج العربي ، من خلال مد خط سكة الحديد الى كاظمة في الكويت .

٢- اهتمام الحكومة الروسية بالحصول على ميناء في سواحل الخليج العربي لخزن الفحم الحجري .

٣- حرص بريطانيا على اتمام سيطرتها على الخليج ، حيث أنها ارتبطت مع امرائه بمعاهدات الحماية ، ولم يبق سوى الكويت . وقد تم لها توقيع معاهدة مع شيخها في عام ١٨٩٩ ؛ أي أن الصراع الدولي اتجه نحو الحسم لصالحها بتوقيع تلك المعاهدة .

وسواء جاء توقيعها نتيجة رغبة والحاح من الشيخ مبارك ، كما تذهب معظم المصادر . أو أنه تم تنفيذها لخطّة بريطانيا في اتمام سيطرتها على الخليج بأكمله ، وخاصة بعد اشتداد حدة الصراع الدولي ، فالمرجح أن ميول مبارك نحو بريطانيا بدأت تتضح منذ بداية عهده ، ان لم نقل انه لجأ الى قتل أخويه « محمد وجراح » اللذين سبقاه في الحكم ، بهدف تقويض النفوذ العثماني ، ولعل ذلك الانقلاب كان بتشجيع من بريطانيا ؛ فالمعروف أن الشيخ محمد « كان قد قبل لقب قائمقام ، الممنوح

من قبل الاتراك لعبد الله بن صباح ، شيخ الكويت في الفترة بين «١٨٦٦-١٨٩٢» كما أنه أوكل مقاليد السلطة في مشيخته الى يوسف بن عبد الله الابراهيم ، الذي كان مواليا لتركيا»^(١) .

. ويضاف الى ذلك أن الشيخ محمد رفض محاولات الحكومة البريطانية استمالته ، كي ينضم الى جانبها ، حينما « منعت الدولة العثمانية السفن البريطانية من ارتياد مياه الخليج الشمالية ، ورفضت أن تكون لهم صلات تجارية مع أي جزء من ممتلكاتها التي في الخليج »^(٢)

ويمكن أن نضيف الى ما سبق ذكره عاملا داخليا يتمثل في لجوء مبارك الى التفرد بالسلطة ، خلافا لسابقه من الحكام ، الذين كانوا يعتمدون مبدأ الشورى ، واشراك وجهاء القوم في كل ما يمس مصير البلاد . ومن جهة أخرى تميز مبارك بصفات ان لم نقل انها أدت الى ابتعاد الناس عنه ، واضمارهم معارضته ، فمن المؤكد أنها لم تقم بين الطرفين جسرا للمحبة والتعاون .

وذكر الرشيد من « أخلاق مبارك المذمومة » أنه «كان جبارا غشوما ظلوما ، وكان من المستبدين الجائرين ، شغوفا بجمع المال وشديد البحث عن الطرق التي توصل اليه حتى كان يرهق بعض الجناة من رعاياه بضرائب فادحة وحتى اخترع رسوما مستمرة ، فمن زيادة في المكوس ، الى مشاركة في الأملاك والعقارات بل كان حظّه أحسن من حظ الشريك ، فله ثلث ما يبيع وأجر من كل عقار ، ولو تكرر ذلك في اليوم مرات ، وكان ذا مكر وخداع ومراوغة . . . »^(٣)

لم يكن من اليسير أن يمر التحول عن مبدأ الشورى . والانفراد بتوقيع معاهدة سنة ١٨٩٩ ، وتفوق النفوذ البريطاني ، والاستبداد المحلي، دون أن يترك أثرا في النفوس . وبدأت بذور المعارضة في النمو ، على الرغم مما عرف عن مبارك من قسوة في الرد على خصومه أو معارضيه .

(١) د. حسن الابراهيم : الكويت . دراسة سياسة ص ٤٤

انظر أيضا : حسين خزعل - تاريخ الكويت السياسي ١٣٨/١

(٢) حسين خزعل : تاريخ الكويت السياسي ١٥٢/١

(٣) تاريخ الكويت ص ١٨٩

ومما ساعد على نمو المعارضة كون الدولة العثمانية تمثل في نظر العامة السلطة الدينية للمسلمين ، بحيث لم يكن من المستساغ أن تأتي على أنقاضها السلطة البريطانية غير المسلمة ، ويضاف الى ذلك أن النفوذ العثماني في الكويت كان اسماً ، أى أن الكويتيين لم يعانون ما عانته الأقطار العربية الأخرى نتيجة الاحتلال العثماني .

ومهما تكن الأقوال عن حركة يوسف الابراهيم ، الذي أقصّ مضجع مبارك بمحاولاته الدائبة اسقاط حكمه ، فانه لو لم يكن موقنا بوجود من ينصر اتجاهه العثماني داخل الكويت لما استمر في صراعه مع مبارك ، وتحالفه مع خصومه ، حتى الأيام الأخيرة من حياته . ثم أن جهود مبارك الكبيرة لتعطيل مؤامرات يوسف الابراهيم واحباط مساعيه تدل على أنه كان يشكل خطراً حقيقياً على سلطته .

فقد اتخذ يوسف الابراهيم من مقتل محمد وجراح قميص عثمان ، وسعى الى طلب العون للأخذ بثأرها . واتصل بكل من والي البصرة العثماني ، وابن الرشيد أمير حائل ، وحاكم قطر ، كما جهّز حملة لغزو الكويت ، ولكنه أخفق في الوصول الى غايته . ولم يكن يوسف بذلك المغامر الذي لا يقدر مغبة أقدامه على مثل تلك المحاولة ، لو لم يضمن قدراً من التأييد الداخلي لعودته مع أبناء القبيلين وبمعني آخر عودة السيادة العثمانية .

ولا نريد أن نحمل المحاولة الانقلابية لصقر الغانم - قائد جيوش مبارك - فوق ما تحتمل ، مادامت المصادر لم تعط عنها أية تفصيلات تكشف دوافعها وأغراضها والقوى التي ربما استترت وراءها ، بل اكتفت بالإشارة الى اخفاقه في تحقيق الانقلاب ، ومن ثم القبض عليه ، وسمل عينيه من قبل مبارك .

واذا ما تركنا هاتين المحاولتين الانقلابيتين الى وجوه العصيان المدني فسوف نرى أن مبررات ذلك العصيان تدور حول معارضة الكويتيين لسياسة مبارك الموالية للانجليز .

فبعد احتلال الانجليز للبصرة اشتعلت الثورة ضد الشيخ خزعل حاكم عربستان لمساعدته أعداء الدولة العثمانية . « ودامت مدة خشي خزعل من شرها ، ولم يفت مبارك ما كان يخافه ويخشاه ، فأراد أن يمدّه بجند من الكويتيين يشد ساعده بهم ، ولكن الكويتيين وقد علموا أنهم سيقاتلون اخوانهم ، أظهروا العصيان وجاهاوا بالامتناع ، لاسيما والعلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبه المصري إذ ذاك كانا يطوفان بالمجالس ، وبغشيان الأندية ، لتحذير الناس من الطاعة ، وأن من انقاد فقد حكم عليه

بالارتداد عن الدين»^(١) ، وهذا قد يعني أن الكويتيين استغلوا تلك المناسبة لإعلان عدم موافقتهم على سياسة مبارك .

وتدلنا وقائع استجواب مبارك لكل من محمد الشنقيطي وحافظ وهبه على طبيعة ذلك العصيان الذي كان موجهاً ضد التقارب مع الانجليز .

فقد استدعى مبارك الشيخين المذكورين ، بحضور القنصل الانجليزي في الكويت وقال لهما « أنا مسلم عثماني ، أغار على ديني وعلى دولتي ، ولا أحب من يتعرض لهما بسوء ، غير أنني اتفقت مع الانجليز على أمر فيه نفع لي ولبلادي »^(٢) .

وللدلالة على اتساع رقعة التدمير من سياسة مبارك الموالية للانجليز ، نجده يقول ، في استجوابه للشيخ حافظ وهبه المصري « ان أبناء المدارس في الكويت يجهرون في الشوارع والأسواق بدم الانجليز ومدح الألمان »^(٣) .

ويمكن أن نتخذ من هجرة كبار التجار الكويتيين إلى البحرين مثالا لوجه آخر من وجوه التدمير والمعارضة ، وعلى الرغم من أن المصادر تعيد هجرتهم الى أسباب لا تتجاوز حدود سوء المعاملة التي تعرضوا لها ، إلا أن الذي يهمننا في هذه الواقعة وغيرها هو الإشارة الى بذور المعارضة . وبداية مساهمة المواطنين في ابداء الرأي فيما يتصل بسلوك السلطة ، سواء على الصعيد المحلي أو الخارجي .

ولعل محاولات مبارك المتكررة لاسترضاء التجار ، كافية للبرهنة على أهمية ذلك الحدث بالنسبة لسياسته . يضاف الى ذلك تسليمه بالرأي القائل ان آثارا اقتصادية سيئة سوف تنجم نتيجة هجرة اولئك التجار الكبار من أمثال هلال المطيري وشملان بن علي و ابراهيم المصنف ، لذا نجده يسارع الى إرسال الوفود لاسترضائهم ، ويضطر في النهاية الى الذهاب بنفسه استجابة لطلبهم .

وليس ثمة حاجة الى البحث عن الأسباب البعيدة ، أو الدوافع السياسية أو الاقتصادية التي ربما كانت وراء تلك الحادثة ، ولكن سعي مبارك الى تطويق الأزمة قد يعكس احساسه باحتمال اتساع رقعة المعارضة ، وضرورة تنازله عن قدر من التصلب لمعالجة الأمر قبل استفحاله .

(١) تاريخ الكويت ص ١٧٤ ، ١٧٥

(٢) المصدر السابق ص ١٧٦

(٣) تاريخ الكويت ص ١٧٦

- ويمكن اجمال أسباب التملل الشعبي المبكر الى عوامل عدة منها :
- ١ - العاطفة الدينية التي مست بلجوء مبارك الى التحالف مع الانجليز .
 - ٢ - انتهاكه مبدأ الشورى ، الذي اعتمد أساسا للحكم ، وتفرد في انفاذ ما يراه ، مثل توقيعه معاهدة ١٨٩٩ ، دون استشارة وجهاء القوم .
 - ٣ - التأثير بالدعاية الألمانية قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى .
 - ٤ - لجوء مبارك الى زج الكويتيين في حروب لم يجنوا منها غير الخسائر والأحزان ، ارضاء لنزعاته وطموحه ، وخير مثال لذلك ما تكبده الكويتيون من خسائر فادحة في موقعة الصريف سنة ١٩٠١ .
 - ٥ - وعي أصحاب رؤوس الأموال بقدرتهم في التأثير على الواقع المحلي ، بما لهم من ثقل اقتصادي كبير .
 - ٦ - الجهود التي بذلها المصلحون الأوائل من أمثال الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبه المصري لتوعية المواطنين، وتنبيههم الى ضرورة معارضة ما لا يتفق مع مصالحهم وميولهم .
 - ٧ - المؤثرات الخارجية ، نتيجة وقوع البلاد على ساحل البحر، واتصالها من خلال رحلات التجارة بتجارب الآخرين في العراق والهند وشرقي أفريقيا .
- ولو قدر لحكم الشيخ مبارك أن يمتد لفترة أطول ، لكان من المحتمل أن تتسع وجوه المعارضة وتتطور أساليبها ، نتيجة التصادم المتوقع في الاتجاهات ، أو لوجود باعث على الاحساس بعدم الرضا ، ولكن وفاته في عام ١٩١٦ ، ثم مجيء ابنه جابر المعروف بطيبته، واقدامه على تخفيف الضرائب والقيود التي فرضها والده ، كل ذلك أدى الى عدم اتساع نبرة التذمر .
- ولم تدم فترة حكم الشيخ جابر طويلا ، إذ توفي بعد سنة وشهرين فخلفه أخوه سالم ، ولم يكن الأخير يختلف عن أخيه من حيث مسالته ، وعلاقته الطبيعية بمواطنيه ، وعلى الرغم من أن عهده لم يخل من الحروب والمناوشات ، الا انها كانت دفاعية بصفة عامة ، مثل معركة « حمض » ومعركة « الجهراء » على خلاف الحروب التي جر والده الكويتيين الى خوض غمارها كرها .
- ومع هذا فان روح التذمر بقيت حيث هي . لم تتفاقم ولم تنحسر في الوقت ذاته ، ومما ساعد على بقائها تقدم الوعي ، واحساس المواطنين بعدم تطور أساليب الحكم في بلادهم تبعا لتغيرها في البلدان الأخرى ، وعدم مشاركتهم الفعلية في تقرير مصيرهم .

وكان للأحداث السياسية في بعض المناطق العربية تأثير كبير على الواقع السياسي الكويتي ، ولعل من أبرزها ثورة ١٩١٩ في مصر، وتأثير زعامة سعد زغلول ، وكذلك الثورة العراقية في عام ١٩٢٠ .

(٢)

المجلس الاستشاري ١٩٢١

وبنهاية عهد الشيخ سالم في عام ١٩٢١ ، كان الكويتيون قد أدركوا أهمية تطوير أداة الحكم ، وضرورة مشاركة الشعب في تقرير مصيره . وقبل أن يتم اختيار خلف لسالم ، اجتمع وجهاء البلد في ديوانية ناصر البدر ، واتفقوا وتعاهدوا على الاتحاد ، وأن يسعوا في صلاح البلد .

ووقع ثمانية منهم عريضة تتضمن آراءهم ومطالبهم فيما يخص المرحلة المقبلة . وفي ما يلي نص تلك الوثيقة المهمة . التي قام على أساسها أول مجلس استشاري^(١) في الكويت :

« نحن الواضعين^(٢) ، أسماؤنا بهذه الورقة قد اتفقنا واتحدنا على عهد الله وميثاقه باجراء البنود الآتية :

- ١ - اصلاح بيت الصباح ، كي لا يجرى بينهم خلاف في تعيين الحاكم .
- ٢ - ان المرشحين لهذا الأمر هم الشيخ أحمد الجابر ، والشيخ حمد المبارك ، والشيخ عبد الله السالم .
- ٣ - اذا اتفق رأي الجماعة على تعيين أي شخص من الثلاثة ، يرفع الأمر الى الحكومة للتصديق عليه .
- ٤ - المعين المذكور يكون بصفة « رئيس مجلس الشورى » .
- ٥ - ينتخب من آل الصباح والأهالي « عدد معلوم »^(٣) ، لادارة شؤون البلاد على أساس العدل والانصاف^(٤) .

ووقع على هذه العريضة كل من : محمد بن شملان . مبارك محمد بورسلي ، جاسم ابن محمد بن أحمد ، سالم بن علي بوقمّاز ، ناصر بن ابراهيم .

ويقول الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، الذي لم يكن من بين الموقعين على العريضة ، ولكنه اختير ليكون عضواً في المجلس ، ولعله كان ضمن المجتمعين في ديوان ناصر البدر :

(١) يخلط بعض الباحثين في التسمية بين المجلسين الاستشاري الذي أقيم في عام ١٩٢١ والتشريعي الذي أقيم في عام ١٩٣٨ ، فيسمون الأول منهما المجلس التشريعي خطأ . أنظر على سبيل المثال د . حسن الابراهيم - الكويت دراسة سياسية ص ١٤٦ .

(٢) - الأصل : نحن الواضعون

(٣) - الأصل : عددا معلوم .

(٤) - من تاريخ الكويت ص ١٩١

« وبعد هذا الاجتماع أطلع الشيوخ ، وأرسل اليّ الشيخ عبد الله سالم وسألني عن سبب هذا الاجتماع ، فأخبرته وبيّنت له المصلحة العامة في ذلك ، ولم يبد أي خلاف ، وفي اليوم التالي اجتمعت كل عائلة الصباح ، وأرسلوا الى القائمين بالأمر ، وسألوهم عن سبب الاجتماع ، فتلونا عليهم ذلك ، ولم يظهروا شيئاً يخالف فكرة الجماعة »^(١) .

ومن الغريب أن معظم المصادر تغفل ذكر أسماء هؤلاء الرجال الذين تحمّلوا مسؤولية التوقيع على العريضة ، وتذكر بدلا منهم أسماء أعضاء المجلس الذين عينوا فيما بعد وتجدر الإشارة الى أنه لم يتم اختيار أي من الموقعين على العريضة لعضوية المجلس الاستشاري ، بل اختير بدلا منهم بعض أفراد من العائلات الكبيرة المعروفة بجاهها وثرائها^(٢) ، وربما يعود السبب الى أن هؤلاء الأثرياء أكثر اعتدالا من موقعي العريضة .

كما تجدر الإشارة الى أن الشيخ يوسف بن عيسى القناعي يقول في الرسالة الخاصة التي وجهها الى صديقه شملان بن علي انه بعد ظهر يوم وفاة الشيخ أحمد الجابر « اجتمع وجهاء البلد من أهل القبلة والشرق في ديوان ناصر البدر واتفقوا وتعاهدوا على الاتحاد واتفق الكلمة . وان يسعوا بصلاح البلد ، وكتبوا مجملته ، ثم يذكر نص العريضة^(٣) . على حين يقول في كتابه الملتقطات الذي صدر فيما بعد « انه هو الذي رأى أن يكلم وجهاء البلد في طلب مجلس للمشاورة مع الحاكم . وانه تكلم معهم منفردا واحداً بعد واحد »^(٤) وفي الوقت الذي لا نرى فيه اسم الشيخ يوسف بين الموقعين على العريضة نجد اسمه بين من تم انتقاؤهم بالتعيين لعضوية المجلس ، وكذلك فإننا نلمس من آراء الشيخ يوسف في كتابه الملتقطات أنه يؤيد ما جاء في الرسالة التي تنتقد المجلس وتتهم أعضائه بأنهم لا يعرفون التمرة من الجمرة . وهي الرسالة الموجهة للمعتمد البريطاني ، والتي يرجح الشيخ يوسف نفسه أن يكون كاتبها السيد هاشم الرفاعي . وذلك في قوله « ولعل الحاكم رأى ما رأيت من صدق ما كتب الكاتب في الانتقاد »^(٥) .

(١) المصدر السابق ص ١٩٥ و١٩٦ - من رسالة وجهها يوسف بن عيسى القناعي الى شملان بن علي .

(٢) شكل المجلس الاستشاري من : حمد عبد الله الصقر « رئيسا » ، الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، السيد عبد الرحمن السيد خلف النقيب ، هلال فجحان المطيري ، شملان بن علي بن سيف ، الشيخ عبد العزيز الرشيد ، خليفه بن شاهين الغانم ، احمد الفهد الخالد ، احمد صالح الحميضي ، مرزوق الداود البدر . ابراهيم المصنف ، مشعان الخضير الخالد .

(٣) من تاريخ الكويت ص ١٩٧

(٤) الملتقطات ص ١٢٠

(٥) المصدر السابق ص ١٢١

ويتكرر موقف الشيخ يوسف المثير للتساؤل عند تشكيل المجلس التشريعي في عام ١٩٣٨ ، إذ نجده يقول « دعاني الاخوان الساعون في طلب المجلس على العشاء في الشويخ . وطلبوا مني الذهاب معهم للحاكم ، واقناعه بضرورة المجلس . فأجبتهم : بما أنني أعتقد عدم أهليتنا للمجلس بحسب ما رأيت من المجلس السابق فلا أطلب شيئاً أعتقد عدم ثبوته »^(١)

ولكن حين تحقق قيام المجلس التشريعي أصبح الشيخ يوسف نائباً لرئيسه . وحين تآزم الموقف استقال من عضويته .

وقد أشار الى أن أعضاء المجلس لم يلتفتوا الى نصحه وان « أحد الأعضاء البارزين قال له ما معناه إنك حجر عثرة في طريقنا ، فكلما قررنا أمراً نرى فيه الاصلاح وقفت أمامنا مشبهاً لعزائمنا . ويقول الشيخ يوسف وبعد كلامه لم أر أحداً من الأعضاء خالفه فيما قال . زد على هذا الكتاب الذي يزعم المجلس انه حذف اليه من الخارج . ولم يعرف صاحبه ، وخلاصته انه يحث المجلس على السير في عمله بلا تأن ، وينهاهم عن سماع قول المشبط لعزائمهم ، ومعناه « اياك أعني فاسمعي يا جارة »^(٢) .

إن ما يهمننا في العريضة التي تتضمن طلب تشكيل مجلس للشورى في عام ١٩٢٠ هو كونها رفعت قبل أن يتم اختيار الحاكم الجديد ، وتضمنت ترشيح ثلاثة من الامراء ، ليتم اختيار أحدهم ، وكذلك ما جاء في التوصية الرابعة من اعتبار « المعين » أو الحاكم الجديد « رئيس مجلس الشورى » ، ثم ما جاء في التوصية الخامسة من انتخاب عدد معلوم من آل الصباح والأهالي لإدارة شؤون البلاد على أساس العدل والإنصاف . فهذه أول مطالب علنية يواجه بها المرشح للحكم ليتخذها منهاجاً للحكم وأساساً للبيعة ، وهي أول إشارة الى « مجلس الشورى » واشراك الأهالي في ادارة شؤون البلاد ، لذا نجد عناصر « الكتلة الوطنية » التي شكلت فيما بعد تذكر الشيخ أحمد الجابر بذلك الأساس في صدر خطابها الموجه اليه في عام ١٩٣٨ حين تقول « ان الأساس الذي بايعتك عليه الأمة لدى أول يوم من توليك الحكم هو جعل الأمر بينك وبينها على أساس من الشورى »^(٣) .

وتم تشكيل المجلس الاستشاري من اثني عشر عضواً في شهر نيسان من عام ١٩٢١ ،

(١) المصدر السابق ص ١٢١

(٢) المصدر السابق ص ١٢١-١٢٢

(٣) خالد سليمان العدساني - نصف عام للحكم النيابي في الكويت ص ٧

فباشر في جلسته الأولى النظر في تنافس آل صباح على كرسي الامارة ، وفي الجلسة الثانية تأكد للمجلس أن الشيخ أحمد الجابر هو أكثر المرشحين نصيباً في التأيد ، فأقر مبايعته بالاجماع ، وعندئذ أقسم « لهم اليمين على الاخلاص بالعمل ودون لهم ميثاقاً خطياً » من خمس مواد .

وعقد المجلس بعد ذلك جلسات أخرى كثيرة^(١) ، خلافاً للرأي القائل « ان الشيخ لم يستدع المجلس الاستشاري ، فترك يندثر دون أن يحس به أحد »^(٢) .

ولم يمر وقت طويل حتى بدأت الخلافات تدب بين الأعضاء ، ولعل مما عجّل بنهاية المجلس تدخل أحد الأعضاء ، وهو السيد عبد الرحمن النقيب في أمور اعتبرها آل الصباح اجحافاً بحقوقهم ، وعدّوها مخلة بكيانهم ، فأغلظوا عليه القول ، وهددوه باتخاذ الاجراءات المضرة به ، ان لم يكف عن ذلك ، فدب الفتور بين الأعضاء وانقطع بعضهم عن حضور تلك الجلسات^(٣) .

ومما زاد الطين بله ورود كتاب الى المعتمد البريطاني في الكويت بتوقيع « الامة » تبين فيها بعد أنه مرسل من السيد هاشم الرفاعي ، وفيه تنديد بأعضاء المجلس ، وأدت تلك الأسباب وغيرها الى تفكك المجلس ونهايته ، وعودة الشيخ أحمد الجابر الى الحكم الفردي .

لم تكن موافقة أحمد الجابر على ما ورد في العريضة أمراً هيناً ، لولا أنه أدرك أن من العبث الوقوف في وجه تيار الإصلاح ، الذي تجاوز حدود التذمر أو المعارضة السلبية ، ليبادر الى طرح التصورات لاسلوب الحكم المناسب ، الذي يعتمد مبدأ الشورى واشراك الشعب في حمل المسؤولية .

أما اخفاق المجلس في تحقيق ما عقد عليه من آمال فيعود الى أسباب كثيرة لعل من أهمها أن أعضاءه معينون ، ولم يتم اختيارهم عن طريق الانتخاب .

وعلى الرغم من اخفاق تجربة المجلس الاستشاري .، فقد كانت أول محاولة لتطوير أسلوب الحكم في الكويت .

(١) تاريخ الكويت السياسي - القسم الأول ج ٥ ص ١٦

(٢) د . صلاح العقاد - معالم التغيير في دول الخليج ص ٢٤

(٣) تاريخ الكويت السياسي - القسم الأول - ج ٥ ص ١٦

(٣)

المجلس التشريعي ١٩٣٨

واتخذت حركة الاصلاح من بعد أساليب أخرى ، أكثر تطوراً وملاءمة لما استجد من ظروف ، ويبدو أنها بدأت تتأثر « بالتيارات الفكرية الجديدة التي انتشرت في الشرق العربي ، وكانت هذه التيارات تنتقل الى الكويت عبر العراق حيث تعلّم بعض الشبان الكويتيين ، ولعل الحركة الاصلاحية تأثرت بالتقلبات السياسية التي شهدتها العراق في سنة ١٩٣٦ ، حين قام الجيش بمحاولة لتغيير الاتجاهات السياسيّة التقليدية ، وبعث الحياة في فكرة الوحدة العربية والتغيير الاجتماعي وكانت اذاعة قصر الزهور تغذّي هذه الاتجاهات ، وتروج لها في بعض الأقطار العربية خارج العراق ، ومنها الكويت ، وذلك بتشجيع من الملك غازي ^(١) .

وتجدر الإشارة الى أن أول بعثة غادرت الكويت لطلب العلم اتجهت الى العراق في عام ١٩٢٥ ، ومن بين أعضائها خالد سليمان العدساني الذي أصبح سكرتيراً لمجلس الامة التشريعي في سنة ١٩٣٨ .

ويضيف ديكسون مؤثراً جديداً في حركة الاصلاح ، حيث يرى أن هتلر « نجح عن طريق الدكتور « غروبا » سفيره في بغداد في تأسيس حزب للشباب في مدينة الكويت ، عرف باسم « الشبيبة » وباستخدام نفس الطرق والاساليب التي اتبعت في تشيكوسلوفاكيا نجح في اشعال ثورة مفاجئة هدفها الاطاحة بسمو الشيخ أحمد الجابر الصباح ، وانهاء الحماية البريطانية على الكويت ، واستبدالها بالعراق ، على أساس انها دولة مسلمة ^(٢) .

أما العوامل الداخلية التي فجّرت الصراع بين دعاة الاصلاح والسلطة فيمكن اعادةها الى فساد الوضع الداخلي من جهة ، وتقدم الوعي السياسي من جهة أخرى .

ومن الملاحظ أن المصادر ، حين تمر بتلك المرحلة الخطيرة من

(١) معالم التغيير في دول الخليج ص ٢٤ - انظر أيضا : محمود الدرة - الحرب العراقية البريطانية سنة ١٩٤١

ص ١٠١

(٢) ديكسون : الكويت وجاراتها ٣٣/٢

تاريخ الكويت ، تعبر فوقها على عجل وتتجاهل ذكر الأسباب التي أدت الى تفجير الصراع ، كما تغفل الدور الذي قامت به عناصر الاصلاح والذي توج باقامة تجربة ديمقراطية رائدة في منطقة الخليج والجزيرة العربية سنة ١٩٣٨ ، ولعل السبب يعود الى التخرج من التعرض لتلك الأحداث التي تتسم بحساسية خاصة ، ويضاف الى ذلك قلة المصادر التي تتناول تلك المرحلة بقدر من التفصيل والأمانة .

ويبدو أن الرسالة التي أصدرها خالد سليمان العدساني - أحد عناصر حركة الاصلاح وسكرتير المجلس التشريعي الذي انشق عنها - ما تزال من أهم المصادر . وقد منعت تلك الرسالة من دخول الكويت ؛ لذا فسوف نضطر الى الاستشهاد بنصوص طويلة منها ، لالقاء الضوء على الجانب الذي يهمنا ، ولأن تلك النصوص في ذاتها تعدّ مثالا صادقا لنمط التفكير ومستوى الوعي في تلك المرحلة.

يقول العدساني « في أوائل عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م كانت الكويت تتميز بحركة فكرية نشيطة ، وكان النزاع بين الوطنيين وخصومهم يتطور يوما بعد آخر من جراء التعديلات ، وانتهاك الحقوق الوطنية التي يقوم بها رجال السلطة من العاشية والمتنفذين . فقد أقدموا على حل مجلس المعارف المنتخب من « الامة » انتخابا شرعيا صحيحا للتخلص من أحرار البلاد المتنفذين ، وعيّنوا بمشيئتهم أعضاء مجلس المعارف الثاني ممن يقادون بالإشارة ، ويستسلمون للأهواء ، فانسحب الوطنيون من عضويتهم الأخرى في مجلس البلدية والمكتبة ، احتجاجا على هذه التصرفات الكيفية ، وبدأوا ينظمون امورهم ويعملون سرا للحدّ من هذه التصرفات الفردية ، فكان من نتيجة هذا الصراع المتواصل تحقّز السلطة أخيرا ، واصدارها الارادة العليا عام ١٣٥٧ - ١٩٣٨ بمنع الناخبين من انتخاب بعض أحرار البلد البارزين بأسمائهم لعضوية المجلس البلدي الرابع ، بغير ما حجة صريحة ولا بينة مسماة ، ثم أجريت الانتخابات المفروضة بأشنع ما يمكن أن توصف الانتخابات المزيفة في التاريخ ، من ضغط على الحريات وتلاعب في اسماء الناخبين ، وفرز أوراق الانتخابات وعلان

نتائجها ، واشتد بعد ذلك الضغط على أحرار « الأمة » وخيرة شبابها . . . »^(١)

ونتيجة لذلك عقد الاصلاحيون العزم على بلوغ غايتهم ، وسعوا الى تطوير جهودهم واعتمدوا منهج العمل التنظيمي السري ، وكونوا - كما يقول العدساني - « جمعية سرية من اثني عشر عضوا ، للعمل على تقوية الروح القومية في النفوس ، وتوجيه دفعة الحركة التحررية في الطريق المرغوب ، وتطوع الكتاب منهم لتغذية الحملات الصحفية في جرائد العراق بتوقيعات مستعارة ، ففاضت تعابيرهم بالشكوى ، فاضحة كافة الأعمال والتصرفات الكيفية المناهضة لآمال الشعب ، وتحقيق أمانيه ، فكان لكل ذلك أثره البعيد ، وصداه القوي في نفوس الكويتيين ، وآذان الساسة الانجليز »^(٢).

والعدساني يعرض في هذه الكلمة الموجزة لموضوعات على جانب كبير من الاهمية تكشف عن مقدار الوعي الذي بلغته عناصر الاصلاح ، فن أهداف جمعيتهم السرية :

- ١- تقوية الروح القومية وهذا ما ينفي عن الحركة الطابع الاقليمي الضيق .
- ٢- توجيه دفعة الحركة التحررية في الطريق المرغوب .
- ٣- الموقف المبدئي من الانجليز وقد اتضح هذا الموقف بعد قيام المجلس التشريعي .

وعملت الجمعية السرية التي سميت بـ « الكتلة الوطنية » على تصعيد نشاطها ، من خلال الحملات الصحافية ، والمناشير السرية التي كانت تطبعها في البصرة وتوزعها في شوارع الكويت ، ولما أدركت أن الوقت أصبح مناسباً ، وأن التعبئة الشعبية حققت أغراضها ، قامت بعرض مطالبها على

(١) نصف عام للحكم النيابي في الكويت ص ٥

(٢) المصدر السابق ص ٦

الشيخ أحمد الجابر^(١) ، وذلك في يوم ٣٠ من ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ
١٩٣٨ م ، وفي ما يلي نص الوثيقة :

« ان الأساس الذي بايعتك عليه « الأمة » لدى أول يوم من توليك
الحكم هو جعل الأمر بينك وبينها على أساس الشورى ، التي فرضها
الاسلام ، ومشى عليها الخلفاء الراشدون في عصورهم الذهبية ، غير أن
التساهل الذي حصل من الجانبين أدى الى تناسي هذه القاعدة ، كما أن
تطور الاحوال والزمان ، واجتياز البلاد ظروفًا دقيقة « بعث
المخلصون »^(٢) ، من رعاياك أن يبادروا اليك بالنصيحة راغبين [في]
التفاهم وإياك على ما يصلح الأمور ، ويدراً عنهم وعنك عوادي
الأيام وتقلبات الظروف ، ويصون لنا كيان بلادنا وحفظ استقلالنا
غير قاصدين إلا إزالة أسباب الشكوى واصلاح الأحوال عن طريق
التفاهم مع المخلصين من رعاياك ، متقدمين اليك بطلب تشكيل
مجلس تشريعي مؤلف من أحرار البلاد للاشراف على تنظيم امورها ،
وقد وكلنا حاملنا كتابنا هذا ليقاوضوك على هذا الأساس ، والله
تعالى نسأل أن يوفق الجميع لما فيه صالح البلاد^(٣)

٣٠ ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ جماعتك المخلصون

وبعد اجراء المفاوضات بين وفد « الكتلة الوطنية » والشيخ أحمد
الجابر وافق على طلب تشكيل المجلس التشريعي ، وتم بالفعل انتخاب
أربعة عشر عضواً .

وفي الليلة التالية للانتخاب اجتمع الأعضاء ، واختاروا الشيخ عبد
الله السالم - ولي العهد آنذاك - رئيساً للمجلس .

ومن بعد قاموا باعداد مسودة القانون لتوقيعه من قبل الشيخ أحمد
الجابر. وجرت مفاوضات بين الطرفين، وأوضح خلالها الشيخ أحمد
عدم الحاجة الى مثل ذلك التوقيع ، ولكن أعضاء المجلس أصروا على
الطلب ، وذكروه أنه قطع على نفسه عهداً أن يجعل الحكم شورى ، ولكن

(١) كذا في الأصل ، ولعل صوابها « دعت المخلصين » ،

(٢) نصف عام للحكم النيابي في الكويت ص ٦٥

ذلك الوعد لم يتحقق ، كما لوحوا بالتهديد في قلوبهم « وهؤلاء نحن قد تهبأنا لكل أمر متوقع . كتلة واحدة في صف البلاد لا نتردد ولا نقهر ، ففي هذه اللحظة التي نرفع اليك فيها كتابنا هذا نقف جميعا في انتظار جوابكم التحريري الحاسم بالموافقة »^(١) .

وبتوقيع الشيخ أحمد ذلك القانون الخطير في تاريخ الكويت كللت مساعي عناصر الإصلاح بالنجاح ، ونورد في ما يلي نص القانون لأهميته :
بناء على ما قرره « مجلس الأمة التشريعي » صادقنا على هذا
هذا القانون في صلاحية المجلس ، وأمرنا بوضعه موضع التنفيذ :

المادة الأولى : الأمة مصدر السلطات ، ممثلة في هيئة نوابها المنتخبين .
المادة الثانية : على المجلس التشريعي أن يشرع القوانين الآتية :

- | | |
|----------------------|---|
| ١- قانون الميزانية | ٢- قانون القضاء |
| ٣- قانون الأمن العام | ٤- قانون المعارف |
| ٥- قانون الصحة | ٦- قانون العمران |
| ٧- قانون الطوارئ | ٨- كل قانون آخر تقتضي مصلحة البلاد تشريعه . |

المادة الثالثة : مجلس الأمة التشريعي مرجع لجميع المعاهدات والامتيازات الداخلية والخارجية والاتفاقات ، وكل أمر يستجد من هذا القبيل لا يعتبر شرعيا الا بموافقة المجلس واشرافه عليه .

المادة الرابعة : بما أن البلاد ليس فيها محكمة استئناف ، فان مهام المحكمة المذكورة تناط بمجلس الأمة التشريعي ، حتى تشكل هيئة مستقلة لهذا الغرض

المادة الخامسة : رئيس مجلس الأمة التشريعي هو الذي يمثل السلطة التنفيذية في البلاد .

(١) المصدر السابق ص ١٠

تحرر يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الاولى عام الف وثلاثمائة وسبعة وخمسين هجرية الموافق ثانى جولاي الف وتسعمائة وثمانية وثلاثين ميلادي»^(١) .

لعل أهم ما يلفت النظر في هذا القانون كونه جمع بين السلطين التنفيذية والتشريعية في يد المجلس ، كما جعله مرجعا لجميع المعاهدات والامتيازات والاتفاقات الداخلية والخارجية .

وللبرهنة على جدية عناصر الاصلاح ، وارتقاء وعيها يحسن الاطلاع على الانجازات التي تمت في عهد المجلس التشريعي الممتد من ١٩٣٨/٦/٢٩ الى ١٩٣٨/١٢/١٧ . فقد قام المجلس بسن كثير من القوانين . واهتم بامور التعليم . ونظم شئون الجمارك والقضاء والأمن العام والمالية . وحد من تدفق الهجرة الايرانية الى البلاد . واهتم بتنشيط الحركة الفكرية ، وغرس الروح العربية ، وتعريف الجمهور بماهية أنظمة الحكم الديمقراطي والحقوق الشعبية . وفسح المجال للمعارضة لتبدى آراءها ، كما الغى الاحتكارات الضارة ، وأصدر سلسلة من القرارات النافعة في شتى المجالات .

وعلى الصعيد الخارجي تطلع المجلس الى « رفض معاهدة الحماية المفروضة على الكويت سنة ١٨٩٩ ، والمطالبة بالوحدة القومية مع العراق الذى كان يدعم - بشخص الملك غازى - الحركة »^(٢) .

ولعل مما عجل بنهاية تجرية المجلس التشريعي تعرضه للمصالح الانجليزية وتضيقة على أصحاب الاحتكارات ، وميله الى تحقيق الاتحاد مع العراق ، ووقوفه في وجه الهجرة الايرانية المشبوهة ، الأمر الذي أثار العناصر الشيعية الايرانية في الكويت ، ودفعها الى الالتفاف واثارة الشعب والتآمر .

ووقع الصدام بين الوطنيين والسلطة واصيب المجلس بكارثة عظيمة أدت الى ثورة مسلحة ، قتل فيها من قتل وأدخل السجن

(١) نصف عام للحكم النيابي في الكويت ص ١١ و١٢

(٢) جريدة السياسة ١٩٧٢/٣/٢٢

من أدخل^(١) .

ونتيجة لهذه النهاية الدائمة أحست عناصر الاصلاح باليأس ، وبضياع الأمل في تطوير أساليب الحكم من خلال مشاركة الشعب في ادارة شؤونه وتقرير مصيره .

وعلى الرغم من التأييد الشعبي الكبير لفكرة النظام النيابي ، ومشاركة ممثلي الشعب في الحكم ، ولما حققه المجلس خلال فترة ولايته القصيرة من مكاسب ، لم يكن ذلك التأييد العفوي قادرا على صيانة هذا المكسب وتطويره والدفاع عنه ضد من أرادوا تقويضه .

وبعد سقوط المجلس لجأ كثير من عناصره ومؤيديه الى العراق ، واتخذوا من الصحف العراقية منابر لبث أفكارهم المناهضة لعودة الحكم الفردي ، واجهاض التجربة الديمقراطية . ولعل منهم من حاول الحصول على مساعدة الجهات الرسمية في العراق للتدخل . إلا أن الأمر لم يجاوز تجنيد بعض الصحف العراقية مثل السجل والناس والاستقلال للمهاجمة الوضع في الكويت .

وكان من المحتمل أن يتطور هذا التأييد ، ولكن حال دون ذلك اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وانشغال العراق فيما بعد بأحداث عام ١٩٤٠ ، ومقتل الملك غازي .

وقامت الحكومة من بعد بتعيين مجلس للشورى من أربعة عشر عضوا ، أربعة منهم من الأسرة الحاكمة ، والباقيون من الأعيان « فكان هذا المجلس ضعيفا في تكوينه ، ومقدرته على التنفيذ ، وكان طبعيا أن يفشل »^(٢) .

كان لابد من عرض هذه الصورة الموجزة للهزات والتحركات السياسية التي شهدتها المجتمع العربي في الكويت ، منذ فترة مبكرة وحتى مطلع عام ١٩٣٩ ، فهي تشكل مظهرا عمليا محسوسا لمستوى الوعي السياسي في تلك الفترة ، يضاف الى ذلك أنها كانت في الوقت ذاته عاملا جوهريا في تعميق الوعي . وصقل الحس القومي بما تركت في وجدان الجماهير من آثار .

وما دمنا أجملنا من قبل عوامل التحرك السياسي الأول في عهد الشيخ مبارك الصباح ، فإنه يجدر اجمال عوامل التحرك السياسي الثاني في عهد الشيخ أحمد الجابر ، والذي

(١) راشد الفرحان - مختصر تاريخ الكويت ص ١٩٦

(٢) مختصر تاريخ الكويت ص ٩٧

اتخذ صورة أكثر نضجا وتطورا وعنفًا ، تبعًا لما استجد من ظروف وفي ما يلي أهم تلك العوامل :

- ١ - تأثر الكويت بواقع العمل الوطني في الأقطار العربية ، وخاصة العراق وسوريا ومصر .
- ٢ - تطور النشاط الثقافي والفكري ، ومن مظاهر ذلك التطور :
 - أ - افتتاح المدرسة المباركية - وهي أول مدرسة نظامية في عام ١٩١١ .
 - ب - انشاء الجمعية الخيرية في عام ١٩١٢ ، وكانت تهدف الى ارسال البعث العلمية الى الأقطار العربية لدراسة علوم الدين .
 - ج - انشاء المكتبة الأهلية في عام ١٩٢٣ .
 - د - إقامة النادي الأدبي في عام ١٩٢٤ ، وكان ملتقى الفئات المتعلمة والواعية ، تتبادل فيه الآراء والأفكار حول ما يهمها .
 - هـ - ارسال أول بعثة لطلب العلم في العراق سنة ١٩٢٥ .
 - و - صدور أول مجلة كويتية ، وهي مجلة الكويت ، التي أصدرها عبد العزيز الرشيد في سنة ١٩٢٨ .
 - ز - قدوم أول بعثة تعليمية من المدرسين الفلسطينيين في عام ١٩٣٦ .
- ٣ - اتصال الكويتيين بالمصلحين العرب ، من أمثال الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي ، الذي كان داعية لتوحيد كلمة العرب وقد زار الكويت غير مرة ، فاحتفت بمقدمه ، وتبارى الشعراء في الترحيب به .
- ٤ - اتصال الكويت بالصحافة العربية ، وبخاصة المصرية والعراقية .

(٤)

منذ الحرب العالمية الثانية :

لعل من الجائز أن نطلق على الفترة من عام ١٩٣٩ - سقوط المجلس التشريعي - الى السنوات الأخيرة من عهد الشيخ أحمد الجابر مرحلة الجفاء والمقاطعة بين السلطة والعناصر الوطنية ، حيث آثرت تلك العناصر الابتعاد عن الساحة والانطواء ، وكان هذا المسلك السلبي تعبيراً منها عن عدم الرضا بعودة الأمور الى سابق عهدها .

وبقيت الحال على هذا النحو حتى السنوات الأخيرة من حكم الشيخ أحمد الجابر ، إذ ارتبطت تلك الفترة بوقوع نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ .

وبدأ النشاط السياسي يدب ثانية ، حين استقبلت البلاد أعداداً كبيرة من الفلسطينيين الذين شردتهم النكبة ، بالإضافة الى أعداد أخرى من العرب القادمين من بقية المناطق العربية بهدف العمل ، نظراً لانتساع مجالاته ، وكان طبيعياً أن تنقل هذه العناصر العربية أفكارها وتجاربها السياسية ، وأن تلقى تجاوباً من قبل الفئات الواعية .

وأصبحت النوادي ، وعلى رأسها النادي الثقافي القومي ، ساحات لتفاعل الأفكار التقدمية التي تدعو الى التحرر والوحدة ، كما أمست الصحف المحلية ميداناً رحباً لطرح وجهات النظر التي تنشأ الصالح العربي .

وما لبثت البلاد أن تأثرت بتجارب التنظيمات السياسية العربية ، ذات الأفق القومي والبرامج التقدمية ، وساهم العرب الوافدون ، المنتمون لتلك التنظيمات في التبشير بأفكارهم .

وتكوّنت الخلايا الأولى لحركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي من العناصر المثقفة ، وساهم هذان الحزبان في الارتقاء بالوعي القومي ، والانتقال به من طور الحماسة العفوية الى مرحلة العمل السياسي المنظم ، القائم على برنامج معلوم .

وعلى الرغم من تعثر هذين الحزبين في استقطاب قاعدة جماهيرية واسعة ، نتيجة الظروف الموضوعية المتصلة بواقع الكويت الاجتماعي والاقتصادي ، الا انها نجحا الى حد كبير في تعميق الحس القومي ، وغرس بذور الوعي الطبقي .

ومع نهاية عهد الشيخ أحمد الجابر ، وتولي الشيخ عبد الله السالم دفة الحكم بدأت البلاد تشهد نوعاً من الانفراج السياسي ، الأمر الذي أتاح للعناصر الواعية أن تساهم - أكثر

من ذي قبل - في طرح وجهات نظرها وتصوراتها حول الاصلاح وتطوير أساليب الحكم ، وانتهاج سياسة تحررية .

وكان من الطبيعي أن يتأثر الشعر الكويتي بتلك الأحداث والتيارات التي شهدتها البلاد ، فهزت اسس العلاقات السائدة بين المواطنين والسلطة ، وغيّرت أنماط التفكير ، وأيقظت المشاعر ، ورسخت جذور الوعي القومي .

وكان من نتائج ذلك بروز اتجاهين رئيسيين في الشعر : أما الاتجاه الأول ، فيتمثل في نقد الوضع القائم ، والتبرم بالأساليب السائدة ، التي تتعارض مع تطلعات الجماهير ، ومستوى وعيها ، وطموحها الى التغيير والتطور ، ثم الشكوى المرة نتيجة التراخي في اصلاح الأوضاع السيئة .

وأما الاتجاه الثاني فيتمثل في اتساع دائرة الانتماء . وتطور مفهوم الوطن ، بحيث لم يعد يقتصر على المجتمع المحلي ، بل يتجاوزه الى الوطن العربي من الخليج الى المحيط .

ومن هنا نتبين مبرر اختفاء النماذج الشعرية التي تشد التغني أو التعلق بالكويت ، أو بالوطن بمفهومه الاقليمي الضيق ، فالشعراء الكويتيون لا ينسون الكويت في معرض الشكوى والتذمر من تردى أوضاعها ، ولكنهم عند الاعتزاز بالوطن وتمجيده يتجاوزون حدودها وتراها ، لاتساع أفق الولاء والانتماء لديهم .

وغني عن البيان أن قسطا من الشعر الكويتي لم ينشر بعد ، وخاصة ما يتصل منه ببعض الأحداث المحلية التي تتسم بالحساسية ، ولكننا مع هذا لا نعدم أن نجد فيما وصلنا ما يصح اعتماده مثالا صالحا لرسم الصورة التي ننشد الوصول اليها . ويمكن أن نتلمس آثار الوعي من خلال النماذج الشعرية التي عنيت بمعالجة الأوضاع المحلية ؛ السياسية منها والاجتماعية .

(٥)

الأوضاع السياسية :

اتخذت معالجة الأوضاع السياسية اتجاهات مختلفة ، فتارة تكون نقدا عاما للوضع السياسي ، وتارة أخرى يتجه النقد الى كشف فساد الجهاز التنفيذي . المتمثل في ادارات الدولة ، وفي بعض الأحيان ينصبّ الاهتمام على التنبيه لأخطار التهاون في صون عروبة البلاد .

وثمة اتجاه جديد برز في أحدث نماذج الشعر الكويتي ، وقد أخذ على عاتقه كشف عيوب المجتمع الحديث ، أو مجتمع ما بعد النفط ، الذي اضطرت فيه المقاييس وشاعت الفوضى .

وتختلف الأساليب في نقد الأوضاع السياسية ، فهناك من يعرض وجوه الخلل ويلح على ضرورة النهوض لتصحيحها ، وثمة من يدلي بتصوراته لكيفية العمل ، وتكتفي فئمة ثالثة بالشكوى والتذمر .

فالشاعر عبد اللطيف النصف * يصور حال الكويت ، وما ألمّ بشعبها ، فأمسى بتخبط في دياجير التخلف والضياع ، ويدعو الى إزالة أسباب الفساد ، وذلك في قصيدة نظمها عام ١٩٢٦ :

يا للكويت وما ألمّ بشعبها	فلقد رمته فأقصده رماؤه
شعبٌ يقاد الى البوار وما درى	لهفي أيدري من غشاه سباته
ويل أمه ماذا دهاه فأصبحت	وقد استوت برجاله غاداته
.....	
أسفي وهل يجدي عليه تأسفي	شيئا ولو قرنت به حسراته
أن لا أرى الشعب المضام بجنبه	تفر عن ثغر الردى ثوراته
من لي بـ « روبسير » يُذكي نارها	حمراء تخفق فوقها راياتها
فتخر لليوم الرهيب طغاته	وتذيقهم ذيقانها حسراته ^(١)

ولا يكتفي خالد الفرج * بعرض المشكلة ، بل يدلي بتصوراته لكيفية المعالجة بصورة تنم عن وعي سياسي دقيق ، فهو يؤكد حقيقة مهمة تتمثل في خطر الإعتماد على الفرد ، إذ من الخطأ أن يعلق شعب آماله وتطلعاته ومصيره بالفرد مهما تكن قيمته ، وجاءت تلك الآراء ضمن رده على زميله النصف في عام ١٩٢٦ :

هذي نتيجة كل شعب قائم
بالفرد منه حياته ومماته

وقوله هذا يمثل دعوة مبكرة الى مبدأ العمل الجماعي ، الذي لم يتنبه الى أهميته كثير من المثقفين حتي يومنا هذا .

* الشاعر عبد اللطيف ابراهيم النصف : ولد في عام ١٩٠٦ وتوفي بتاريخ ١٦/١١/١٩٧١

(١) ديوان خالد الفرج ص ١١٧ أدباء الكويت في قرنين ص ٢٥١ ط ٢

• الشاعر خالد محمد الفرج : ولد في الكويت عام ١٨٩٨ ، وتوفي بتاريخ ١٥/١٢/١٩٥٤ في لبنان

وقوله من قصيدة أخرى نظمها في عام ١٩٤٦ .

وطني وما أقسى الحيا عة به على الحرّ الأمين
والذّ بين ربوعه من عيشتي كأسُ المتونِ
قد كنتَ فردوسَ الدخيم لـ وجنةُ النذل الخؤونِ
لهفي على الأحرار في لك وهم بأعماقِ السجونِ

.....
ما راع مثلُ الليث يُؤ سرُّ وابن آوى في العرين^(١)
وعُني الاتجاه الثاني بكشف فساد الأجهزة الحكومية ، وما نجم عن ذلك من ضياع
الحقوق وشيوع الأساليب المغلوطة ، فالمناصب العليا لا يتولاها سوى ذوي المظاهر
الخادعة ، وان كانوا من الجهلة ، أو أن الأمر كما وصفه صقر الشيب :
يَرْقى بَبَزَتِهِ الْفَتَى لَا عَلَيْهِ أَسْمَى الْوُظَائِفُ فِي الْكُوَيْتِ وَيَكْسِبُ^(٢)
أو كقوله :

يُولَى هُنَا الْمَرْءُ الْوُظِيفَةَ جَاهِلًا على شرط أن تلقى ملبسةً قُشِبُ^(٣)
ومن المشكلات الدقيقة التي تطرق لها الشعر استيلاء أولياء الأمور على الأراضي، على
نحو ما نرى في قول عبد الله الجوعان * :

الراكضينَ على الأرا ضيـ بالجشاعةِ والنَّهَمِ
هذا يُحَدِّدُ بالعصي وذاك يذرُعُ بالقَدَمِ^(٤)

ويشير الشاعر نفسه الى الفساد المهيمن على دوائر الحكومة بقوله :
حتى الدوائرُ قد تَضَعُ ضَعَّ وَضَعُهَا وَقَدْ انْهَدَمَ
وغدت بحالٍ لا تَقَرُّ بوضِعِهِ حتى البَهَمُ^(٥)

(١) فهد العسكر : حياته وشعره ص ١٥٤ ط ٣

(٢) ديوانه ص ٧٦ . (٣) ديوانه ص ٩٤

• الشاعر صقر الشيب ولد في عام ١٨٩٢ وتوفي بتاريخ ١٩٦٣/٨/٦
(٤) مخطوطة . . . ومطلع القصيدة آغاي هل ميخّم يرم - للصيّد أم لا أم نَعَمْ ويلاحظ أن الشاعر جعل الأبيات
الاولى مزيجاً من الألفاظ العربية والفارسية ، ولا نرى سبباً لذلك سوى احتمال رغبته في الإشارة الى مشكلة
المتسللين الإيرانيين ؛ اذ عرف عنه الاهتمام بالتنبيه لهذه المشكلة .

(٥) حريدة الشعب ١٢٥٨/١/٣٠ - وهي من الجزء الذي نشر من القصيدة .
• الشاعر عبد الله الجوعان ولد في سنة ١٩٢٣ - وهو الآن يمارس الأعمال الحرة
• الشاعر عبد المحسن محمد الرشيد : ولد سنة ١٩٢٨ - يعمل في وزارة التربية مديراً لإدارة الوسائل التعليمية

وعرض عبد المحسن الرشيد * لمشكلة الوساطة على أنها من أخطر الأوبئة التي تفتك بمبدأ العدالة والمساواة وتؤدي الى شيوع الفوضى ، واتسمت معالجته بالسخرية اللاذعة ؛ فما دامت الوساطة هي السبيل الى نيل الغايات والمطالب فلا أهمية لبذل الجهد في طلب العلم ، وما على المرء الا أن يبحث له عن ذي جاه ، ولو كان من الجهلة الأغبياء ، ليصل به الى مراده :

دَعْ عَنْكَ انك من أهل الكفاءات
هي المطايا التي يُرجى الوصول بها
ما الفوزُ إلا لأصحاب الوساطات
الى منال مطالب وغايات

اختر لنفسك ذا جاه ومنزلة
وانسج حوالبه أثواباً منمقة
زينة في ناظر بالحمق ممثلة
تَلْ على كفيه ما طمحت له
وكلُّهم جاهلٌ جمَّ الحماقات
من المديح كما يهوى جميلات
وكنْ له حين يرنو خيرَ مرآة
من دوحة المجد أغصاناً رفيفات^(١)

وكانت الهجرة الايرانية المشبوهة من المشكلات المحلية المهمة ، التي أثارت القلق والتخوف من احتمالات المستقبل ، ويبدو أن السُّلطة لم تعر الأمر اهتماماً جدياً على الرغم من كل التحذيرات التي أطلقها المخلصون .

ومن الذين نهوا الى تلك المشكلة عبد الله الجوعان الذي تناول الموضوع بأسلوب ساخر ، حين راح يهجو بعض مناطق الكويت ومنها « البدع » وهي منطقة ساحلية تلجأ اليها سفن المتسللين الايرانيين لتفرغ حمولتها :

ماء أجاج وأرض سبخة وبها
في كل يوم ترى الأعجام قادمة
كم قلت للنفس منذ شاهدت جمعهم
كانهم حُمُرٌ تغدو وثيران
من كل ما قدفتنا فيه ايران
أهذه بلدتي أم تلك طهران

فالأعاجم - كما يقول - يتوافدون على البلاد في كل يوم ، حتى لم يعد يميز هل هو في الكويت أم في طهران ، وإذا كان النفط السبب أو الدافع الكامن وراء تلك الهجرة ، فهو يتمنى لو أنه لم يتدفق حتى تبقى البلاد محافظة على عروبتهما :

(١) أغاني ربيع ص ٤١

فليت نَفْطَ بلادى لم يَسِلْ أبداً ولا تَفْجَرُ منه اليوم برقان^(١)

وحين هنا أحمد السقاف* الشيخ عبد الله السالم بمناسبة عيد جلوسه ،
اغتم تلك الفرصة لتنبيهه الى خطر الهجرة الايرانية المتزايدة ، التي
أوشكت أن تحوج المواطنين العرب الى ترجمان لكثرة الايرانيين بينهم :

فاسمعُ - وانت الأمر - من شاعر ديدنه النصيحُ وصدقُ البيانُ
صُنْ معقلَ الأمجاد من هجرة قد احوجت قومي الى ترجمان^(٢)

ويبدو أن عبد الله أحمد حسين* كان أكثر إيجابية في تعرضه للخطر الايراني
الذى أمسى يهدد الوجود العربي في منطقة الخليج ، فهو لا يكتفي بالتنبيه ، بل
يدعو الى ضرورة النهوض لصد الغزاة .

يقول من قصيدة أنشدها في عام ١٩٦٨ :

يا ضفافَ الخليج والخطرُ البا غي تحدى وجودنا والبقاء
يوم ذي قار ما نسيناه والخي ل تجوب السهوبَ والصحراء

.....
والخليجُ الأبي ثارت بوادي ه ولاحت قلوبُهُ شماء
عربي حَمَتَهُ شيانُ بالسي ف وتأنى تسليمهُ والجلاء
خبطَ الآثمونَ في وضح الصب ح وثارت أطماعُهُم عشواء
فاركبوا غارةً تصدُّ المناكي د وتحى المآثرُ الغراء

وكان للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الكويت بعد تدفق
الزيت أثر كبير في زعزعة اسس المجتمع ، وهدم قاعدة العلاقات السائدة ،
وشبوع الأساليب المدمومة ، وفساد الأوضاع ، وضعف الاحساس بالمسؤولية ، وقد

(١) مخطوطة - البرقان : أكبر حقول النفط في الكويت

(٢) أحمد الشرباصي - أيام الكويت ص ١٨٢

* الشاعر احمد السقاف : ولد في عام ١٩١٩ - يعمل بوظيفة العضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج
العسري .

* الشاعر عبد الله أحمد حسين الرومي : ولد سنة ١٩٣٤ يعمل سفيرا للكويت في سوريا .

لزم التنبيه الى مواطن الفساد ، والتحذير من السقوط ، والحث على ضرورة الثبات والصمود في وجه تيار الزيف .

وها هو ذا أحمد العدواني* يتخذ من الجمل رمزا يحاوره ، ويحذره من أن يكون كالأخرين الذين تساقطوا ، وأسلموا أشرعتهم للتيار ، أو ركنوا للدعة ، أو راحوا يبحثون عن مشجب يعلقون عليه عجزهم :

آياك يا صديقي يا جمل . . .
آياك أن تيأس أو تلين
آياك أن تكون مثل آخرين
قد عكفوا على الطلول . . . يندبونها . . .
أو أطفالاً شموعهم
وخرجوا الى الرياح يلعنونها . . .
كلا وأنت رمز الصبر يا جمل
لا . . . ولن تكون مثلهم
ولا أنا
وحق أرضنا^(١)

أما علي السبتي* فآثر أن يكشف الستار عن مدينته التي لوهاها الزيف ، وغمرها الطغيان المادى المدمر ، حتى لم يعد بالامكان النظر الى الأشياء الا من خلال منظار المادة :

مدينتي كأنها تمثال
ملون مزركش لكنه تمثال
حتى النساء في مدينتي بلا آمال
المال في مدينتي المال
يبيع يشتري يستأجر الرجال

* الشاعر أحمد مشاري العدواني : ولد سنة ١٩٢٣ - يعمل بوظيفة « الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب » ويتولى رئاسة تحرير مجلة « عالم الفكر » وكذلك الاشراف على سلسلة من المسرح العالمي .
(١) جريدة الهدف ١١/٣/١٩٦٦
* الشاعر علي السبتي : ولد في عام ١٩٣٥ وهو الان يمارس الاعمال الحرة .

فكل شيء في مدينتي له ثمن
الجنس والأطفال والسكن
مدينتي بلا مطر
وأرضها حجر^(١)

ولعل محمد الفايز * وهو يصدر عن شجون ذاته لها دوافعها الخاصة ، يكشف
من ناحية أخرى وجهة نظره تجاه تلك المدينة التي رفعت أعمدتها الصدف والأقدار
ولكنها لن تلبث أن تتداعى ، لأنها لم تنهض - كما يرى - نتيجة كدّ أبنائها
وعطائهم وتضحياتهم :

ولكنها الأيام هاج عابؤها	وما ارتفعت جدرانكم من مهابة
ستمصكم حاراتها وقبابها	مدينتكم هذى التي ترضعونها
ولا دوركم منها يسوى ترابها	هبطتم بها لم تعجن الخبز كفكم
بصحرائها حيث الدنا ورحابها	ظهور جمال تعتيها هواج
يعشش فيها موتها وخرابها	أجلّ لعمرى من حدودكم التي
ظهيرة يوم لا يطاق جنابها ^(٢)	تلوذون في ظل وريف وخلفه

(١) بيت من نجوم الصيف ص ١٣٨

(٢) النور من الداخل ص ١٠٥

• الشاعر محمد فايز العلي : ولد في العراق سنة ١٩٣٢ وانتقل الى الكويت منذ عام ١٩٥٦ ، يعمل حالياً في القسم
الأدبي بإذاعة الكويت .

(٦)

مبول تحررية

لم تألف البلاد منذ القدم ألوان التعصب والتناحر ، ولعل ذلك يعود الى تجانس سكانها ، وبعدهم عن الفرقة المذهبية والمشكلات الطائفية ، وانفتاحهم على العالم من خلال رحلات السفر الدائمة ، التي كانوا يطوفون خلالها بآفاق بعيدة ويختلطون بشعوب ذات ثقافات متباينة .

وتجدر الاشارة الى أن الكويتيين عانوا كثيرا نتيجة بعدهم وبعد علمائهم عن التعصب والجمود ، وطموحهم الى الرقي ، فقد تعرضت البلاد لغزوات من قبل غلاة الوهابيين^(١) ، بحجة اعادة أهل الكويت الى حظيرة الاسلام .

ولعل كلمة شاعر نجد « ابن عثيمين » كافية لأن تعكس احساس هذه الفئة ومن وراءها بخطورة التحرر في فهم تعاليم الدين ؛ فالشاعر يرر موقعة الجهراء سنة ١٩٢٠ ، التي افتعلها غلاة الوهابيين بدعوى اعادة الكويتيين الى الاسلام ، ويتحدث عن مصابهم وقتلاهم بكثير من التشفي :

واذكر مآثر قوم جلَّ قصدهمُ	جهادُ أهل الردى لله لا السلبُ
صبَّ الاله على أهل الكويت بهم	سوط العذاب الذي في طيه غضبُ
ظَلَّتْ سباع الفلا تفري جماجمهم	كأنها شارب يهفو به طربُ
كم عاتق تلطم الخدين باكيةً	تقول وآحرباً ^(٢) لو ينفع الحربُ
هذا نكال إمام المسلمين بكم	فان رجعتهم والا استؤصل العقب ^(٣)

والشاعر يعلم أن الكويتيين ، وهم ابناء عمومته ، لا يدينون بغير الاسلام ، ثم أنه لا يصدر في أقواله عن عدااء متعمد ، ولكنه يمثل عقلية متخلفة تظن أن الفهم المتحرر للدين يشكل خطرا يجب القضاء عليه .

(١) عرف غلاة الوهابيين الذين تعرضت الكويت لغزواتهم باسم « الاخوان »

(٢) في الأصل : وآحرب

(٣) تاريخ الكويت ص ٢٢٥

ولعل مما يلفت النظر أن علماء الدين الكويتيين ساهموا مساهمة ايجابية محسوسة في التصدي للمتزمين ، على نحو ما نجد عند الشيخ عبد العزيز الرشيد حين يحدثنا عن الشيخ عبد العزيز صالح العلجي - من علماء الاحساء - فيقول :
 « تكون الكويت آمنة مطمئنة ، وما هو الا أن تطأ قدمه أرضها حتى ينكر الابن على أبيه ، والأخ على أخيه ، وينشر من زيغه وضلاله ما يضح الدين منه
 حكم بعضهم من جراء تعاليمه بكفر الاستاذ السيد الكبير رشيد رضا واستحلال دمه حتى حاول أحدهم قتله في السنة التي زار فيها الكويت »^(١)
 ولم يقف العلجي الاحساوي عند هذا الحد ، بل حاول الاتصال بالشيخ مبارك لدفعه الى قسر الناس على اتباع آرائه ، ونفي من يعارضه من الكويت ولكن مباركاً تنبه لغرضه .

ومن أمثلة تعصب العلجي وجماعته ما أفتى به أحدهم من أن قتل ثلاثة من رجالات الكويت ومصلحيها يعد ثمناً لدخول الجنة وهؤلاء الثلاثة هم الشيخ عبد العزيز الرشيد ، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، والشاعر صقر الشيب .
 لم يكن ذلك الضرب من التزمّت مقبولا لدى الكويتيين ، ومن هنا نعرف السبب في كثرة النماذج الشعرية التي تندد بالمتزمين ، وتعب تشدهم في فهم الدين ووقوفهم في وجه الاصلاح والتقدم .
 ويدو أن صقر الشيب كان يرى في هذه الطائفة سبباً لكل بلاء ، الأمر الذي دفعه الى الافراط في مهاجمتهم ، والتطرف في مخاطبتهم وحين أصدروا الفتوى الشهيرة بقتله اضطر الى بيع بيته الذي يقع في الحي الشرقي من المدينة خوفاً على حياته ، وفي ذلك يقول :

أظَلَّتْني بشرقي الكويتِ خطوبُ الزمّني بيعَ بيتي
 وما بيعك يا بيتي بسهل ولكن خفتُ فيك اليوم موتي^(٢)

أما الشيخ عبد العزيز الرشيد فتربطه وشائج روحية متينة بالعلماء المصلحين العرب ، من أمثال السيد رشيد رضا والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي ، لذا

(١) تاريخ الكويت ص ٢٧٧

(٢) ديوانه ص ١٩

نجدّه يصب غضبه على الشيخ أحمد الفارسي - أحد أركان مدرسة العلجي - حين تعرض بالطعن والقدح في أعراض بعض العلماء الكبار ، كما طعن في المدارس ، ودعا الى ترك الصحف والكتب العصرية . وقد صورته على أنه من بله أهل فارس وأذناهم ، أما العلجي فأفرد للرد عليه قصيدة تقع في ثلاثمائة بيت يقول فيها :

وجئتَ لقوم في الكويت تزيغهم عن المنهج الاسني الى المنهج الوعير
تذيع لديهم كل يوم نصائحها ولكنها عن كل خير وعن بر
وتحسب أن الغش إن طال صقله سيخفي على أهل البصرة والذكر^(١)

وتفنن الشعراء في الرد على العلجي وجماعته ، وتسفيه آرائهم ، وكان السيد مساعد الرفاعي * - الذي اشتهر بالهجاء - من أشدهم مقالة في قوله :

لُدُّ بالاله من الجهول الجاني علج العلوج وفتنة الشيطان
خسر السعادة مذ هوى لتعصب وتشدد ما جاء بالأديان^(٢)
واستجار ناصر الغانم بشيخ الكويت ، لينقذ البلاد مما يدعوله المتعصبون بحجة التقشف ، في حين أنهم يهدفون الى اشاعة الفرقة والعداء بين الناس :

ياشيخنا ان الكويت لتشتكي من جور أفراد من الاخوان
جعلوا التفرق دأبهم فيها فما راموا سوى التخريب للأوطان
كم مرقوا شمالا لنا بتقشف كم أوقعونا في هوى فتان^(٣)
وقارن عبد اللطيف النصف بين ما بلغته الأمم المتحضرة من رقي وازدهار ، وما تكابد منه بلاده نتيجة تزمّت المتعصبين ، الذين يحاولون اطفاء أنوار المعرفة :

رَقَّتْ العوالم بالعلوم فأسفرت أوطانها واحلولكت ظلماته
لَعِبَتْ به العِمَاتُ أشنع لعبة فشقي بها وشقت به عِمَاتُهُ^(٤)

(١) تاريخ الكويت ص ٢٨٠

(٢) ادباء الكويت في قرنين ص ١١٠ ط ٢

* الشاعر السيد مساعد الرفاعي : ولد سنة ١٨٨٣ وتوفي في سنة ١٩٣٦ .

(٣) مجلة الكويت ج ١٠ - ١٣٤٧ هـ

(٤) ديوان خالد الفرج ص ١١٧ ادباء الكويت في قرنين ص ٢٥١ ط ٢ وقوله « شقت » صوابه « شقيت » .

ولعبد المحسن الرشيد مقارنة طريفة بين ما كابده منه الآباء في موقعة الجبراء عام ١٩٢٠ ، نتيجة التعصب ، وما عانت منه البلاد في عام ١٩٦٥ بسبب الضغط الذي مارسه جمعية الاصلاح الاجتماعي على الحكومة ومجلس الامة :

قالوا تحررت الكويت فقلت لا بل أعلنت حربا على الحرية
هذه حكومتها ومجلس شعبها كلُّ يُدارُ على هوى الجمعية

ويصر على رفض هذا المسلك كما رفضه الآباء من قبل :

هيهات نرضى بالتخلف مسلكا عمياً نسير كمثل سير الآلة

آباؤنا بدمائهم قد حاربوا جور التعصب قبلنا في الجبهة^(١)

ويبدو أن عبد المحسن الرشيد أول من ذهب الى أن موقعة الجبراء في عام ١٩٢٠ ، كانت حربا بين التخلف والطموح الى التحرر .

وفي ضوء كثرة النماذج التي تناولت المتعصبين باللوم والتقريع ، وأسرفت في الشكوى من أعمالهم ، نرى أن تلك الشكوى تجاوزت حجمها الطبيعي ، الأمر الذي يقود الى الاعتقاد بأن بعض الشعراء أسقطوا على هذه الجماعة كل همومهم وأحاسيسهم التي لم يفصحوا عنها تجاه الأوضاع السائدة ؛ فدعاة التعصب كما يستشف من أقوال المؤرخين لم يجاوزوا بضعة أفراد ، كما أن جهودهم في عرقلة التطور لم تكلل بالنجاح ومع هذا صور الشعر البلاد وكأنها تعيش محنة خانقة . ونحن لا ننكر الدور الذي حاول المتعصبون القيام به ، ولكننا نرى أنه تعرض للتضخيم ، أو أنه أُمسى مشجبا علقت عليه مشاعر التذمر من الأوضاع والاحساس بالعجز عن اصلاحها .

الفصل الثالث

قضايا التحرر والوحدة

* قضايا التحرر والوحدة *

(١)

النزعة القومية

ان قضية التحرر كل لا يتجزأ ، وهي لا تخرج عن طموح الامة الى الانعتاق من قيود الاستعمار ورواسبه ، والسعي الى تطوير أوضاعها ، لتكون في منزلة تمكنها من المساهمة الايجابية في البناء الحضارى .

ويلاحظ أن ثمة تشابكا وتداخلا في جزئيات تلك القضية ، بحيث يكون من التسف تقسيمها الى موضوعات مستقلة ، فالحديث عن التخلف مرتبط بالتطلع الى الرقي ، والتنديد بالاستعمار متعلق بالرغبة في التحرر ، وتمجيد المناضلين يعد الوجه المقابل للتعريض للمتخاذلين وأعدوان المستعمر .

كما أنه من غير المقبول النظر الى القضية من زاوية التقسيم الجغرافي للكيانات القائمة كل على حدة ، ذلك أن ما يجرى في أية جهة عربية يؤثر تأثيرا مباشرا على ما يحدث في الجهة الأخرى ، فالمكاسب التي تجنيها أية منطقة تقود الى مزيد من المكاسب لبقية المناطق ، والنكسات التي تلحق بأية ناحية تمتد آثارها لتصيب بقية النواحي .

ويعدُّ الشعر واحدا من الشواهد التي تصور النزعة القومية ، وتؤكد وحدة المشاعر والمصير والهدف . وقد حفل الشعر الكويتي بنماذج كثيرة تمثل التفاعل مع أحداث الوطن العربي ، والتنديد بالمستعمرين وأعدوانهم ، والحث على النضال ، والاشادة بالمناضلين ، وتصوير مشاعر الابتهاج بقيام الثورات التحررية ، والاهتمام بالدعوة للوحدة العربية .

وكان من الطبيعي أن تأتني النماذج الاولى للشعر القومي صورة صادقة لمستوى وطبيعة الوعي في تلك المرحلة ، حيث الحنين الى اعادة الامجاد العربية الغابرة والاكتثار من اللجوء الى التاريخ لاستثارة الهمم .

ولم يكن الوعي في المراحل المتقدمة قائما على نظرية ناضجة ، تنتقل به من مرحلة الحماسة العفوية الى طور يحمل أبعادا أكثر عمقا ، لذا كان الشعر تصويرا

عائما فضفاضا للتمنيات والأفراح والأحزان تجاه ما يحيط بالامة .
واستغل الشعراء المناسبات الدينية والاجتماعية منذ فترة بعيدة ليثيروا من خلالها ما يختلج في نفوسهم ، وحين تطور الأمر قليلاً بدأت القصيدة تنبع من واقع المناسبة أو الحدث الذي تلتصق به ، ان كان الحدث حادا ومباشرا ، مثل تعرض أحد الأقطار العربية للعدوان .
ولم يكن من المستغرب أن تمر فترة من الزمن قبل أن تولد القصيدة الناضجة التي تأتي بعيدا عن المناسبة ، بحيث لا تكون استطرادا لها ، أو استجابة عفوية لحدث مباشر ، وهذه الحقيقة لا تنال من قيمة الشعر القومي المبكر ، وإنما تضعه في اطاره التاريخي الحقيقي ، في المرحلة السابقة لنضوج الوعي وتعمقه .
ويتميز الشعر القومي المبكر بكونه يمثل الاستجابة التلقائية لاي حدث يقع على الأرض العربية ما بين المحيط والخليج ، فسيان أن يكون الحدث اعتداء ايطاليا على ليبيا ، أو مؤامرة بريطانية في فلسطين ؛ فالشاعر يعرض للوضع السيئ في المغرب بذات الدرجة من الحماسة التي يتناول فيها أوضاع الخليج ، كما أنه يفخر بالمجد بغداد قدر فخره واعتزازه بطولات الجزائر .

ومما يلفت النظر أن الشعر الكويتي لم يتناول الاستعمار العثماني ، كما تناوله الشعر في الأقطار العربية الأخرى ، وربما يعود ذلك لأسباب من أهمها أن البلاد لم تتعرض للاحتلال العثماني المباشر ، ولم تشهد من صنوف الاستبداد ما شهدت بقية الأقطار ، وهذا وحده لا ينهض مبررا للسكوت على جرائم العثمانيين ، حيث أن الشعر ندد في المقابل بالاستعمار الفرنسي والايطالي وان لم تقع البلاد في قبضة الفرنسيين أو الايطاليين .

ويمكن أن نلتمس مبررا ثانيا لاغفال تلك القضية ، فقد بدأت البلاد تشعر بالخطر البريطاني ، الذي أطبق على الخليج العربي ، حين بدأ بعمان واتى الى الكويت في عام ١٨٩٩ ، يضاف الى ذلك التأثير بآراء بعض المصلحين العرب ، من أمثال الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبه ، اللذين كانا يريان في الدولة العثمانية المسلمة درعا يقي المنطقة من النفوذ البريطاني .

ولم نجد عن العثمانيين - فيما وصلنا من الشعر الكويتي - سوى اشارة خاطفة لوحشية « جمال السفاح » ، وردت في ثنايا قصيدة متأخرة لمحمود الأيوبي* حين

قال :

حتى اذا هاج مفتونا بصولته
ثاروا وهبوا جميعا من مراقدهم
سارت مواكبهم نشوى يُؤرقها
«جمال» يشق من أحرارها فيها
وهدموا من قلاع الظلم عاليها
سوق التحرر من أيدي أعاديها^(١)

واتخذ التعبير عن ضعف الامة وتفرقها اسلوبا عفويا ، في بادئ الأمر .
غلب عليه التأثير العاطفي ، سواء في تصوير الألم والجزع ، أو في تصور سبل الخلاص ،
على نحو ما نقرأ عند ناصر الغانم ، الذي عبر عن جزعه مما ألم بالامة من ضعف
وتفريق ، نتيجة شيوع الضغائن والعداوات :

جزعت وما خوفا من البين أجزع
ولكنني أخشى تفرق امه
وما هالني أمر به القلب يفزع
لها الله من دون البرية مفزع

ويلاحظ أن مفهوم الاسلام مختلط لدى الشاعر بمفهوم العروبة ، فهو
يخاطب قومه العرب بقوله :

فيا أمة الاسلام هذى جموعكم
إذا أصبحت ألفتها في تفرق
ألم بها خطب عظيم مزعج
وإن هي أمست فالضغائن تصرع^(٢)

والشيخ عبد الله النوري * ، وإن لم يتجاوز سابقه كثيرا من حيث تصويره للواقع
العربي ، إلا أنه يتقدمه خطوة حين يجعل « العروبة » عنوانا لقصيدته التي يعبر فيها
عما أصاب الامة فأزال نضرتها :

الحنن قرح بالبكا أجفانها
لبست حزينه السواد وأسبلت
لهفي عليها حسرة لهفي على
تبكي الذي فقدته من أبنائها
وأزل نضرتها وأسقط شانها
دمعا يجدد دائما أشجانها
عليائها تبكي أسي أعوانها
وحمي حماها منعة وأعانها^(٣)

(١) الحان الثورة - ص ١٤ ولعل قوله ، « سوق التحرر » تصحيفاً صوابه « شوق التحرر » ، مع أن قولهم سوق
الحرب يعني ساحة الحرب .

* الشاعر محمود شوقي الايوبي : ولد في عام ١٩٠١ وتوفي في ٢٣/٣/١٩٦٦

(٢) مجلة الكويت ج ٨ - ١٣٤٧ هـ

(٣) من الكويت ص ١٦

* الشاعر الشيخ عبد الله النوري : ولد عام ١٩٠٥ . وهو يعمل حالياً في المحاماة والوعظ .

وينتقل الشعر خطوة الى الأمام ، فيجاوز العرض المبهم والتعميم في الكلام عن المشكلات المصيرية ، فالتفرق ليس قدرا محتوما ، أو قضاء مكتوبا على الامة ، لا تعرف أسبابه ولا يدرك كنه مبرراته ، وما دام كل واقع يُعَدُّ نتيجة حتمية لمقدمات وعوامل قادت اليه ، فلا بد من كشف النقاب واذاعة ما يحول في النفس دون حرج أو تردد .

وكان طبعيا أن يلجأ الشعر في تشخيصه للعلاج الى أساليب أكثر واقعية ، وهنا نلاحظ الاتجاه الى التشديد على ضرورة النهوض بالعلم ، والاستفادة من منجزاته ؛ اذ بغير العلم لن يقدر للامة أن تلحق بركب الامم المتحضرة .

ونجد في هذا الصدد كلمة مبكرة لعبد الله الصانع * عن التناحر الذي تعاني منه منطقة الخليج ، نتيجة الصراع بين المشائخ ، حيث يسود الجهل وتحتجب أنوار المعرفة ، يقول مخاطبا صديقه شاعر دبي أحمد بن سلطان آل سليم :

الله أكبر آن يبدو الذي	يخفي الأديب من الأمور ويكتم
قل لي فذلك النفس قل ^(١) حتى متى	نار العدى بين المشائخ تضرم
فالى م بأسهم قوي بينهم	والى م داء الجهل فيهم يقضم

ويخلص الى أن العلاج انما يكون بالاتحاد ، وبلاستفادة من منجزات العلم :

فعلى الوفا والاتحاد تعاهدوا	والى المعارف والعلوم تقدموا ^(٢)
-----------------------------	--

وأكثر صقر الشبيب من ذكر الجهل ، ويبين أنه السبب الأول في كل ما أصاب الأمة من ضعف وتفرق ، والح على ضرورة الاهتمام بالعلم ، وتفنن في عرض آرائه فتارة نراه يلجأ الى التهكم والسخرية في مثل قوله :

والجهل - والحمد له - مريحنا	من كل ما نضم منه الرهبنا
والشعب طوع للهوى والهزء إن	بكل شعب لم يكن منشعبا ^(٣)

(١) في الأصل « قل لي فذلك النفس حتى متى . . . » وصوابه « قل لي فذلك النفس قل حتى متى . . » انظر

مجلة الكويت - ج ١٠ - ١٣٤٧ هـ . ومجلة البيان - أيار ١٩٦٧

(٢) مجلة الكويت ج ١٠ - ١٣٤٧ هـ

* الشاعر عبد الله العلي الصانع : ولد سنة ١٩٠٢ وتوفي في ١٧/٢/١٩٥٤

(٣) ديوانه ص ١٥٦

ونراه تارة أخرى جاداً ، يحرص على الفصل بين التمسك بالدين ، ومسايرة ركب التطور والتقدم والأخذ بأسباب العلم ، اذ لا تعارض بين الجانبين ، يقول عما يعاني المؤمنون بأهمية نشر العلوم :

كُلَّمَا قَامَ مُخْلِصٌ يَنْصَحُ النَّاسَ وَيَهْدِيهِمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ
كَفَرَتْهُ عَمَائِمُ قُرْبِ الْجَهْلِ لِي إِلَيْهَا مِنَّا بَعِيدَ الْمُرَادِ

ويضيف أن المتعصبين لو فقهوا حقيقة الدين لوقفوا حائلاً دون تفرق أبناء الأمة ، ولردّوا كيد أعدائها :

إِنَّ آيَةَ التَّنْزِيلِ لَوْ قُرْئُوهَا أَمَلِي الْوَعْدِ خَائِفِي الْإِعْدَادِ
لَغَدَّوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّانِي وَالْتَجَافِي سَدًّا مِنَ الْأَسْدَادِ
وَأَعَادُوا ذَوِي الشَّمَاتَةِ بِالْعَرَبِ بِ جَمِيعَا وَهَمٍ مِنَ الْحَسَادِ^(١)

ويزداد اهتمام الشعراء بالمناسبات الدينية والاجتماعية ، وتحول المساجد والنوادي والمدارس الى منابر لاذاعة الشعر ، فحين تمر ذكرى المولد النبوي أو مناسبة الهجرة أو المعراج ، يتسابق الشعراء الى احياء تلك المناسبات ، وتبدأ القصيدة عادة بذكر المناسبة ، ثم لا تلبث أن تتخلص الى تناول الأوضاع العربية .

وكذلك يفعل الشعراء حين يفد الى البلاد أحد الزعماء أو المصلحين العرب ، اذ نجدهم يتبارون في الاحتفاء به ، ويكون استقبالهم له مناسبة لطرح ما يضطرب في نفوسهم من مشاعر قومية ، مع الحرص على المقارنة بين مسلك الآباء ، وما بلغوا من رفعة ومجد ، وما انتهى اليه أمر العرب من بعد حيث الضعة والتمزق .

فالشاعر فهد العسكر ، وهو يجي المولد النبوي يحرص على ذكر مآثر الأقدمين :

حَدَّثَ عَلَى الْفَارُوقِ عَنَّا الْعَدَا لِيْ كَيْفَ شَادَ الْمَلِكُ وَالسُّلْطَانَا
وَعَنِ الْغُضْنَفْرِ سَعْدَ هَلَا زَلَزَلَتْ بِزُئْرِهَا أَشْبَالَهُ الْإِيْوَانَا

ومعني في ذكر أعمال خالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان وطارق بن زياد وهارون الرشيد وغيرهم ، وينتهي الى وصف حال العرب :

(١) ديوانه ص ٢٠٩

عبثَ الفسادُ بنا فبعثرَ مُلْكَنَا والجهلُ شَتَّتَ شَمْلَنَا فكفانا^(١)

ويسلك عبد الله النوري الطريق ذاتها في قصيدة له بمناسبة المولد النبوي حين يعدد مفاخر الجدود في المغرب ومصر والعراق والشام :

وعرّج على الشام وانزل بها دمشق وغنّ الغناء الشجي
بذكرى زمان مضى لكرام بنوا ثمّ عرشاً لهم أموي

ويأتي على ذكر موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وعمرو بن العاص ، والمنصور والرشد والمأمون ليصل الى وصف حال البلاد الآن :

بلادك تشكو السقام الأليم وأنت بدفع بلاها حري
أصمتت مسامعَ أبنائها تقول إليّ انهضوا أي بني^(٢)

وكان قدوم المصلحين العرب الى البلاد أمراً يستثير القرائح ويهيج النفوس ، فكانها تنتظر تلك المناسبات لتستقبلهم بما هم أهل له ، ولتنثر أمام مسامعهم المشاعر المتأججة .

ويلاحظ أن الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي حظي بقدر من الاهتمام لم يحظ به سواه ، فما يكاد يحل بالبلاد حتى ينهض الشعراء الى استقباله بالصورة التي تليق بمقامه في النفوس . فحين زار الكويت في عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م أقامت له مدرسة السعادة حفلة تكريمية ، تبارى الشعراء خلالها في تكريمه ، ثم في توصيل وجهات نظرهم اليه ، ومما قال محمود الأيوبي :

يازعيم العرب أنعشت بنا أملا كاد يلاشيه الذمر
يامنير العرب الأحرار في تونس الخضراء لبّتك الزمر
يازعيم العرب وثّبت بنا ثورة التحرير من بعد الضجر^(٣)

وفي زيارة الثعالبي الأخرى للكويت سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م لم يستطع صقر الشبيب حضور الحفل الذي أقيم لتكريمه ، فأناب عبد اللطيف النصف ليقراً قصيدته بين

(١) فهد العسكر : حياته وشعره ص ١٤٣ ط ٣

(٢) من الكويت ص ٨٣

(٣) الحان الثورة ص ١٨٨

يديه ، ولأن صقرا يرى في التعصب والمتعصبين سببا لكل بلاء تعاني منه الأمة ، لذا نجده
يحرص على أن ينقل للثعالبي هذا الاحساس الذي يلح عليه ويقلقه ، ويكاد يكون سمة
غالبة على شعره ، ولعله يطمح في أن يجد الزعيم التونسي- بما له من قوة تأثير - مخرجا
للأمة من تلك المحنة التي تعطل انطلاقتها :

هل في صحيح الدين ما يدعوا الى مُردي التفرق والتعادي المتعس
كلّا . ولكن ناصيره كُفّة عكسوه عمدا ويلهم من عكس

ويختم قصيدته بتوكيد أهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه الثعالبي :

فمن الذي من بعد واحد تونس نرجو لاسكات العوادي الرجس^(١)

وكان خالد الفرج في البحرين حين زارها الثعالبي ، فاشترك في الحفل الذي أقيم
لاستقباله هناك ، وبعد أن حيّاه عرج على عرض حال الوطن العربي ، وما يعاني من جهل
وتخلف :

عبد العزيز وأنت أفضل قادم وافي بوقت النهوض مُناسب
بلغت بنا النفس التراقي من عنا جهل لأطناب المذلة ضارب

وانتهى الى مطالبته بأن ينشر خبايا ما رأى من وجوه النقص خلال زيارته للجزيرة
العربية :

فاكتب وعظ وأنشر خباياها لهم في الخافقين فأت أكبر كاتب^(٢)

وربما تعلق الشعراء ببعض الخطوات الأولية التي تمت على طريق التضامن ورأوا فيها
بادرة ايجابية ، لعلها تبعث الأمل المندثر حول جمع شمل العرب ، على نحو ما نرى
عند راشد السيف * ، الذي حيّا جامعة الدول العربية ، حين أعلن عن قيامها وأكد في
الوقت ذاته أن الأمر لا يصلح الا بتضافر جهود أهل الرأي :

لولا التفاؤل يا عزام^(٣) أدركني قبل التضامن عن تفكيركم أجلي

(١) ديوانه ص ٣٢١

(٢) ديوانه ص ١١٢

(٣) يقصد عبد الرحمن عزام أمين جامعة الدول العربية آنذاك

عواهلُ الرأي والأقطابُ في الجدل
تنمو سريعا لقمع الظلم والخطل^(١)

لا يصلح الأمرُ الا أن تقوم به
وثورة من مفيد العلم ثروتها

ولعل أحمد العدواني يمثل بداية مرحلة جديدة ، حيث أخذت القصيدة القومية أو السياسية تنسلخ عن تبعيتها لشعر المناسبات وعن الالتصاق المباشر بالأحداث لتستقل بموضوعها ، وتنحو في معالجته نحواً جديداً يعتمد الشمول والبعد عن الجزئيات ، مع الاستعانة بالوسائل الفنية المتطورة كالرمز ، يقول من قصيدة له بعنوان « نداء » :

أفيقوا فالحمى وشكّ انتهاب
ولابت حوله طلس الذئاب
أخذتم في السهول وفي الهضاب
إذا زحف الخراب الى الرحاب
من العثرات في كهف العقاب^(٢)

رعاةُ الشاء في دهم الروابي
توسدت الثعالب جانبيه
فان لم تنفضوا البحران عنكم
ولن يغنيكم صوت وصول
ولا ندم ولا أسف مُقيل

(١) مجلة كاظمة تشرين أول ١٩٤٨

• الشاعر راشد السيف : ولد عام ١٩٠٠ وتوفي في ١٣/٢/١٩٧٢

(٢) مجلة البعثة - شباط ١٩٤٩

التفاعل مع الأحداث العربية

لم تقف المسافات حائلاً دون التفاعل مع أحداث الوطن العربي من محيطه الى خليجه ، وعلى الرغم من كون فلسطين محور الاهتمام الأكبر ، الا أن ذلك لا يعني اغفال بقية الأقطار العربية ونضالها من أجل التحرر ، فقد فضح الشعر أساليب المستعمرين وأعمالهم الوحشية ، ودعا الى مساندة من يتعرضون للعدوان ، كما مجد المخلصين والمناضلين في سبيل حرية الأمة ، وعمل على كشف المتخاذلين والمنحرفين ، وسيان أن يقع الاعتداء ، أو الظلم على البحرين ، أو تكون الجزائر الهدف ، فالأمر في كلا الحالين مثير مهيج للقرائح ، ومن هنا نرى عبد الله النورى يهب لاستنكار الارهاب الايطالي في ليبيا ، ففي عام ١٩٣١ نشر قصيدة حول هذا الموضوع ، بعنوان « لا فخر لمن ذل » ثم أتبعها بأخرى بعد عام ، حين قال منددا بوحشية الايطاليين وأعمالهم الشائنة في طرابلس :

قُبْحاً لَكُمْ يَا بَنِي رُومَا فَبَغِيكُمْ	جَنَيْتُمْ فِيهِ يَا ظُلَامُ شَنَا
سَفَكْتُمْ الدَّمَ عِدْوَانَا بِلَا سَبَبٍ	أَيْتَمَنْتُمُ النَّشْءَ طِفْلَاتٍ وَوَلَدَانَا
وَفَعَلَكُمْ مَا فَعَلْتُمْ فِي طَرَابِلُسَ	يَا جُنْدَ «فَاشِسْت» عَصَرَ النُّورِ قَدْ شَانَا
زَلْزَالَ ظَلَمَكُمْ وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ	نَاراً تَهْجُرُ فِيمَا بَعْدُ بُرْكَانَا
وَحَشِيَّةً يَا بَنِي رُومَا الْبَغَاةَ لَقَدْ	فَلْتُمْ بِهَا عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ أَضْغَانَا ^(١)

وبلاحظ أن الجزائر احتلت من ديوان الشعر الكويتي حيزاً كبيراً ، نظر لما عانت من شراسة المستعمر وسعيه الى طمس وجهها العربي ، ثم لما بذل شعبها من تضحيات جسام ، لذا نلمس الاهتمام بتمجيد بطولاتها ، والاشادة برجالاتها واستنكار تقصير العرب عن مساندتها كما ينبغي ، والتنديد بوحشية الاستعمار الفرنسي .

ويبلغ الأمر حد استغراب بعضهم من انغماس أجهزة الاعلام في اذاعة اللهور في وقت تكابد الجزائر فيه صنوف العذاب ، وتحتاج الى انصراف كل الجهود لنصرتها ، ومن ذلك قول صقر الشبيب :

(١) من الكويت ص ٣٤

ثم ادعوا انكم ما زلتُم عَرَبًا
من دوننا كل ما قد آد (١) أو كَرَبًا

دعوا الجزائر تلقي الويل والحربا
لو لم نزل عربا لم تلق اخواتنا

تبث ملء الشروق اللهو والطربا
ما يقتضي طول بث اللهو والدأبا

ما للاذاعات بين العرب دائبة
كانها حسبت أهل الجزائر في

ويخلص الى أن العرب لو نهضوا كما تتوقع الجزائر منهم أن يفعلوا لتغيرت الحال :

عنهم ذئاب فرنسا النصر والغلبا (٢)

ولو نهضتم كما رجوا لما حسبت

وتتبع الشعر مراحل الثورة الجزائرية منذ انطلقت أول رصاصة الى أن تحقق النصر ،
مرورا بما عانت من تعذيب وتشريد لقادتها .

ويصف عنجري أحمد العنجري * ثوار الجزائر بأنهم خبروا كنه الحياة ، وعرفوا
طريق الخلاص فسلكوها ، غير عابئين بما سوف يلحقهم من أذى :

جيشا يقض الغاصب الجبارا
وكذا الأبي يرى المذلة عارا
حتى ولو صار النجيع بحارا (٣)

قد أدركوا كنه الحياة فجيّشوا
لم يثنوا رغم التعسف والقتل
لا يدعرون من المدافع إن دوت

ويفخر خالد سعود الزيد * بأولئك الرجال الذين طهروا قمة الأوراس بدمائهم
وتضحياتهم :

مجدا ومن طهرها بالدم
أكرم بها والمطعم المكرم
ما عابها مبن الحقود العمي (٤)

سل قمة الأوراس من زانها
نحن قريناها بأرواحنا
أيامنا في الدهر مشهودة

(١) آد : أثقل

(٢) نيوانه ص ١٥١

(٣) حريدة صدى الايمان ١٩٥٥/٤/١

(٤) مجلة البيان آذار ١٩٧٣

* الشاعر عنجري أحمد العنجري : ولد في عام ١٩٣٨ ، ويعمل في شركة الزيت العربية « البايابية » .

* الشاعر خالد سعود الزيد : ولد في ١٩٣٧/١/٢٧ - يعمل في وزارة المواصلات بوظيفة مراقب الشؤون الادارية

ويعود عبد اللطيف النصف الذي هجر الشعر منذ زمن بعيد ليحيي انتصار الجزائر
على أعدائها ، وليفخر بطولات الجزائريين :

ملّت الأرض تحته وهو صاب	لمن الشعب فوق أرض الجزائر
بعثا في صفوفها وابن عامر	فانظروا هل قتيبة والمثنى
طال يوم الوغي بحدّ البواتر	أم على الخيل خالد قاهر الأب
ر وينقّض كانهضاض الكواسر	أم هو الليث طارق يعبر البحر

حشد القوم كلّ أسلحة المرو ت لكي يظفروا فكنت الظافر^(١)

وعن المغرب « مراکش » تحدث خالد الفرج ، فسخر من فرنسا التي لقنت في الصين
درسا قاسيا ، كما سخر من قومه الذين لا يملكون غير الاحتجاجات :

ثم على الصين خلعت الشروق	يا شمسُ إما غبتِ عن « طنجة »
في الصين أعتاهم كفأر غريق	تري بني باريس آسأدها
ونحن لا نملك الا النقيق ^(٢)	تمضي فرنسا في اعتداءاتها

وتوجه بالخطاب - في قصيدة أخرى - الى الرئيس الامريكى ايزنهاور ، فأخبره
بما ترتكب فرنسا من مظالم في القطر المغربي ، وكأنه يريد أن يستنجد به :

يا ترى هل للرئيس الـ	حر	مقياس	يقيس
إن قطر المغرب المسـ	كين	بالظلم	تعيـس
من ظلامات فرنسا	وبما	كانت	تسوس ^(٣)

ومن أقصى المغرب العربي تنقلنا مشاعر خالد الفرج - التي لا تعرف الحدود - الى
أقصى المشرق ، ليعرض الوضع في البحرين بعد أن شهدت انقلابا قام به الميجر ديلي ضد
حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ، فاستولى على السلطة ، وخنق الحريات ، وزج
بالأحرار في السجون :

وهذه البحرين مغلولة يقودها الغرب الى حفرة

(١) جريدة الهدف ١٩٦٢/٢/٢٥

(٢) ديوانه ص ٢٠٧ - خالد الفرج حياته وآثاره ص ٧٥

(٣) ديوانه ص ٢٢١ - خالد الفرج حياته وآثره ص ٧٤

يخنقُها الغربي في كفِّها وباسمها يستر من سوءه^(١)

ويشير عبد الله سنان* الى محنة عمان ، حين تعرضت للعدوان البريطاني فقاومتها
ببسالة ، على الرغم من ضعفها :

هتّوا سكسونَ بالنصر المبينَ	واهتفوا حيّوا الأسودَ الفاتحينَ
هتّوها بانتصارات على	أمة عزلاء تأتي أن تلينَ
قاومت انجلترا « نزوى » كما	قاوم الاسطولُ أشبالُ العرينَ
قاومت مؤمنةً بالحق لا	تنحني والفوز حلفُ المؤمنين ^(٢)

ولم يكن أعوان الاستعمار ، والحكام المستبدون في المنطقة العربية بمنأى عن غضبة
الشعر ، وعن عينه التي لا يفوتها ان تواكب الأحداث ، وتكشف ما يستر وراءها .

ويلاحظ في هذا الصدد الاهتمام بتابعة تغيرات الوضع الداخلي
في العراق بصفة خاصة ولعل ذلك يعود الى تعرض العراق لكثير
من المؤامرات الاستعمارية والشعبية التي كانت تهدف الى تعطيله
عن أداء دوره النضالي ، ثم الى انعكاس واقعها على منطقة الخليج
بشكل مباشر ، ففي قوّته وتحرره دعم لتلك المنطقة
التي تعيش في حال مزرية من التمزق والضعف ، وفي
تشويه وجهه العربي ما يؤدي الى مزيد من الهوان والضياع .
ومن هنا نجد الشعر - وان لم يغفل الأوضاع العربية الداخلية - يعنى برصد
أى انحراف أو تعثر في مسلك ولاية الامور في العراق .

وقد لقي نوري السعيد الكثير من النقد ، نظرا لانتهاجه سياسة الموالاتة
للانجليز وسعيه الى ربط بلاده بسياسة الأحلاف الاستعمارية ، وفي ذلك يقول
محمود الأيوبي :

نوري السعيد ومن والاه من نفرٍ	شَلَّتْ أياديهمُ بالصدر قد مُرِنُوا
همُ الخيانة في أشقى مخائِلها	تَكَشَّفَتْ وبها كم عُدْبَ الوطن ^(٣)

(١) ديوانه ص ١٣٠ - خالد الفرج حياته وأثره ص ٤١

(٢) نفحات الخليج ص ١٩١

* الشاعر عبد الله سنان محمد : ولد في عام ١٩١٦ . يعمل في ادارة مكتبة صغيرة يمتلكها . بعد أن تقاعد من

وظيفته الحكومية . (٣) الحان الثورة ص ٧٩

ولم ينج عبد الكريم قاسم من التقريع واللولوم ، فبعد الله سنان كان يتوسم خيرا ، بقيام ثورة ١٤ من تموز ١٩٥٨ ، ونهاية عهد نوري السعيد وجماعته ، وخاب ظنه حينما انقلب قاسم عن أهداف الثورة ، وفسح المجال للعناصر الشوعية كي تنكّل بالأحرار :

كُنَّا	تَوَسَّمْنَا	بِهِمْ	خَيْرًا	فَمَا	قَصَدُوا	الْهَدَايَةَ
فِكْمَا	هُوَ	عَبْدُ	الْإِلَهِ	وَقُطِّعَتْ	أَوْصَالُ	نُورِي
فَلَسُوفَ	بَلَقَى	الْمَجْرُمُو	نَ	وَحَمَرَهُمْ	نَفْسَ	الْمَصِيرِ ^(١)

وللشاعر نفسه قصائد أخرى في هذا الموضوع .

وثمة قصيدة فريدة في بابها لمحمود الأيوبي ، تناول فيها قضية الظلم الاجتماعي في منطقة الجزيرة العربية والخليج ، فعلى الرغم من تدفق الزيت بغزارة بالمنطقة ما تزال تعيش في حال مزريّة من الفقر والجهل والتخلف ، أما الموارد الضخمة فتتجه الى خزائن المستعمرين المستغلين ، والحكام المحليين الذين أعماهم الجشع والشره عن التفكير في النهوض ببلادهم ، وتوجيه مواردها لخدمة البؤساء ، وهو يفصل جوانب القضية بجديسه وعنف لم نألفهما فيما وصلنا من شعره ، إذ يبدأ بوصف الكيانات الضعيفة المبعثرة في المنطقة :

فِي كُلِّ أَرْضٍ سَرِيرٌ فَوْقَهُ صَنِيمٌ	مُرْقَشٌ يَتَعَالَى بَيْنَ أُوتَانٍ
هَذَا وَجْهِهِ وَهَذَا عِنْدُنَا مَلِكٌ	كِلَاهُمَا لِأَمَانِينَا عِدْوَانٍ

ويشير الى جوع الملايين وبؤسها وجهل ولاة امورها :

هَذِي الْمَلَائِينُ فَازَ الْمُسْتَغْلُ بِهَا	وَلِلرَّعِيَةِ مِنْهَا كُلُّ حَرَمَانٍ
مَدِينَةٌ حَوْلَهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ	مَدِينَةٌ مَلُؤَهَا فَقْرٌ وَجَهْلَانٍ
جَهْلُ الرِّعَاقِ وَجَهْلُ السَّاكِنِينَ بِهَا	كِلَاهُمَا عِنْدَ أَهْلِ الْفِكْرِ خَصْمَانٍ

وبين من ثم كيفية ضياع الثروات الضخمة :

وَلِلْكُنُوزِ الَّتِي ضَمَّتْ جَزِيرَتُنَا	غُولَانٍ مِنْ شَرِّهِ قَاسِيٍ وَلِصَانٍ
صَنَفَ مِنَ الزَّعَمَاءِ الْخَائِنِينَ لَهُمْ	صَنَفٌ مِنَ اللَّؤْمِ فِي أِبْرَادٍ إِحْسَانٍ ^(٢)

(١) نفحات الخليج ص ٢٢٧

(٢) الحان الثورة ص ٤٣١

(٣)

الحث على النضال ضد الاستعمار وأعدائه

لم يكن من المقبول الوقوف عند الشكوى والتذمر ، والتنديد بما يمارسه المستعمرون وأعدائهم ، في الأقطار التي أنشبت الاستعمار فيها مخالفه ، فلا بد من حث الجماهير على النضال والجهاد في سبيل التحرر ، فالحرية لا تنتزع الا من خلال العمل الدائب والتضحيات الجسام ، كما أنه لا بد من توجيه اللوم الى المتخاذلين الذين يكتفون بالتفرج ، والى الذين تستنزف القضايا الثانوية اهتماماتهم ، وتصرفهم عن التنبه للحظر الذي يستهدف وجودهم .
وها هو ذا فهد العسكر يصوّر العصر على أنه لا يفهم سوى لغة الحديد والنار أما الأخاء والمساواة فلا وجود لهما :

يا بني الفاتحين إنّنا بعصر	لا مساواة فيه لا مدنيّة
لا أخاء كما ادّعوا لا حقوق	لضعيف عان ولا حرّيّة
لغة النار والحديد هي الفص	يحى وحظ الضعيف منها المنيّة
يا بني الفاتحين حتّام نبقي	في ركود أين النفوس الأبيّة ^(١)

ويشدّد عبد المحسن الرشيد على أهمية القوة ، ويحذّر من أباطيل السياسة التي تتخذ لها في كل يوم لونا جديدا :

وإنّا بعصرٍ للقوى تحكّم	بكلّ ضعيف يستكين له رعبا
فمن كان ضرغاماً يُهابُ ومن يكن	خروفا يجد من كلّ ناحية ذنباً
فخلّوا أباطيلَ السياسة إنّها	لحرباء تبدي كلّ يوم لها ثوبا

ثم يدعو الى ضم الصفوف والتضحية في سبيل الوطن ، ويحذّر من التفرق :

وظنّي بقومي أن يضموا صفوفهم	وأن يضربوا كفّاً وأن يحملوا قلبا
وأن يعرضوا عن كلّ داعٍ لفرقة	وهل تطرب الغربان سامعها نعباً ^(٢)

ولأحمد العدواني اسلوبه الخاص في الدعوة الى العمل ، فهو يطالب بأن نكون واقعيين ،

(١) فهد العسكر : حياته وشعره ص ١٣٩ ط ٣

(٢) أغاني ربيع ص ٢٧

إذ لا فائدة من التوقف عند شيء انتهى ، بل لا بد للقدام أن يكمل ما بدأه السابق :

يا أخي إن مت لا تس	كب على قبري دَمعة
بل خذ الشمعة من كَه	ي وكن في الليل شمعة
إنني منك قريب	كلما ضوأت بُقعة
وتركت الليل يهوي	قطعة في إثر قطعة

وإذا ما سار الأمر على هذا المنوال فلا محل للخوف أو اليأس ، إذ أن سنة الحياة لا تسمح لما يخالف الطبيعة بالبقاء :

لا تخف من جامد مه	ما تعالى وتجبر
سوف يمضي كسحاب	لامس الريح فأسفر
أضعف الأشياء شيء	ثابت لا يتغير
البلبي تنخر فيه	وهو لا يملك دفعة ^(١)

ويرافق الدعوة الى النضال واعتماد القوة بروز الاحساس بأن التعلق أو التشدد بأمجاد الماضي لم يعد أمرا سارا أو مشرفا ، فما قيمة الادعاء بأن الآباء حققوا من المنجزات الحضارية ما يدعو الى الاعتزاز في الوقت الذي يعيش فيه الأبناء واقع الذل والهوان ؟ وفي هذا المعنى يقول عبد الله أحمد حسين :

فاتركونا من التشدد بالمج

يد فمن أنتم وذكر المآثر

كم فتحتم وكم ملكتم وسدتم	فارقدوا الآن في بطون المقابر
خالد منكم وسعد وعمر	فاكتفوا منهم بما في الدفاتر

وينتقل من بعد الى الحث على الجهاد بأسلوب ينم عن التذمر :

فالجهاد الجهاد بُح لنا الصو	ت وكل في مهمة الفسق سادر
والثبات الثبات إن زعزع الح	ق وساءت من الطعام السرائر
وتواءت نواجد الشر تجتا	ح عربنا صافي العروبة طاهر ^(٢)

(١) جريدة الطلبة - ١٩٦٤/١/٨

(٢) مجلة كاظمة تشرين أول ١٩٤٨

ويبقى الجهاد والتضحية السبيل الذي لا مفر منه لبلوغ الغاية ، وبقدر ما يُطلب الموت تكتب لطالبيه الحياة ، كقول عبد الله زكريا الانصاري * :

فأطلبوا الموتَ بالجهادِ لتحيا	وانشدوا العزفوق هام الأضاحي
قد أتت ساعةُ الجهادِ وقد د	قَت فحيوا على العُلا والفلاح
فحياةُ الفتى على الشوكِ أحلى	في ذرى العزمن حدود الأفاق «

أما السلم ، أو المسألة بمعنى أدق فلا محل لها حين يشعل العدو لظى الحرب والعدوان ، انها لا تعدو أن تكون حينئذ ضرباً من الجبن ، لذا يحذر أحمد السقاف من خديعة السلم ، ويبارك الجهاد ويحث عليه :

بارك الله في الجهادِ ولا عا	شَت نفوسٌ تعيشُ عيشَ البهائم
أيُ معني للسلم إن سَعَرُوا الحر	بَ وما قيمةُ الجبانِ المسالم
ذا أو أن النهوضِ يا معشرَ العر	بِ فلا عذرَ بعد ذلكَ لنائم «

ومن حق المناضلين الذين لبوا نداء الواجب أن ينالوا التقدير والتكريم الذي يستحقون ، فمنهم من أرخص دمه ، وبينهم من تعرّض للتعذيب أو النفي . وعلى الرغم من كل الظروف القاسية التي عاشها الوطن العربي ، فما زال الشعب يدفع الى مذابح الحرية بقوافل الشهداء ، وما برح المؤمنون بحق أمّتهم في الحياة يستسهلون التعذيب والقهر في سبيل ما ينشدون .

وحرى بالشعر أن يسجل للمناضلين والمخلصين ما قدّموا من تضحيات وما حققوا من مكاسب ، وأن يعبر عن مشاعر الاعتزاز والفخر بهم ، وأحاسيس الألم لما يعانون من أذى ومصاعب .

فحين هب أبناء الريف المغربي بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي لمقاومة المحتلين ، وذلك ما بين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٦ ، ترددت أصدا تلك الثورة في الكويت ، فسجلها عبد اللطيف النصف في قصيدته « الى أسد الريف » التي أشاد فيها بالخطابي وبطولته قبل أن يضطر الى الاستسلام :

(١) مجلة كاظمة تموز ١٩٤٨

(٢) مجلة كاظمة أيلول ١٩٤٨

* الشاعر عبد الله زكريا الأنصاري : ولد في عام ١٩٢٠ - ويعمل مديراً لإدارة الصحافة والثقافة بوزارة الخارجية .

طَلَعَتْ فَظَنُوا فِي ثِيَابِكَ طَارِقًا
صَدَمَتْهُمْ وَسَطَ الْمَلَحِمِ صَدْمَةً
فَلَلَهُ يَوْمَ فَيْكٍ قَدْ شَهِدَ الْعَدَا
فَقَدْ عَلِمْتَ مَدْرِيْدُ أَنْكَ فَاتِحُ

وَذَكَّرْتَهُمْ أَيَّامَ طَارِقٍ فِيهِمْ
فَكَمْ بَعْدَهَا ثَكْلِي تَرْنٌ وَتَرْزُمُ
حَسَامًا جَلَاهُ اللَّهُ لَا يَتَلَمَّ
وَقَدْ شَهِدْتَ بَارِسُ أَنْكَ صَبِيغُ^(١)

ويطوف بنا الشعر أقطار المغرب العربي ، فيحيي مناظلي الجزائر وتونس وليبيا
ويتحول الى مصر فينوه بالمخلصين من أبنائها ، وينتقل الى أقطار الشام فالعراق ليشيد بقادتها
ويمجد أعمالهم ، وينتهي الى الخليج العربي فيخص البحرين بنصيب وافر من الاهتمام ،
نظرا لصلابة شعبها في النضال .

وها هو ذا خالد الفرج الذي لا يكاد يغفل حدثا عربيا ينعي « أمين الرافعي » حين توفي
في عام ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م ، لأنه فتح صدر جريدته « الأخبار » لنشر أعمال الانجليز
ضد البحرين ، ولم يفته في هذه المناسبة أن يذكر بزعماء الشعب العربي في مصر مثل سعد
زغلول ومصطفى كامل :

هذه مصرُ رماها دهرها
تكلت بالأمس « سعدة » بدورها

برصاصات المنايا فأصابا
فأذلهمتْ ظلمةٌ والبدر غابا

ويتحول الى ذكر أمين الرافعي :

شيئت مصرُ أمينا مخلصا
ويربط بينه وبين مصطفى كامل :

قطُّ ما ساومَ في الحق وحابا

لَوْ دَرَى « كاملُ » عن مقدمِهِ
لَنَصَا الْأُكْفَانَ عَنْهُ وَالتَّرَابَا

ويشيد بجريدة الرافعي « الأخبار » ودورها في كشف أعمال طاغية البحرين
الميجر ديلي :

أُرْجِفَتْ مِنْ مِصرَ فِي تَقْرِيعِهَا
طَاغِي الْبَحْرَيْنِ نَقْدًا وَاحْتِسَابًا^(٢)

أما الرئيس جمال عبد الناصر فحظي بقدر كبير من الثناء والتقدير ، لمواقفه المعروفة
ضد الاستعمار ، ومن قول محمود الأيوبي في تعداد مآثره :

(١) تاريخ الكويت ص ٣٠٤ - ادباء الكويت في قرن ١/٢٥٤ ط ٢

(٢) ديوانه ص ١٥٨ - خالد الفرج حياته وآثاره ص ١٠٣

أبراجهم يوم الكفاح المرعب
حرية الحمراء دون تهيب
للحق لم تهدأ ولم تتكبد
أمجادها من كل قيد أجني^(١)

بك يا جمال الغاصبون تقوّضت
فلقد رفعت رؤوسنا في ساحة ال
في كل قلب من صنيعك ثورة
ولقد وقفت من القناة محررا

وحين تعرض بعض زعماء البحرين للنفي من بلادهم في عام ١٩٥٦ . وقف عبد الله
سنان يحييهم ، ويربط بين حادثة نفيهم ونفي زعماء الجزائر وكأن الطرفين على موعد في
المحن :

هم الهداة لسار في الدجن الدكن
بلوى على موعد في الأسر والمحن
سرت فأحييت قوى خارت من الوسن^(٢)

ما استبشرت «سيشل» الا بمقدمهم
كأنهم وصناديد الجزائر في ال
إني أحيي بهم روح النضال فقد

وحين اطلق سراح زعماء البحرين بعد حين عاد الشاعر الى الاشادة بهم
والسخرية من المستعمرين وأعوانهم :

ذوى الوفا والبسالة
ت « و « ابن شملان »^(٣) قاله
صكت عليه الحباله
ترد حقا هوى له
مة غدت كالحثالة^(٤)

قف واستمع يا ابن ودي
« لباكر » و « العليوا
قالوا سنبقى لشعب
نضني كالشمع كي يس
يحور الأرض من طغ

ولم يغفل الشعر دور كثير من المناضلين العرب أينما كانوا ، ومنهم جـول جمال ،
وجميلة بو حريد ورجاء أبو عماشه وغيرهم .

(١) الحان الثورة ص ٤١

(٢) صفحات الخليج ص ١٩٥

(٣) اسماء زعماء البحرين الذين تعرضوا للنفي

(٤) صفحات الخليج ص ٢٣٠

(٤)

الثورات التحررية

بقى الوطن العربي يعاني من التفكك والضعف منذ وطئ الاستعمار الأرض العربية وجعلها ضمن مناطق نفوذه وأقام في كل ناحية كيانا يضمن مصالحه . وقد أدت تلك الكيانات دورها في ترسيخ التجزئة والضعف ، وأحست بعض الزعامات أن بقاءها مرتبط بالمستعمر فأسلمت له قيادها ، وأمست الحارس الأمين لمصالحه ، وطبيعي أن تلجأ في سبيل تأدية ذلك الدور الى انتهاج سياسة معادية لأمانسي الجماهير وتطلعاتها .

وكانت نكبة فلسطين في عام ١٩٤٨ أخطر حلقة في سلسلة الهزائم المتتالية التي مني بها الوطن العربي في التاريخ الحديث ، وقد سبقها وقوع معظم الأنظار العربية في دائرة النفوذ الاستعماري المباشر أو غير المباشر ، لذا كانت النفوس مهيأة لاحتضان أية حركة تحريرية تنشد التغيير .

وكانت الجماهير في حاجة ملحة لأن تلقي بثقلها وراء أية قيادة تحلم أن بإمكانها تجاوز الوضع الشاذ . وساد الاعتقاد بأن الامكانات متوافرة لتبديل كثير من المعضلات والمعوقات وأن الأمر لا يحتاج إلا الى قيادة مخلصه تفجر الطاقات الهائلة الكامنة في الشعب العربي .

وما دامت الآمال معلقة ومرتبطة بتلك القيادة المتحررة المرتقبة ، التي عاشت الواقع السيئ ، فأدركت كنهه ، وخبرت سبل تقويمه ، فلا بد من أن تنتج كل الجهود لتأييدها واحتضانها والتعلق بها ، ومن ثم تحميلها عبء تحقيق كل التطلعات والمطالب .

مصر

وقامت ثورة ٢٣ من يوليو « تموز » سنة ١٩٥٢ في مصر ، فكانت النافذة الاولى التي انفتحت وسط ليل متجهم مكفهر الوجه ، ومن المؤكد أن تتلقى الجماهير ميلاد الثورة بالبهجة والفرح ، وأن تسقط عليها حاجتها الى القيادة

التي تأخذ بيدها ، وتخلصها مما تعاني ، وربما بلغ الأمر حد مطالبة الثورة بما يفوق امكاناتها ويجاوز طبيعتها .

واذا كانت تلك المشاعر مقبولة في البداية ، ومنسجمة مع طبيعة الوعي في تلك المرحلة ، فانها قادت في النهاية الى نمو ظاهرة التواكل والتراخي عن المشاركة والمبادرة ، والاكتفاء بالانتظار والترقب ، فالقيادة هي المكلفة وحدها باقتطاف ثمار النصر في كل ميدان ، دون أن تكلف الجماهير نفسها عناء المساهمة في العمل من خلال تكتيل جهودها وتنظيمها ودفعها في الطريق المطلوب . وقد يكون من التعسف تحميل الجماهير كل المسؤولية في التقصير . ذلك أن أجهزة الاعلام الموجهة توجيهاً غوغائياً ساهمت في التضليل وترسيخ ظاهرة التواكل ، ومحاربة مبدأ العمل الجماعي .

واذ قدر للجماهير أن تساهم في مساندة الثورة ، فان مساهمتها لم تجاوز - خلال فترة طويلة - الدور السلبي ، المتمثل في التأيد المعنوي فحسب .

ولعل الشعر يعكس الحقيقة المتمثلة في استقبال الثورة المصرية باللهفة والحماسة ، ومطالبتها بتحقيق كل شيء ، ونذكر في هذا الصدد أن صقر الشبيب كتب في عام ١٩٣٧ يلوم مصر الملكية على ما عده سكوتاً عن نصره فلسطين حين قال :

لومي فلسطين العزيزة أو ذرى	مصر ا على هذا السكوت المنكر
سكتت وصوت الظلم يدوى معلنا	تقسيمك المشجي كأن لم تشعر ^(١)

فلما قامت ثورة الثالث والعشرين من تموز « يوليو » سنة ١٩٥٢ لم يفته أن يعتذر لمصر عن قوله السابق .

عتبت عليها قبل ثورتها لما	رأيت لها إذ ذاك من موجب العتب
فرددت الى حمد عتاي كله	لمصر مساعي أسد ثورتها الغلب

ومضى في تمجيد الثورة ، ثم تمنى عليها أن تعمل على ازالة الكيان الاسرائيلي :

وأنا نرجو أن يتوج سعيهم	بنزعهم من بيننا شوكة الجنب ^(٢)
-------------------------	---

(١) ديوانه ص ٢٧٨

(٢) ديوانه ص ١٠٩

ونحنا أحمد السقاف مثل هذا المنحى في عرض تمنياته على الثورة ، وخصّ
محمد نجيب بالتحية ، ووصفه بأنه معنى الخلاص والكفاح :

نجيبُ تُفدِّيكَ منا القلوبُ	تَرَعَمَ على الأمةِ النائرة
فلو لم تكن أنت معنى الخلاص	لجاءت مفاهيمه قاصره
ولو لم تكن أنت معنى الكفاح	لظلت مكانته شاغره

ثم نبّهه الى أن فلسطين تنتظر الخلاص على يديه :

نجيبُ فلسطينُ ترونو اليك لتقطع عن وحشها ذابره^(١)

وأحسن خالد الفرج - لغيرته على ثورة مصر - أن الواجب يدعوه للتنبية
الى ما لا يراه صالحا ، فهو يؤمن باطلاق الحريات ، وباعتماد الانتخابات
وسيلة لشغل المناصب القيادية :

إنَّ من كَمَمْتُمْ أفواههم	هم ذوو الحكمة والعلم أولوها
اجعلوا الأمة فيهم حكما	بانتخابات صحاح وادخلوها
ودعوا أمتهم تسقطهم	فهي لن تقبل ناسا ضللوها
حسان أذهبتها عنكم	سيئات ليتكم لم تفعلوها ^(٢)

وازداد التعلق بثورة ٢٣ يوليو - تموز ١٩٥٢ عاما بعد عام ، وأصبحت مصر
محط أنظار العرب ، وتعمق الاحساس بأنها المهياة لقيادة الركب العربي الى بر
الامان ، وبرزت الدعوة الى ضرورة الالتفاف حول الثورة وحمايتها من تأمر
أعدائها ومن ذلك أن عبد الله الجوعان عبر عن بعض المخاوف ، قبيل وقوع
العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ ، ودعا الحكام العرب الى التضامن والاعتراف
بأن مصر هي المهياة للقيادة ، لما لها من امكانات كبيرة :

إنَّ مصر وما لها من كيان	ومقام لدى الورى ومكان
هي أخرى بأن تدكَّ عروش الـ	ببغي والظلم والعدى في ثوان
وتيدد الدخيل خيئه الـ	ه وترديه في الردى والهوان ^(٣)

وتعرضت مصر للعدوان الثلاثي الذي استهدف وقف مسيرتها التقدمية فنهض

(١) مجلة البعثة - ملحق العدد السادس - حزيران ١٩٥٣

(٢) ديوانه ص ٢٢٣

(٣) مخطوطة

الشعر للدفاع عنها ، والتنديد بالغزاة ، والاشادة بالمقاومة المصرية للعدوان ولعبد
المحسن الرشيد كلمة دقيقة أعاد فيها سبب العدوان على بور سعيد الى كوننا اخترنا
الحياة الكريمة والثورة على الغاصبين :

يا بور سعيد وقد فتكت بجمعهم	أَسَأَلْتُ لِمَ حَشَدُوا الْجِيُوشَ وَجَارُوا
أَلَأَنَّا اخْتَرْنَا الْحَيَاةَ كَرِيمَةً	وَهُمُ لَنَا عَيْشُ الشَّقَاءِ اخْتَارُوا
أَلَأَنَّا ثَرْنَا لِفَصْبِ حَقُوقِنَا	فِي أَرْضِنَا وَهُمْ لَذَلِكَ ثَارُوا ^(١)

وهكذا مضى الشعر في تسجيل انجازات الثورة المصرية على كل صعيد . كما
تابع مسيرة الثورة العربية ، فأشاد بانتصارات الشعب العربي على من صادروا حريته
واستغلوا جهده وكبلوه بقيود العبودية .

العراق

وحين أشرقت شمس الحرية في بغداد بميلاد ثورة ١٤ من تموز ١٩٥٨ ،
استقبل ذلك الانتصار العربي الجديد على قوى التخلف بما هو أهل له .
وعبر محمود الأيوبي عن ابتهاجه لأن الثورة انتزعت العراق من دائرة
الأحلاف وقضت على أعوان الاستعمار :

وفي العراق الأني اهتزت الدمنُ	بثورة لم يلوّث طهرها الوهنُ
بغداد والنجف الميمون حولهما	قد استجابت الى ثاراتها المدن
وثارت الموصل الحذباء ضاربة	ميثاق بغداد في وجه الألى لعنوا ^(٢)

وحين سقط المستبدون الذين كمموا أفواه الشعب ، أصبح بإمكان الشاعر
أن ينشد ألحانه بكل حرية ، وهذا ما عبر عنه على السبتي وهو يشيد بثورة ١٤ من
تموز ١٩٥٨ :

أنا في البصرة
أشدو ألحاني الحرة

(١) أغاني ربيع ص ٥٦

(٢) الحان الثورة ص ٧٩

وأعني لرفاقي في البلد الحر الصامد

ثم بين أنه الآن لا يخشى أعين الرقباء وعملاء « الشعبة الخاصة » من المخبرين الذين كانوا يحصون على الأحرار تحركاتهم :

لا شبحٌ من « نوري » يفزعني
لا عينٌ « الشعبة » ترقبني
لا شكٌ في الناس يدمرني
فالكل غدوا أصحابي^(١)

ويلاحظ أن هذه القطعة تكشف وجهها للتطور الذي أخذ يحدّ على الشعر سواء من حيث الشكل أو المضمون .

وحين انحرفت الثورة عن نهجها القومي ، وتسلفتها العناصر الشيوعية وانتهت بها الى الدكتاتورية المعادية لتطلعات الجماهير ، ارتفع صوت الشعر ليسجل تلك النهاية المؤسفة .

ومن ذلك قول محمد أحمد المشارى* مخاطبا الشيوعيين العراقيين :

أيها المارقون مهلا قليلا نفسُ البغي فيكم لن يطولا

.....

نحن شعب لنا العروبة أصل	لا نخيف الجبال شعبا أصيلا
والعميلون أنتم قرعتكم	من هناك العصا فكنتم طبولا
والدخيلون أنتم وبلادى	طبعتها أنها تعاف الدخिला

وبالفعل لم يطل نفس البغي ، اذ انقضّت الطلائع الواعية في ١٤ رمضان ٨ شباط من عام ١٩٦٣ على معاقل الدكتاتورية الشيوعية فقوّضت أركانها وأعادت العراق الى حظيرة الركب العربي المتحرر .

يقول عبد الله أحمد حسين مخلصا ذلك الانتصار :

الله أكبر ضجّ القاع والألمُ وخرّ منجدلا في صرحه الصنمُ

(١) جريدة الشعب ٤ أيلول ١٩٥٨

ومادت الأرض بالطاغي وزمرته
وقام للمجد فتیان یزینهم
كأنما عهده في أرضنا حلم
عزم وتسمو بهم نحو العلا همم
ويحيي هؤلاء الفتیان الذين أسقطوا عبد الكريم قاسم وصحبه :
نفسی الفداء لأبطال سموا كرما
طوبى لصيد أتوا بالمعجزات وما
نحو المعالي وفي أعطافهم شمم
ردّ الميامين في الساحات مزدحم^(١)

وأشاد عبد الله الجوعان بثورة ١٤ رمضان ورجالها :

حي العراق وحي في
راحت مدافعه تصب ال
كلّ منتفض وثائر
نار في أوكار غادر^(١)
أما محمد أحمد المشارى فيرى أن ذلك اليوم أسعد أيام الحياة ، اذ سقط
الظلم والطغيان ، وساد الحق :
هذه أسعد أيام الحياة
وينير الحق بعد الظلمات
اذ يدك الشعب أوكار الطغاة
في عراق العرب كلّ الطرقات^(٢)

اليمن

وفي ٢٦ من أيلول عام ١٩٦٢ قامت الثورة في اليمن ، وأطاحت بنظام
الأمّة الموغل في التخلف ، وخرجت بالبلاد الى عالم النور ، ومن الذين
أشادوا بقيام الثورة الشاعر عبد الله الجوعان ، حيث أشار الى أن سنة الله تقضي
بزوال الباطل :

عبر كلّها الحياة وهذى
يُورث الأرض من يشاء ويخزي
سنة الله في الورى سبحانه
بالردى كل خائن أوطانه

(١) جريدة الطليعة ٢٧ آذار ١٩٦٣

• الشاعر محمد أحمد المشارى : ولد عام ١٩٣٥ ، وهو يزاول حالياً الاعمال التجارية .

(٢) مخطوطه

(٣) جريدة الطليعة ١٣ شباط ١٩٦٣

وهذا ما حدث في اليمن حين أزال الشعب اسطورة الامام :

ها هو الشعب في الجنوب يُمشي فوق اسطورة الامام حصانه

.....

ولسيف الاسلام من غضب الأح رار يوم ما كان أعظم شانه^(١)

وقريب من ذلك قول عبد الله سنان مينا أحاسيسه تجاه النصر الذي تحقق في اليمن :

قَوْصُ البغيُّ اذ بدت	طلعة اليمن في اليمن
وأتى النصر رافعا	راية العز في القنن
ثار للعزة الصنا	ديد فانهارت الإحن
طال في القيد أسرهم	حول مستقع أسن
حطّموا القيد وانبروا	مستخفين بالوثن ^(٢)

وعرج محمود الأيوبي على اليمن بعد أن تحرّرت ليستلهم من ثورتها عذب الشيد :

عرج على اليمن السعيد	مستلهما عذب الشيد
للثورة الحمراء في	وطن المغاوير الاسود
واصدح بصنعاء الحمى	بالشعر في أرض الخلود ^(٣)

سوريا

وفي ٨ من آذار ١٩٦٣ قامت الثورة في سوريا ، فأطاحت بمن صنعوا الانفصال وقوضوا دعائم أول وحدة عربية في العصر الحديث ، وعزلوا سوريا عن تأدية دورها النضالي في مسيرة الثورة العربية .

(١) جريدة الطليعه ٣٠ أيلول ١٩٦٤

(٢) نفحات الخليج ص ٨٩

(٣) الحان الثورة ص ٨٩

وها هو ذا فاضل خلف* يحيي الثورة ، ويعدد مآثر سوريا منذ القدم ،
ويبين إيمانها بالوحدة ، وسعيها الى اقامتها مع مصر في عام ١٩٥٨ :
وأنت راضيةً في سعيها تضع الراية في كفّ فتاها
ويذكر بالردة الانفصالية التي طعنت الوحدة في أيلول من عام ١٩٦١ :
ثم جاءت ردّة عاتية قوّضت بنيان قوم لا يُضاهى
واستبدت عصبة مارقة بالمقادير كما يُملي هواها
ولكن تلك العصبة لم تستطع أن تبقى سوريا بعيدة عن موقعها الطبيعي في
طليلة الركب العربي المتحرر ، وما لبثت مخططاتها أن انهارت في ٨ من آذار
: ١٩٦٣

لكن الأحرار في موطنهم قد أعادوا للبطولات بهاها
فغدت فينا دمشق حرة مثلما بغداد قد نالت منها^(١)
وهكذا نجد الشعر يواكب الأحداث على امتداد الوطن العربي ، فيعيب
الفرق والتناحر ، ويدعو الى جمع الشمل وتكثيل الجهود ، ونبذ الخمول
والاستكانة ويندد بحرائم المستعمرين وأعوانهم في المنطقة ، ويشيد بما يبذل
المخلصون المؤمنون بحق امتهم في الحياة ، ويحيي الانتصارات العريية
في كل صعيد .

(٥)

الايمان بالوحدة

لم تكن الدعوة للوحدة العريية ضرباً من الخيالات الشائقة أو التمنيات
الرائقة ، التي تتوق معها النفس الى رؤية الرقعة الفسيحة من الأرض العريية وقد
ظللتها علم واحد . ولكن تلك الدعوة تمثل النزوع الطبيعي لشعب عاش تاريخاً

(١) جريدة الطليعة ٣ نيسان ١٩٦٣

* الشاعر فاضل خلف : ولد سنة ١٩٢٧ ، ويعمل موظفاً في وزارة الإعلام .

مشتركا وربطه منذ أقدم العصور مصير واحد ، امتزجت فيه الآلام بالآمال والنكسات بالانتصارات .

ولعل من نافلة القول أن نلجأ الى توكيد وحدة الدم واللغة والمصير والتاريخ ، وأن نشير الى البناء الحضارى الذى اتحدت السواعد في رفع أركانه ، ثم الى النكبات التي تجرع مرارتها كل الناطقين بالضاد .

« وفكرة الوحدة من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية لا من الآراء الاصطناعية التي تستطيع أن يبتدعها الأفراد ، أو تستطيع أن تخلقها الدول »^(١) ، فهي اذن قدر لا بد منه ، وضرورة يملئها الواقع بكل متطلباته ويستلزم قيامها ، وبعد تخلفها وضعا شاذا لا يتفق مع المصلحة العربية العليا . ومن هنا لم يسلّم الوجدان العربي بالتجزئة أمرا واقعا . ولم يتخل الانسان العربي عن الاحساس بأن الوحدة قائمة في الحس والشعور وان تخلف قيامها المادى في بعض مراحل التاريخ .

وفي مثل تلك المراحل العارضة ، التي تقضي الظروف خلالها بتفوق الباطل نرى أن الانسان العربي لم يركن الى الدعة والتسليم بما هو كائن ، بل على العكس من ذلك نلمس الاصرار والالاحاح على ضرورة ازالة كل ما يعترض سبيله ، ويعوقه عن ادراك غايته وتنفيذ ارادته في صنع مصيره .

وقد لجأ الاستعمار في سبيل ترسيخ الفركة الى تمزيق الوطن العربي ، وتجزئته الى كيانات عديدة ، مع اختلاق المشكلات الجانبية التي تساهم في اشاعة العداء والتنافر بين الأقطار المتجاورة ، وتحول دون لقائها ، ومن ثم تضاعفها وتعاونها لما فيه صالحها .

وعمل الاستعمار على تحقيق جانب من مخططاته بمساعدة الحكام المحليين ، الذين ارتضوا تنفيذ ارادته ثمنا لتمتعهم بالمكاسب الآنية ، التي يجلبها تربعهم على سدة الحكم .

ويكفي أن ننظر الى الشريط الضيق من الأرض الذى يلاصق الساحل الشرقى للخليج العربى لتبين بشاعة الوضع ، نتساءل من ثم عن مبرر

(١) ساطع الحصرى : اراء واحاديث في الوطنية والقومية ص ١٠٦

وجود ذلك العدد الكبير من الكيانات الضعيفة ، التي لا تملك مقومات الشخصية المستقلة .

وعلى الرغم من كل المحاولات التي يبذلها الاستعمار وأعوانه لترسيخ واقع التجزئة في النفس العربية ، فإن الشعور بالانتماء للوطن الأكبر لم يهن أو يضعف ، ولعل من الملاحظ أن النكبات والأزمات تكون - في الغالب - عاملاً يساهم في تجميع القوى المبعثرة والجهد المشتت .

وإذا كنا اليوم ، ونحن نعاني آثار الصدمات والنكبات المتلاحقة لا نلاحظ سوى الوجه المعتم للواقع العربي ، فمن المؤكد أن ثمة وجهاً آخر أكثر إشراقاً مما نظن يتمثل في نضوج الوعي القومي وتعمقه ، وبدء تخلصه من الشوائب الضارة التي تلوث مجراه .

وإذا كانت الدعوة للوحدة العربية بالأمس ترفاً ذهنيًا أو لونا من الألفة العاطفية ، التي تملحها - في كثير من الأحيان - مناسبات عارضة ، فهي اليوم حاجة ملحة ، وضرورة قائمة ، يفرضها الارتباط المصيري .

وإذا كان الشاعر اللبناني أو العراقي أو الكويتي يأتي بالأمس على ذكر مصر - على سبيل المثال - في معرض تكريم ضيف من رجالاتها ، أو خلال تعرضها لحدث مباشر ، فمن الواضح أنه يقف اليوم ليتحدث عن دقائق أمورها الداخلية من موقع الشعور بأنه واحد من أبنائها ، أو أنها جزء من كيانه ، يضره ما تتعرض له من ضرر ، وينتفع بما تنتفع به .

ولم تعد هناك أمور يمكن اعتبارها محلية تخص هذا القطر أو ذاك ، وبلغ الأمر حداً أصبحت معه نسبة بعض الشعراء إلى قطر عربي بذاته أمراً عسيراً ، إذا لم نقع على ترجمة لحياتهم . وما ذلك إلا نتيجة لانصهار المشاعر في بوتقة واحدة واتجاهها نحو هدف أكثر شمولاً من ذي قبل ، يضاف إلى ذلك تضائل السمات والاهتمامات المحلية ، التي كانت تستغرق الشاعر ، وتستنزف جهده ، وتصرفه عن التوجه للقضايا العربية المصيرية الكبرى .

وكمثال لتلك الحقيقة نرى أن من حق السعودية والكويت والبحرين أن تتنازع في نسبة الشاعر خالد الفرج إليها ، فالأرض العربية وطنه حيثما حل . لا يرده عن الادلاء بآرائه وتصوراتة احساس بالغربة ، أو حرج من اعتباره متدخلًا فيما لا يعنيه .

ولأنه لم يضع لمشاعره حدوداً جغرافية تحدّ من تدفقها ، لذا نجدها تنساب لتغطي الرقعة ما بين طنجة والكويت ، فهو يعيب الاضطهاد في البحرين وينعي حال الجزيرة العربية ، ويندد بالتخلف في الكويت ، ويدافع عن حق شعب المغرب في الحرية قدر دفاعه عن شعب فلسطين ضد التآمر الاستعماري الصهيوني ، ويتعرف على أدواء الوطن العربي ليخلص الى أنها تعود الى كثرة الكيانات ، التي ترسخ التفكك والضعف وأن العلاج لا يتأتى الا بقيام الاتحاد . وسواء أتحققت الوحدة أم حال دون قيامها سبب أو آخر ، فان ذلك لم يضعف الاحساس بوحدة المشاعر التي تحكم الانفعالات وترجم الاتجاهات الوحدوية .

وعلى الرغم من طموح الجماهير العربية الى الانضواء تحت راية واحدة ونظام سياسي واجتماعي موحد ، فان التعثر في تحقيق ذلك الهدف لم ينهض مبرراً لتسليم المواطن العربي بوجود الحواجز التي تقيد احساسه بالانتماء الى الوطن العربي الكبير . لذا لم يكن غريباً أن نرى الشاعر يعيش الوحدة فعلاً لا قولاً ، فيتغنى وهو في الكويت بنيل مصر ، أو بجبال الاوراس ، ويحزن لمصاب تعرض له فلسطين أو يتنهج لنصر تجني المغرب ثماره ، وهذا اللون يمثل ذروة الايمان بالوحدة ، وان لم يلجأ - في بعض الأحيان - الى ترديد الكلمة ومشتقاتها .

وكمثال لذلك نقرأ لخالد الفرّج غناء شجياً بمصر ، أنشده بمناسبة تهنئة أحمد شوقي بامارة الشعر . ، فهو يتكلم بلغة تتفجر حباً عن مصر وخيراتها وأمجادها منذ عهود الفراعنة :

أبناء صدق لهم من أمهم خيمُ
فالخير منك على ما فيك مقسوم
مجد على صفحات الدهر مرسوم
والدهر مهما تفانى فهو مهزوم^(١)

يا مصرُ كمّ لك من مجد يشيده
خصبت بالنبت زرعاً كان أو بشر
وفي رباك أبو الهول المهيبُ له
يصارع الدهر بالأهرام جارتَه

(١) خالد الفرّج : حياته وآثاره ص ١٣٣

وخالد الفرّج يخالف في هذا النص منهجه التسجيلي ، واسلوبه النثري التقريري الذي يثقله التكلف في معظم شعره القومي ، ولعل ذلك يعود الى أنه يصدر في هذه القصيدة عن صدق شعوري لم تثقله العناية بتسجيل المناسبة ، بل لعل المناسبة المقصودة تضاءلت وسط هذا الفيض الوجداني الدافق ، الذي تجاوزها ليتخذ من مصر بأسرها غرضاً للحديث .

ويعدّ خالد الفرّج من أوائل الشعراء الذين تبنا فكرة الوحدة ، وألحوا على ضرورة العمل من أجل قيامها ، وهو يتحّن المناسبات لعرض أفكاره الوجدانية ، ففي عام ١٩٢٦ دارت بينه وبين عبد اللطيف النصف محاورة شعرية ، تعرّض فيها للأوضاع العربية المتردية ، ولم يفّت الفرّج أن يتطرق للوحدة ، ويبين تطلّعه الى قيام متقدّم يضم صفوف العرب بعد تفرقهم ، كما فعل بسمارك موحد المانيا :

من لي « بسمرك » يضم صفوفه وعليه تجمع نفسها أشناتهُ
فيعيد من هذى الممالك وحدة والعلمُ تخفق فوقها راياته^(١)

ويتوجه بنداءته الى كل من يتوسم فيهم القدرة على تحقيق هذا الهدف الغالي ، ومن ذلك مخاطبته الملك عبد العزيز بن سعود في مطولته الشعرية « الوحدة » التي رفعها اليه في عام ١٩٣٢ وشرح فيها حال الجزيرة العربية :

علامَ الجزيرة فوق الخريطة عة برقاء قد رقّشت كالحرير
هنالك صنعا وذوي حضرموت وتلك عمان وهذي قطر
وكم من شيوخ وكم من كبار مئين لدى بدوها والحضر
قد اتشح الكل ثوب العدا لآخوانه وارثي بالحذر
مهاد العروبه قد قطعت وهذا الصغار لهذا الصغر^(٢)

وليس ثمّة مخرج من هذه الحال المؤسفة بغير الاتحاد ، الذي ظل يكرر الدعوة له بأسلوب ينم عن ضيقه وضجره لعدم استجابة من يعنيه الأمر :

الاتحاد الاتحاد قول نكرره معاد
لكنه والله أء لم قد يحققه المعاد^(٣)

(١) ديوانه ص ١٢١ - خالد الفرّج حياته وآثاره ص ٨٨

(٢) ديوانه ص ٨٤ - خالد الفرّج حياته وآثاره ص ١١٣

(٣) ديوانه ص ٢١٥ - خالد الفرّج حياته وآثاره ص ٦٢

ولعل من حسن الحظ أن خالداً قام بتاريخ معظم قصائده في الوحدة فأرشدنا الى تبين بدء اهتمام الشعر الكويتي بالدعوة للوحدة العربية ، ويتضح من النماذج السابقة أن الدعوة للوحدة اتخذت في العقد الثالث من القرن العشرين اتجاهها واعيا ، تتجاوز التصورات العاطفية المبهمة ، والتمنيات العفوية العابرة ، يضاف الى ذلك أننا لا نلمس في تلك النماذج اختلاطا كبيرا في المفاهيم ، وخاصة مفهوم العروبة والاسلام ، فالشاعر لم يدع الى وحدة المسلمين ، أو الى وحدة الشرق في مواجهة الغرب ، بل خص قومه العرب بدعوته ، لذا فان قصائده في الوحدة تكتسب أهمية خاصة ، لكونها تكشف عن مستوى الوعي في مرحلة متقدمة .

ومن بعد اتسع الاهتمام بالدعوة للوحدة ، وكان للأحداث الجسيمة التي توالى على الأرض العربية تأثير كبير في تعميق الاحساس بالحاجة اليها ، لتكون الدرع الحصين ضد الأخطار والنواصب .

وها هو ذا الشاعر عبد الله زكريا الانصاري يتخذ من ترحيبه بالبعثة السورية التي كان مقدر لها أن تأتي الى الكويت مناسبة للافصاح عن إيمانه بالوحدة العربية وكان ذلك في عام ١٩٤٥ . وقد جعل « الوحدة العربية » عنوانا لقصيدته التي يقول فيها :

قلوب لنا نحو العلا تتلهفُ	وأرواحنا باسم العروبة تهتفُ
وأعيننا ترنو اليها وطالما	سمعنا النادي في الأثير يُسوّف

مفت حَقْبُ والنوم ملء جفوننا	فليس بنا إلا أسير مكثف
نعيث بنا أيدي القوي فلا بُرى	من الجور إلا ظالم متعسف
وطال علينا الليل حتى كأنه	أقام فلم يرح ولا هو يُصرف
فما هي إلا نهضة العرب أقبلت	تعزّزها روحُ اليها تلهف
فذي الوحدة الكبرى تبدّت وانها	إلى لَم شمل العرب لاشك تهدف

وعبر الشعراء عن ضجرهم من التراخي في تحقيق ذلك المطلب الملح، فصقر الشيب يعجب من تفرق العرب على الرغم من توافر مقومات الوحدة بينهم . ويحثهم على نبذ الخلافات التي جعلت منهم أضدادا متنافرة :

هل رأيتم لأمة في المعالي	قبل جمع القلوب ووي زناد
نحن أبناء يعرب لو عقلنا	اخوة في الرجوع للميلاد

والمَعْدِيَّ يعرِّي على حا
وعلى الإخوة الكرام التصافي
فعلام افتراقنا وإلى ما
لي رخاء من دهرنا واشتداد
لا التنافي كسائر الأضداد
نحن نشقى منه بكل نَاد (*)

وحين يتعذر قيام الاتحاد فسوف تبقى الأقطار العربية عرضة للمخاطر والنوائب :

وإذا عَزَّ الاتحاد بني العر ب عَدَّتْهُمْ عن الحياة العوادي^(١)

وبعد أن تجرَّع العرب مرارة الوضع المتردي في فلسطين ، نتيجة تفرق شملهم أصبحت الوحدة حاجة ملحة ، وقامت في المنطقة العربية أحزاب تقدمية ذات تطلع قومي ، رفعت شعار الوحدة ، وبشَّرت بها ، ودعت إلى النضال من أجل تحقيقها .

واتخذ الشعراء والسياسيون النوادي منابر لاذاعة أفكارهم الوحدوية والتبشير بها على نطاق واسع ، فما تكاد تمر مناسبة للقاء بالجمهور حتى يصدع الشعر بالدعوة للوحدة سبيلا للخروج من الوضع السيئ .

ومن ذلك أن راشد السيف أنشد في عام ١٩٥٥ قصيدة عن النوادي وأهدافها ، ولكنه لم يلبث أن تحوّل إلى الحديث عن تفرق العرب وضعفهم ، ودعا إلى الوحدة التي تمتلك كل مقوماتها :

خذوا اوحدة الكبرى لتوحيد رأيكم^(٢) منار سبيل واضح غير جائر
ففي اللغة الفصحى ودين وموطن روابط تُغني عن عموم الأواصر^(٣)

وتوجه محمود الأيوبي بخطابه إلى شعب الكويت - الذي هو جزء من الوطن الكبير -
مبيناً أن الأوطان إنما تصان بالاتحاد :

ان الكويت وأهلها وحماتها
والاتحاد فضيلة أبدية
جزء من الوطن الكبير مُكْرَم
كبرى تصان بها الربوع وتسلم^(٤)

(*) النّادى : الداهية

(١) ديوانه ص ٢٠٩

(٢) وفي رواية أخرى « خذوا العروة الوثقى لتوحيد رأيكم » انظر ادباء الكويت في قرنين ١٩٣/١ ط ٢

(٣) ادباء الكويت في قرنين ص ١٩٦ ط ٢

(٤) الحان الثورة ص ٢٥

وحين تكررت اعتداءات اسرائيل على الأقطار العربية في عام ١٩٥٦ وتنهأت قوى العدوان الثلاثي لغزو مصر ، توجه عبد الله الجوعان الى المسؤولين العرب يدعوهم للتضامن والاتحاد ، وكان يؤمن - لفرط حماسته العفوية - أنه لا فرق في أن يكون الوطن العربي تحت قيادة هذا الرئيس أو ذلك الملك ، إنما المهم لديه أن تتحقق الحياة الكريمة في ظل الوحدة ، لذا نراه لا يجد حرجا في التوجه الى ملك العراق فيصل الثاني بقوله :

نحن لا فرق بيننا إن ملكك الذ
يل والشام والخليج الداني
إنما الفرق أن نعيش كراما
ليس إلا بوحدة الأوطان^(١)

ولخص صقر الشبيب الايمان بالوحدة بمعنى بديع ، حين قرر أن الوطن العربي بأسره وطنه ، وهو يستطيع أن يحل في أية رقعة منه ، اذا ما ضاقت به بلده الكويت :

فإن تضيق الكويت اليوم عني
وما ضاقت بأمثالي الديار
فكم بلدي لقومي العرب فيه
سيحلوا لي من السعة القرار^(٢)

(٦)

وحدة مصر وسوريا ونكسة الانفصال

على هذا النحو بقيت الدعوة للوحدة تتردد على ألسنة الشعراء ، في كل محفل وناد ، يبشرون بها ، ويحثون على ضرورة العمل من أجلها ، ويشيرون الى أهمية قيامها ، وحين قدّر للوطن العربي أن يشهد ميلاد أول وحدة عربية في العصر الحديث بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، كان طبيعيا أن يهب الشعر لتحية الوحدة واحتضانها ، وتمجيد ذلك الانجاز التاريخي الكبير والاشادة بمن ساهموا في صنعها .

فبعد اعلان نتيجة الاستفتاء حول قيام الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب

(١) مخطوطه

(٢) ديوانه ص ٢٤٧

رئيسها ، استقبل عبد الله أحمد حسين تلك المناسبة بالتمجيد والفخر :

يا لها من لحظة حاسمة	عَصَفَت بالقيد فاهتر عِدانا
والطواغيت على أبراجها	رفعت راياتها تبغي الأمانا
هِمَّةُ جَبَّارَة صاعقة	وشبابٌ بَلَغَ الدنيا مُنانا
حقق الاخلاص نجوى أُمَّةٍ	دفتها في حناياها زمانا ^(١)

ونوّه عبد الله النورى بمن تعهدوا بذرة الوحدة بالنضال حتى تحققت :

غَرَسَ الأوائل غرسها بجهادهم	ونضالهم وبِعَزْمَة لم تبرد
« شكري » تعهد غرسها بدفاعه	و « جمال » أنماه بطيب المورد
مصر وسوريا كيان واحد	بكفاحه ودفاعه والمقصد
بلوائه وبجيّشه وحدوده	ومشرعيه وشعبه والسيد ^(٢)

وأعرب صقر الشيب عن اغتباطه بقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، بأسلوب مؤثر ، اذ تذكر أنه طالما تغنى بها في شبابه ، ولكنها تحققت أخيرا ، بعد أن بلغ من الكبر حداً وهنت معه قواه ، لكن فرحته بالوحدة حددت همته ، وبعثت في نفسه القدرة على أن ينهض ثانية ، ويستحضر القوافي المغيية :

طالما رحتُ أغنيكم بها	قبل شبيبي ليتني لم أُشِب
كَيْبَرى عن أنْ أغني موهن	بأسأهُ قوتي والوصب
لكن الوحدة سَرَّتني كما	سُرَّ بالغيث فؤاد المُجذب
وشَفَّت مني القَوى فاتجهت	كُلُّها خَلْفَ القوافي الغُيب ^(٣)

وأكد محمد أحمد المشارى أن الوحدة هي الوضع الطبيعي ، لكوننا ننتمي الى أصل واحد ، وتجمعنا وحدة الاحساس واللغة ، ثم ان ماتم بين مصر وسوريا ما هو إلا نواة للوحدة العربية الشاملة ، التي تهفو لها القلوب :

ليس العجيب بنا تحقيق وحدتنا	لكن تقسيمنا هذا هو العجبُ
فنحن شعب دماء العرب تجمعه	والضاد والأصل والاحساس والنَّسبُ

(١) جريدة الشعب ٢٧/٢/١٩٥٨

(٢) من الكويت ص ١٢٢

(٣) ديوانه ص ١٢٣

يرنو الى الوحدة الكبرى ويرتقب
موحّدً واستعدّوا فهو مقترب^(١)

حيّوا معي الشعب في القطرين متحدا
ترقّبوا يوم يعلو فوقنا علم

وحين قامت ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ في العراق ، بعد قيام
الجمهورية العربية المتحدة ببضعة شهور ، تمنى العرب انضمام العراق لدولة
الوحدة وعبر محمد أحمد المشارى عن تلك الرغبة في قوله مخاطبا رجال
الثورة :

وكلّنا لالتمام الشمل ظمّان
تدعو وأفئدة تهفو وآذان
وهي السلام إذا ما كرّ عدوان^(٢)

دمّ العروبة يدعونا ويجمعنا
من الكويت الى تطوان ألسنة
بوحدة هي مأوانا وعدتنا

وكان قيام دولة الوحدة مصدرا لاثارة المشاعر وحفزها الى نبذ واقع التخلف
والتجزئة ، ونذكر في هذا الصدد أن الأندية الكويتية أقامت في شباط من عام
١٩٥٩ مهرجانا خطايا كبيرا بمناسبة الذكرى الاولى لقيام دولة الوحدة ، وتطرق
بعض الخطباء للوضع المحلي ، وعلى أثر ذلك أغلقت النوادي وعطلت الصحف ،
وتسم استجواب من اتهموا باثارة المشاعر . وعاشت البلاد حتى عام ١٩٦١ وضعا
شاذا ، تميز بكبت الحريات وتعطيل النشاطات .

وفي أيلول من عام ١٩٦١ تعرض الشعب العربي لنكسة قاسية ، حين طعنت
الوحدة ، ففقد بذلك أغلى أمانيه وأعز مكتسباته ، ولم يكن من اليسير على الجماهير
أن تتقبل الانفصال على الرغم من كل المبررات والأقوال التي اثيرت حال تجربة
الوحدة وتعثرها وتعرضها لكثير من الأخطاء التي عجّلت نهايتها .

وجاء التعبير عن تلك النكسة مصورا ما أصاب النفس العربية من أذى بالغ
يقول عبد الله سنان :

بة عظمى على حدّ المثال
مصيبة زلزلت شم الجبال

فليست نكسة نكراء أو نك
ولكن ردة وقعت وقوع ال

أما الذين صنعوا الانفصال فيخاطبهم على أنهم من الضالين :

(١) جريدة الشعب ٢٠/٢/١٩٥٨

(٢) جريدة الشعب ٢٠/١١/١٩٥٨

ضللتهم منهج الاخلاص حتى عميتهم في متاهات الضلال

ويبدى أسفه وحزنه لما آلت اليه الحال في دمشق :

ووا أسفا لجلق كيف أمست مجالا للارانب والنعالي
أتحكمها الخيانة وهي جزء عزيز لا يعادل بالآلي^(١)

وظلت النفوس تختزن الألم نتيجة ضياع الأمل في بقاء الوحدة وتطویرها .
وعندما تمر مناسبة تعيد الى الازدهان ذكرى تلك الأيام المشهودة التي عاشها
الشعب العربي يتجدد الشعور بالحزن ، وهذا ما تكشف عنه قصيدة خالد سعود
الزید « تقطع العقد » . فحين قدم أول سفير لسوريا بعد الانفصال أوراق اعتماد
للرئيس جمال عبد الناصر أثارت تلك المناسبة شجون الشاعر ، وأعادت الى ذاكرته
أيام الوحدة بين القطرين :

ذكرتنيها فليت البين ما وقعا
حاولت نسيان يوم الانفصال فلم
فجاء تقديمك الأوراق فاجعة
كفكفت دمي فإسطاعت دوافعه
ذكرتنيها فقلبي هالك جزعا
أذكره يوما لأنني لست مقتنعا
يا ويحها لحظة أودت بمن سمعا
كتما فأطلقته فأنهل مندفعاً^(٢)

(١) نفحات الخليج ص ١٤٠

(٢) صلوات في معبد مهجور ص ٧٥

الفصل الرابع

قضية فلسطين

* قضية فلسطين *

احتلت القضية الفلسطينية مركز الصدارة بين القضايا العربية ، منذ أجهت المخططات الصهيونية والاستعمارية الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وذلك لعدة عوامل من أهمها :

١ - أن فلسطين - بحكم موقعها الجغرافي - تكوّن الجسر الطبيعي الذي يصل جناحي الوطن العربي في المشرق والمغرب ، وأن قيام أي جسم أو حاجز بشري غريب في تلك البقعة لا بد أن يؤدي الى نتائج بالغة الخطورة .

٢ - أن الاستعمار الصهيوني لفلسطين استعمار استيطاني . يهدف الى التثبيت بالأرض ، ولا يكفي بمجرد امتصاص مواردها الاقتصادية .

٣ - أن الأطماع الصهيونية لا تقف عند حدود فلسطين ، بل تتطلع الى انتزاع مزيد من الأراضي العربية ، كي تتسع لاستيعاب جموع المهاجرين اليهود الوافدين من كل أرجاء الأرض .

٤ - أن الوجود الصهيوني التوسعي في قلب الوطن العربي يشكل تهديدا دائما ، وخطرا ماثلا ، ويؤدي الى زعزعة الأمن والاستقرار والسلام ، ويحول دون اتجاه الأقطار العربية الى تطوير أوضاعها والنهوض بمستوى معيشة الفرد فيها ، لأنها تعيش حالة دائمة من الترقب ، وتوظف قسطا كبيرا من مواردها لأغراض الأمن . ويضاف الى ذلك تأثير كل تلك العوامل في الانسان العربي ، وجعله نهبا للقلق والترقب والشك .

من هنا نرى أنه من الأجدر أن نعرض بشكل موجز للمراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية ، لنصل من بعد الى متابعة تفاعل الشعب الكرستاني مع الأحداث .

(١)

الحركة الصهيونية

تهدف الحركة الصهيونية الى جمع شمل اليهود المبعثرين في شتى بقاع الأرض ، واقامة كيان قومي لهم في فلسطين .

ولتحقيق هذه الغاية نشأت منذ فترة مبكرة عدة جمعيات يهودية ، ولم يكن دورها يحايز أول الأمر نشر الوعي القومي والدعوة للتجمع ، وبقي أثرها ضئيلا وجهودها مبعثرة .

وفي « سنة ١٦١٦ صدر كتاب « نداء لليهود » للسير هنري فيتش ، وهو أول كتاب يطالب بإنشاء دولة لليهود ، تجمع فئاتهم وأفرادهم في ظل قومية موحدة »^(١) . وازدادت جهود المفكرين اليهود في الدعوة الى العمل من أجل « الهجرة » الى فلسطين ، فنشر الحاخام « هيرش كاليشر » سنة ١٨٦١ كتاب « البحث عن صهيون » ، كما نشر « موسى هس » في العام التالي كتابه « روما والقدس » ، الذي نادى فيه بإقامة دولة يهودية في فلسطين ، ونادى « دافيد غوردن » بما أسماه « دين العمل » مشددا على أهمية استعمار اليهود لفلسطين .

ويعد كتاب « ليون بانسكر » « التحرير الذاتي » الصادر في عام ١٨٨٢ أقوى الكتب الصهيونية الأولى وأعماقها أثرا^(٢) .

أما « تيودور هيرتزل » فبعد واضح الحجر الأساسي في بناء الصهيونية من خلال كتابه « الدولة اليهودية » الصادر في عام ١٨٩٥^(٣) .

وقد ارتبط ميلاد الفكرة الصهيونية باشتداد الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا ، كما ارتبط باستغلال الدول الاستعمارية للمسألة الشرقية ، لتحقيق أطماعها في أملاك الدولة العثمانية .

ومع ظهور « تيودور هيرتزل » على مسرح الأحداث بدأ العمل الصهيوني يتخذ طابع التنظيم والشمول ، ونجح هيرتزل في مساعيه لعقد المؤتمر الصهيوني الذي قدر له أن ينعقد في ٢٨ من آب سنة ١٨٩٧ .

وعلى الرغم من أن هيرتزل لم يكن متحمسا لفكرة جعل فلسطين - على وجه التحديد - الموطن القومي لليهود ، إلا أن المؤتمر الصهيوني اتجه الى تأييد رأي القائلين بضرورة اختيار فلسطين ، نظرا لما لتلك البقعة من تأثير عاطفي في نفوس اليهود .

(١) صابر طعيمة : اليهود في موكب التاريخ ص ٥٦٦

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ص ٣٠

(٣) سعدي بسيسو : اسرائيل جناية وخيانة ص ١٩

واتهى المؤتمر الى « أن هدف الصهيونية هو أن توجد للشعب اليهودي وطنا في فلسطين ، يضمه القانون العام ، أما الخطوات التي يجب اتباعها لتحقيق تلك الغاية فهي :

- ١- تقوية الاستعمار اليهودي لفلسطين .
- ٢ - انشاء منظمة ترتبط بها اليهودية العالمية عن طريق مؤسسات في كل بلد به يهود .
- ٣ - تقوية الشعور الوطني اليهودي .
- ٤ - الحصول على موافقة الحكومة على العمل لبلوغ الأهداف الصهيونية^(١) .

(٢)

وعد بلفور

استغل اليهود اندلاع الحرب العالمية الأولى للتقرب من طرفي النزاع ، وعلى الرغم من استجابة المانيا لنداءاتهم فانها لم تستطع اقناع حليفها - الدولة العثمانية - بتغيير موقفها منهم .

وضاعف « وايزمان » الذي أصبح خليفة لهرتزل جهوده الرامية الى نيل تأييد انجلترا بالدرجة الأولى ، وتمكن من كسب صداقة بلفور ، وسكوت - رئيس تحرير المانشستر جارديان - الذي عرّفه بدوره بكل من لويد جورج وهربرت صموئيل وهما عضوان في الوزارة البريطانية .

وصرح وايزمان في رسالة وجهها الى سكوت في تشرين الثاني ١٩١٤ بقوله « في حالة وقوع فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني ، واذا ما قامت بريطانيا بتشجيع استقرار اليهود هناك ، باعتبارها محمية بريطانية ، فاننا نستطيع خلال عشرين أو ثلاثين سنة جمع مليون يهودي هناك ، وقد يكون العدد أكثر من ذلك فيقومون باعمار البلاد ، ويعيدون المدينة اليها ، ويشكلون في الوقت نفسه حرسا هاما لقناة السويس^(٢) » .

أحست بريطانيا أن استجابة العرب والمسلمين لنداء الجهاد مع تركيا سوف يؤثر في مركزها خلال الحرب ، لذا بادرت الى الاتصال بالشيخ حسين لضمان

(١) الان تايلور : مدخل الى اسرائيل ص ١٧

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

وقوف العرب ضد العثمانيين .

وكانت السياسة العثمانية قد أوصلت العرب الى حافة اليأس من اصلاح ما فسد ، اذ لم يلقوا من جماعة الاتحاد والترقي سوى التعصب الذميم للعنصر التركي ، وانكار الحقوق العربية .

وتألفت الجمعيات العربية التي كانت تهدف الى تحسين أوضاع العرب ضمن اطار الدولة العثمانية ، ولكن العثمانيين لم يظهروا تجاوبا مع الآمال العربية بل لجأوا بدلا من ذلك الى التنكيل بالأحرار ، فتوج جمال باشا أعماله باعدام نخبة من رجالات العرب في بيروت خلال عامي ١٩١٥ و ١٩١٦ ، كما وسم جمهرة أخرى منهم بالخيانة ، على الرغم من توسط الشريف حسين للعفو عنهم .

وأدت هذه السياسة الى ازدياد النقمة على الدولة العثمانية ، واستغلت بريطانيا تلك الظروف الملائمة لحث الحسين على الوقوف الى جانبها والتخلص من الحكم العثماني .

وعلى الرغم من تردد الحسين في قول هذا العرض ، الا أنه استجاب آخر الأمر ، بعد اتصاله برجال « العربية الفتاة » و « العهد » الذين عرضوا عليه « بروتوكول دمشق » ليكون أساسا للتعاون مع بريطانيا .

وتمخضت المراسلات المتبادلة بين الحسين ومكماهون عن تفاهم أساسه قيام العرب بالثورة على الدولة العثمانية ، على أن تلتزم بريطانيا بالاعتراف بخليفة عربي للمسلمين حين اعلان الخلافة ، والاعتراف بدولة عربية مستقلة ضمن حدود اتفق عليها الطرفان ، وتجدر الاشارة الى أن فلسطين تدخل ضمن تلك الحدود .

وعلى حين أعلن العرب الثورة على الدولة العثمانية في ٥ من حزيران ١٩١٦ تبين أن بريطانيا توصلت في مفاوضات أخرى مع فرنسا الى عقد اتفاقية « سايكس بيكو » في آيار ١٩١٦ وهي تتضمن استلاب الأراضي العربية الخاضعة للدولة العثمانية .

وقبل أن تدخل القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي فلسطين بتاريخ ١١ كانون الأول ١٩١٧ كان وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور قد أصدر وعده المشهور في ٢ من تشرين الثاني ١٩١٧ في صورة خطاب وجهه الى الثري الصهيوني اللورد روتشيلد ، يقول فيه : « يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك ، بأن حكومته

تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، مع التأكيد بعدم الاضرار بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ، والحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى .

(٣)

الانتداب ونضال الشعب الفلسطيني

دخلت القضية الفلسطينية طورا جديدا مع دخول الجنرال اللنبي وعساكره أرض فلسطين ، ومع بداية عهد الانتداب ، اذ باشرت بريطانيا تنفيذ مساعيها ووعودها - التي توجت بصدور وعد بلفور - بهدف المساهمة في تحقيق الأطماع الصهيونية في فلسطين .

وفي تموز ١٩٢٠ أنهت بريطانيا الادارة العسكرية ، وأقامت ادارة مدنية واختارت وزير داخليتها السابق « السير هربرت صموئيل » الصهيوني أول مندوب سام لها في فلسطين ، ومنذ ذلك الحين باشر هربرت صموئيل مهامه في العمل على تهويد البلاد . وعبر الدكتور وايزمان عن دور بريطانيا بقوله « احتضنت بريطانيا الصهيونية منذ نشوئها ، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها ، ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب في سنة ١٩٣٤ ، ولولا الثورات المتعاقبة التي قام بها عرب فلسطين لثم انجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكور »^(١).

ويسرت بريطانيا اغراق فلسطين بجموع المهاجرين اليهود ، حتى ارتفع عددهم من نحو ٥٥ ألف في عام ١٩١٨ الى نحو ٧٠٠ ألف في عام ١٩٤٨ ، حسب تقدير الجمعية الصهيونية ، كما عملت على تسهيل انتقال الأراضي لليهود ، حيث أغلقت المصرف العثماني ، الذي كان يقدم القروض للمزارعين .

وضاعفت الضرائب على أصحاب الأراضي ، لدفعهم الى بيعها ، وقامت بنقل ملكية مساحات كبيرة من الأوقاف الى اليهود ، كما قدمت مساحات أخرى من أملاك

(١) اسرائيل جناية وخيانة ص ٦٠

الدولة منحة للوكالة اليهودية .

واضافة لذلك لجأت بريطانيا الى تعيين عدد كبير من اليهود في الدوائر المهمة ، مثل دوائر الأراضي والسفر والهجرة ، وسهّلت لهم اقتناء السلاح والتدريب عليه ، وذلك أمامهم سبل الحصول على الامتيازات الاقتصادية واستغلال ثروات البلاد . لم يقف الشعب العربي في فلسطين مكتوف الأيدي أمام المؤامرات التي كانت تهدف الى طمس عروبه وانتزاع أرضه .

ومنذ المراحل الأولى للمؤامرة اتخذت المقاومة صورا متعددة ، منها تقديم عرائض الاحتجاج ، والقيام بحملات التوعية من خلال الصحافة ، وتشكيل الجمعيات والتنظيمات الوطنية .

وأمام شعور الفلسطينيين بخيبة الأمل من امكان استجابة بريطانيا ، أو المجتمع الدولي لوجهة نظرهم حول وقف الخطر الصهيوني ، لم يجدوا بدا من اللجوء الى القوة . وبدأت المصادمات الدموية الكبيرة منذ شهر آذار ١٩٢٠ ، ثم اتسع نطاقها في عام ١٩٢٩ ، وبخاصة حينما ازدادت مخاوف العرب من احتمال اعتداء اليهود على المسجد الأقصى .

ويبدو أن الحوادث التي وقعت في عام ١٩٢٩ كانت من الخطورة بحيث تردد صداها في الآفاق العربية ، وتجاوز الأمر حدود ترقب الخطر ، أو توقع حدوثه الى الاعلان عن وقوعه ، والحث على ضرورة دفعه .

ويلاحظ أن الشعر الكويتي - أو ما وصلنا من نماذجه - لم يتعرض لقضية فلسطين قبل عام ١٩٢٨ ، ولعل أول اشارة للقضية هي التي جاءت ضمن قصيدة للشاعر خالد الفرج في ذلك العام عن ميثاق السلام ، ففي قصيدته تلك قارن بين مصطفى كمال حين حطم « معاهدة سيفر »^(١) ، والعرب الذين طوّقهم وعد بلفور في قوله :
هَزَيَّ الْقَوِيَّ « بَسِيفَر » وَعَهْدَهَا وَلَوْعَدَ بَلْفُورَ بِنَا أَطَوَّقُ^(٢)
ولعل هذه أول اشارة الى قضية فلسطين في الشعر الكويتي^(٣) ، على أن حوادث

(١) معاهدة « سيفر » هي المعاهدة التي فرضها الحلفاء على تركيا بعد الحرب العالمية الاولى .

(٢) ديوانه ص ١٧٦

(٣) جاء في كتاب فلسطين في الشعر النجفي أن أول شاعر عراقي تعرض لقضية فلسطين هو الشاعر صالح الجعفرى .

وكان ذلك في عام ١٩٢٨ .

عام ١٩٢٩ لفتت خالد الفرج وغيره من شعراء الكويت الى الاهتمام بمعالجة القضية الفلسطينية ، وأعادت الى الأذهان النتائج الخطيرة التي يمكن أن تنجم عن وعد بلفور . وبعد أن اتضح تصميم اليهود على التثبث باقامة الوطن القومي ، وتكررت اعتداءاتهم على السكان العرب خلال عام ١٩٢٩ ، توجه خالد الفرج بخطابه الى بلفور ، الذي يعدّ في نظره أساس البلاء ، وفي هذا المعنى يقول :

هذي فلسطين الوديعة في مصائبها تميذ
ما ينقضي زلزالها حتى تزلزل من جديد
من قبل وعدك بالهنا عاش المسود والمسود

ثم ذكر بلفور بحق العرب التاريخي في فلسطين منذ أقدم العصور ، وقارن بين قدم عهدهم بها وحال اليهود المشردين في أنحاء الأرض :

الدَّارُ دارُ جدودهم من عهد كنعان البعيد
فَلْيَعْرِبِ الْمَلِكُ الطَّريءُ فُ وللعالمين التليد
ما لليهود الفاصية ن سوى المائم والحقود
شعب شريد في المما لك منذ أن برئ الوجود^(١)

وثمة شاعر آخر هو محمود الأيوبي أثاره في عام ١٩٢٩ « حادث البراق » الذي يرى أنه جاء نتيجة لسياسة بريطانيا الجائرة في اصدار وعد بلفور ، ثم لاطلاقها أيدي اليهود لتعبث بالمقدسات ، وتستفز المشاعر ، وتزعزع الأمن والاستقرار :

وفي فلسطين من « بلفور » مهزلة
فحادث القدس ساء الناس قاطبة
واليوم أشعلتم نارا تؤججها
فبنتيوس وصمويل وأولهم
هزّت لها من خمار الحق أذقان
و « للبراق » على التنكيل برهان
أيدي اليهود ، وهم للفتك ذؤبان
بلفور كلهم للجور أوثان

ثم يترحم على حال فلسطين :

لهفي عليك فلسطين العزيزة يا مهد السلام وللإسلام بستان

(١) ديوانه ص ١٨٠

في كلّ شبر شهيد حوله جثث من الضحايا الألى للبغي ما دانوا^(١)
وبعد حوادث عام ١٩٢٩ لجأت الحكومة في فلسطين الى اعتقال عدد كبير من
العرب ، وأخذت في محاكمتهم .

وفي ١٧ من حزيران ١٩٣٠ قامت الحكومة بتنفيذ حكم الاعدام في ثلاثة من
المناضلين العرب ، ممن أدينوا في حوادث ١٩٢٩ ، وهم فؤاد حجازي وأحمد عطا الزير
وخليل مجسم .

وكان لاعدائهم رنة حزن غمرت الوطن العربي ، وأثارت السخط على بريطانيا
التي لم تلجأ الى العدل والمساواة في معاملة الطرفين المتنازعين .

ومجدد محمود الأيوبي شهداء الوطن ، وضحايا وحشية الانجليز فؤاد وأحمد و خليل
الذين كانوا يتسابقون الى المشنقة بشجاعة خارقة :

« فؤاد » شهيد الحق أسرى مهلاً	وخلف ذكرى وهو كالطفل طاهر
وسار « خليل » للفراديس مشرقاً	نقي المحيا وهو كالورد عاطر
و« أحمد » لم يحفل مشى للردى ولم	يشنه ظلام الحزن والوجه ناضر
هم هتفوا ليك ليك أمتي	وساروا على الأكباد شداً وخاطروا
ضحايا وحوش الانجليز تضرّجت	من الدم منها أرضنا والحفائر ^(٢)

وعلى الرغم من كل المحاولات والجهود السياسية التي بذلها الفلسطينيون لم تتوقف
بريطانيا عن المضي في تسهيل اقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وكان لا بد من
السعي الى تطوير أساليب المقاومة ، فعمت المظاهرات والاضرابات مدن فلسطين وقامت
الجماعات المسلحة بأعمال بطولية هاجمت خلالها معسكرات الجيش البريطاني واغتالت
عددا من الضباط الانجليز .

وبعد الشيخ عز الدين القسام - امام أحد مساجد حيفا - خير مثال لرجال الدين ،
الذين فضلوا مواجهة العدو والاستشهاد على الاكتفاء بحث الآخرين على الجهاد ، وقد
واجه قوات الاحتلال مع نفر قليل من صحبه وآثر الاستشهاد في ٢٥ من تشرين الثاني
١٩٣٥ على الاستسلام .

(١) الحان الثورة ص ١٩٨

(٢) الحان الثورة ص ٢١٩

(٤)

ثورة سنة ١٩٣٦

أيقظت بسالة الشهيد عز الدين القسام وجماعته المشاعر ، وأججت الحماسة للثورة ، وأدرك الشعب الفلسطيني عقم الأساليب التي ينتهجها الزعماء التقليديون في محاولاتهم دفع بريطانيا الى الالتفات للمطالب العربية .

وشكلت لجان قومية دعت الى اعلان الاضراب ، فتجاوبت الأحزاب مع تلك الدعوة . واتفقت على تكوين اللجنة العربية العليا ، وأوكلت للحاج أمين الحسيني رئاستها . وأعلنت اللجنة أنها سوف تدعو الى الاستمرار في الاضراب الى أن تتحقق المطالب الوطنية التي تتلخص في وقف الهجرة اليهودية ، ووقف انتقال الأراضي لليهود .

واستجابت فئات الشعب لدعوة الاضراب ، فأغلقت المحلات التجارية وامتنع الطلاب عن الذهاب الى مدارسهم ، كما امتنع القرويون عن دفع الضرائب أو ارسال محاصيلهم الى الأسواق ، وأضرِب جزء كبير من المواطنين عن أداء أعمالهم وتم تنفيذ الاضراب بصورة محكمة ، بحيث أصيبت الحياة العامة بالشلل .

وانتقل الأمر الى طور المجابهة ، فأشعلت الحرائق ، وقطعت المواصلات ووقعت المصادمات المسلحة ، والهجمات المباغتة على المواقع الحكومية والصهيونية .

كانت أصداء الثورة الفلسطينية تتردد في الوطن العربي ، فتلهب الحماسة وتبشر بانقاذ البلاد مما تعاني ، وهب الشعر لتمجيد الثوار والاشادة بهم ، والدعوة الى مساندتهم .

ويتخذ الشاعر فهد العسكر من استقبال العثة التعليمية الفلسطينية التي جاءت الى الكويت في عام ١٩٣٦ مناسبة للتساؤل عن حال فلسطين ومناضليها الذين لبّوا نداء الواجب :

بالله يا رسل الثقافة خبرو نا كيف حال الأخت يا اخواني
أعني فلسطينا وكيف أمينها^(١) وجنوده وبقية السكان

(١) يقصد الشاعر بـ « أمينها » الحاج أمين الحسيني

بعد الكفاح وبعد ما بثّ اليهو د شرورهم فيها بكل مكان
إني سمعت نداءها وسمعت تداءي بني عدنان
وزئير أشبال العروبة من بني غسان لا نكبوا بنو غسان
ويتطرق للدور الذي لعبته بريطانيا ، باصدارها الوعد القاضي باقامة وطن قومي
لليهود في فلسطين :

لا دَرَّ دَرُّ الغادرين فإنّهم وعدوا اليهود بقسمة الأوطان
وبنيّ كالغرباء في أوطانهم أو ليس هذا منتهى الطغيان^(١)
ولصقر الشبيب عدة قصائد يحكي فيها الثورة ، ويحث العرب على ضرورة الوقوف
الى جانب الثوار ومدّهم بما يحتاجون ، كما ينحي باللائمة على الذين يتخلفون عن
مساندة الثورة ، يقول مشيدا بنضال شعب فلسطين خلال ثورة ١٩٣٦ ، ومؤكدا ضرورة
النهوض لنصرة المناضلين ، لأن في ذلك دفاعا عن النفس ضد خطر يهدد العرب أجمعين :

وقد جاهدت شبانهم وكهولهم جهاد بهاليل غطارفة غرّ
جهاذ فؤاد المجد سرّ بوقعه وعادت له العلياء باسمه الثغر
وقد أصبحت قرصاً معونتهم بما تصونون من غالي الحياة أو التبر
فان تنجدوهم يا بني العرب تنجدوا نفوسكم لا غيرها من يد الشرّ^(٢)
وواجهت الحكومة أعمال الثوار بالقوة ، فأدى ذلك الى زيادة اشتعال الثورة ،
فاضطرت الى انتهاج أسلوب آخر ، حيث أجرت اتصالات مع السعودية والعراق والأردن
بهدف التوسط لدى اللجنة العربية العليا .

وحاول الأمير عبدالله - أمير شرق الأردن - التوسط ، ولكن اللجنة العربية العليا
لم تستطع الاستجابة لطلبه نتيجة الضغط الشعبي ، كما بذل نوري السعيد محاولات أخرى
للتوسط ، ولكنه لم يوفق لما أراد ، نتيجة اصرار الشعب الفلسطيني على الاستمرار في الثورة
والاضراب .

وكذلك فان وعود بريطانيا بارسال لجان للتحقيق في مطالب العرب لم تجد آذانا
مصغية ، بعد أن تبينت حقيقة تلك اللجان .

(١) فهد العسكر - حياته وشعره ص ١٤٨ ط ٣

(٢) ديوانه ص ٢٧٠

وفي هذه الأثناء دخل فوزي القاوقجي فلسطين ليكون قائدا عاما للثورة العربية ، ولحق به سعيد العاص . وتدفق المتطوعون العرب ، وتطورت أساليب الثوار ، فامتد لهيب الثورة الى مناطق عدة من فلسطين وتكرر هجوم الثوار على المواقع البريطانية والمستوطنات اليهودية ، وشهدت البلاد معارك دامية ، سطر خلالها الشعب العربي في فلسطين آيات البطولة والتضحية ، وأثارت تلك المعارك الرعب في المستوطنات اليهودية ، ففرت أعداد كبيرة من اللاجئين اليهود الى القدس ، حتى ضاقت بهم .

أنخفت بريطانيا في وقف الثورة وكذلك في وقف الاضراب الذي امتد نحو ستة شهور ، على الرغم من لجوئها الى شتى أساليب القمع والارهاب ، وعندئذ عادت الى طلب وساطة ملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم ، الذين وجهوا - بعد اتصالحهم باللجنة العربية العليا - نداءات في ٨ من تشرين الأول ١٩٣٦ تحث على وقف الأعمال الثورية والاضراب ، جاء فيها « الى أبنائنا عرب فلسطين . . ندعوكم للاخلاء الى السكنية ، حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم حتي النهاية »^(١) .

قامت اللجنة العربية العليا باعلان نداءات الحكام العرب ، ودعت الشعب الى انهاء الاضراب في ١٢ من تشرين الأول ١٩٣٦ بعد أن استمر نحو ستة شهور وهي أطول مقاومة مدنية في التاريخ .

وهذا تم اجهاض الثورة نتيجة عجز القيادات السياسية التقليدية الفلسطينية منها والعربية ، وعدم قدرتها على تطوير أساليب النضال ومواصلة الصمود .

وعلى الرغم من وقوع القيادات في هذا الخطأ الجسيم لم تفقد الجماهير ثقتها بقدرة فلسطين على مواصلة الثورة حتى تتحقق المطالب العادلة .

وها هو ذا صقر الشيب يدعو بعد انهاء الاضراب الى ضرورة مد الثوار بالمال ، حيث تبين قدرتهم على الوقوف في وجه الأعداء :

بنى يعرب من فاته أمس سَلَّهُ	حساما به عن قومه يحسن الذَّبَا
فما فاته أن تمنح اليوم كَفَّهُ	فلسطين ما يمحو به ذلك الذَّبَا
فجودوا بكثر المال والقلِّ واذكروا	هنالك أرحام العروبة والقربى

(١) اسرائيل جنابه وخيانته ص ٩٩

ويعرّج على ذكر قادة ثورة ١٩٣٦ ، فيشيد بالقائدين فوزي القاوقجي وسعيد العاص وصحبهما :

فمرحى « لفوزي » العلا و « سعيدها » وصحبهما المعلنين أعلامها القشبا
فقد رفعوا شأن العروبة فاعتلى بهم وجلوا عن شمس عليائها الحجا
وألقوا عليها خير درس مفاده إذا شئت أن تحيا فلا تغمد العضبا^(١)

وبعد مرور شهر واحد من نهاية الاضراب ، وصلت الى فلسطين لجنة « بيل » للتحقيق ، فقاطعتها اللجنة العربية العليا ، ولكنها عادت الى الاتصال بها استجابة لطلب الحكام العرب .
وانتهت لجنة بيل في تقريرها المؤرخ في ٧ تموز ١٩٣٧ الى التوصية بـ « تقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام بين العرب واليهود والانجليز ».

أثار تقرير لجنة بيل استياء عاما في الأوساط العربية ، وفي ٨ من أيلول ١٩٣٧ عقد مؤتمر في بلودان بسوريا حضره مندوبون عن مصر وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين وأكد المؤتمر حق العرب في الدفاع عن فلسطين ، كما طالب بالغاء تصريح بلفور والانداب ، وعقد معاهدة انجلو فلسطينية ، تعترف بريطانيا بموجبها باستقلال فلسطين ، وتوقف الهجرة اليهودية .

أما الفلسطينيون فقد استهلو ثورتهم باغتيال حاكم الجليل ، ثم امتدت الأعمال الفدائية لتشمل قطع طرق المواصلات ، واضرام الحرائق في المنشآت البريطانية وشن الهجمات على قوات الاحتلال .

وعاد الأمل باندلاع الثورة ثانية ، كما عادت الدعوة الى ضرورة مساندة الثوار للقضاء على مشاريع التقسيم .

وفي قصيدة لصقر الشيب نشرت في أيلول ١٩٣٧ نلمس لدى الشاعر الحاحا في أن تلقي مصر بثقلها في معركة فلسطين ، ولوما للأزهر وشيخه ، ولحكومة النحاس التي شغلها الأوضاع الداخلية في مصر ، وترحما على أيام سعد زغلول وفي ذلك يقول :

لومي فلسطين العزيرة أو ذري مصرا على هذا السكوت المُنكر

وأحق من مصر بكل ملامة ذاك الذي يدعونه بالأزهر

(١) ديوانه ص ١٣٧

كُنَّا نَوْمِلُ أَنْ يقيم قيامه
فَإِذَا تَنَاقَلَهُ يَطُولُ كَأَنَّمَا
إِنْ لَمْ تَرَقْ مَهْجَ الْأَعَادِي تَذَعِرْ
دَهَنَ الْعَدَى أَعْصَابَهُ بِمَخْدَرٍ

.....

لو لم يغب يا مصر سعدك ما أتى «نَحَاسُكُ» الأمر الذي لم يُشكَّر^(١)

وفي قصيدة أخرى نشرت في كانون الأول ١٩٣٧ يؤكد صقر الشيب الصفه القومية لقضية فلسطين ، وينبه الى أنه لا لوم على العجم والهنود ان هم تراخوا عن نصرة قضيتنا ، مع كونهم من المسلمين ، ذلك أن الروابط بين العرب تجاوز العامل الديني لتشمل اللغة والنسب أيضا :

وما جنت فلسطين ولكن
وها هي تستغيث بنا فحتى
فليس العجمُ تعذل إن تراخت
فإن مَتَوَا بدينهم الينا
ففيما بيننا لغة ودين
عليها للعدى كثر الجنودُ
متى عن أن نعين بنا جمود
بنجدها ، ولا تلحى الهنود
ونعم الرابط الدين الفريد
وفيما بيننا النسب الأكيد^(٢)

ومع ازدياد نشاط الثوار الفلسطينيين عادت بريطانيا الى انتهاج أقصى أساليب البطش ، وبلغ عدد الذين أعدموا ١٤٨ شخصا من بينهم الشيخ «فرحان السعدي» الذي كان في الثمانين من عمره ، ولم يرع الانجليز شيخونته ، بل دفعوا به المشنقة في عكا خلال شهر رمضان وهو صائم .

وحول حادث اعدام الشيخ فرحان يقول محمود الأيوبي مخلدا بسأله وتضحيته :

حيّوا بفرحان السعدي شيبته
في الخالدين مضى في زورق عبقت
ويسخر من بريطانيا - الدولة المتقدمة - التي أمست تنقاد لشذاذ الصهيونيين ،
وتنسى احتمالات تحرك العرب جميعهم بسبب ما يحدث في فلسطين :

عجبت من أمة «التاميز» كيف غدت
أين العقول التي راضت ثقافتها
حيرى على مذبج الشذاذ تنتحر
«كمبردج» لم تغنها الآيات والنذر

(١) ديوانه ص ٢٧٨

(٢) ديوانه ص ١٩١

هذي فلسطين قلباً في عروبتنا تلقى دروساً ستأتي بعدها أُخرُ
فكيف لو زحفت فرسان يعرب في يوم به موقد الثارات يستعر^(١)
وهكذا لم تفلح السياسة التعسفية التي اتبعتها بريطانيا في وقف الثورة بل أدت الى
زيادة اشتعالها ، كما دفعت الى تطوير أساليب النضال وجعلها أكثر دقة وتنظيماً ، وتسم
تشكيل « اللجنة المركزية للجهاد » التي جعلت مقرها في دمشق. وأمام صلابة الثوار وتعاضم
قوتهم ، لم تجد بريطانيا بدا من العدول عن قرار لجنة بيل حول التقسيم ، واعلان مواصلة
الانتداب ، كما لجأت الى دعوة مندوبين عن مصر والعراق واليمن وشرق الاردن للبحث
في مصير القضية الفلسطينية .

وافتحت المفاوضات في ٧ من شباط ١٩٣٩ ، وعندما أخفق الفريقان العربي
واليهودي في التوصل الى صيغة معينة للاتفاق أصدرت بريطانيا في ١٧ من أيار ١٩٣٩
الكتاب الأبيض ، وأعلنت فيه أن هدفها هو أن تقيم في غضون عشرة أعوام دولة فلسطينية
ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة ، كما أصدرت تصريحاً بينت فيه أنه بدخول الدفعة الأخيرة
من المهاجرين اليهود الجدد ، وعددهم ٧٥ ألف نسمة خلال خمس سنوات يجب وقف
الهجرة ، وخلال فترة السنوات الخمس هذه يجب أن يوضع حد لتملك اليهود أراضي
جديدة في فلسطين .

انقسم العرب ما بين مؤيد ومعارض لما جاء في الكتاب الأبيض ، أما اليهود فأظهروا
سخطهم على الحكومة لاقدامها على اصداره .

وكانت الظروف الداخلية وأجواء الاستعدادات للحرب العالمية الثانية من بين الأسباب
التي أدت الى اختناق الثورة التي ظلت مشتعلة في فلسطين من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٣٩ .

تلقى الصهيونيون صدور الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ بالرفض ، وانتهجوا في سبيل
مقاومته مسلكين ، أحدهما اللجوء الى الارهاب ضد الحكومة لدفعها الى العدول عما ورد
فيه ، وخاصة ما يتصل بالهجرة اليهودية ، وثانيهما التماس الدعم الأمريكي .

وقامت المنظمات الصهيونية شبه العسكرية ، وهي الهاجانا وأرغون زفاي ليومي
وعصابة شتيرن بأعمال ارهابية ضد الشرطة والجنود البريطانيين .

وفي الوقت ذاته أحس الصهيونيون وهم يحولون ثقلهم صوب الولايات المتحدة
الأمريكية انها اذا ما دخلت الحرب فسوف يكون من المحتمل أن تخرج منها زعيمة

(١) الحان الثورة ص ٢٢٥

للغرب ، بحيث يصبح بمقدورها ممارسة ضغط فعال على بريطانيا لدفعها الى العدول عن سياستها المعلنة في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩^(١) .

ولم يكن العرب يجهلون أساليب بريطانيا في المراوغة ، وفي الرجوع عن وعودها اذا ما أحسّت بتغير الظروف لصالحها ، وهم وان لم يجدوا في الكتاب الأبيض سوى بصيص ضئيل من الأمل ، الا أن تجاربهم مع بريطانيا كانت كافية لتوكيد سهولة تنصلها مما أعلنت .

ولصقر الشبيب كلمة تؤكد هذا المعنى قالها خلال عام ١٩٤٠ ، وعبر فيها عن شعوره بأن لين الأعداء ما هو إلا خداع ومراوغة :

إن يلينوا للبعض منا فهذا
أو ينيلوا الحطام منها أناسا
لبن أفعى منها استحال السلام
فسلوهم من أين ذاك الحطام^(٢)

وبوفاة الرئيس الأمريكي روزفلت ، واعتلاء الرئيس ترومان سدة الرئاسة تسنّى للصهيونية أن تحقق كثيرا من المكاسب ، ففي ٣١ آب ١٩٤٥ اتخذ ترومان أول اجراء ايجابي في صالح الصهيونيين ، بالطلب الى « أتلي » رئيس وزراء بريطانيا السماح بدخول ١٠٠ ألف لاجيء يهودي الى فلسطين^(٣) .

وكانت بريطانيا تخشى رد الفعل العربي للموافقة على مثل تلك الخطوة التي تعد خرقا لسياسة الكتاب الأبيض ، لذا رأت أن تشرك معها أمريكا في تحمل المسؤولية ، فاقترحت تشكيل لجنة انجليزية أمريكية في سنة ١٩٤٦ ، لتوصي بالحل المناسب .

ورأت اللجنة أن الخصومة بين اليهود والعرب جعلت من انشاء دولة مستقلة في فلسطين أمرا متعذرا في ذلك الوقت ، ومن ثم أشارت على الحكومة البريطانية بأن تحتفظ بالانتداب الى أن تعد اتفاقية لفرض وصاية على فلسطين تحت إشراف الأمم المتحدة ، وفي الوقت عينه أوصت اللجنة بالسماح لمائة ألف يهودي اوروبي بدخول فلسطين ، بناء على ما طلبه الرئيس ترومان^(٤) .

وزاد الصهيونيون من جهودهم لتجنيد الأعوان في الكونغرس الأمريكي بغية تأييد

(١) انظر : مدخل الى اسرائيل ص ٧٥

(٢) ديوانه ص ٤٠٦

(٣) حل الى اسرائيل ص ٨٦

(٤) هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ص ٢٥

مطالبهم ، كما لجأوا الى وضع خطط محكمة لتنظيم الهجرة غير المشروعة الى فلسطين ،
ويضاف الى ذلك تصعيد أعمال العنف ضد البريطانيين .

* * *

كان لتقرير اللجنة الانجليزية الأمريكية وقع سيئ في الأوساط الفلسطينية والعربية ،
ففي فلسطين عمت الإضرابات ومظاهرات الاستكار والاحتجاج ، وعلى الصعيد العربي
ازدادت حدة التذمر والقلق من المصير الذي بدأت تنزلق اليه القضية الفلسطينية ، وارتفعت
الأصوات منادية بضرورة النظر الى القضية بكثير من الجدية والوعي ، مع الاستعداد
للتضحية .

يقول عبد الله النوري من قصيدة أنشدها في شهر أيار من عام ١٩٤٦ :

فتى الشرف الأعلى ومنبت نشته	اليك انتهى أمر دهبنا به أمر *
تضام فتاة العز وهي قريبة	اليك وفيك المجد والشرف الكبر
أنشقى فلسطين وانتم حمايتها	فأين السيوف البيض والأسل السمر
وأين رجال المجد من كل عترة	يمثلها صيت ويرفعها ذكر

وفي المسجد الأقصى ومسرى نبيكم	تذل به التقوى يهان به الذكر
وهل يرتضي الاسلام هذا المسجد	اليه سجودا في صلاتهم خروا ^(١)

ويحيي « عبد الله أحمد حسين » في عام ١٩٤٦ من أرخصوا دماءهم في سبيل الحفاظ
على عروبة فلسطين ويدعو الى انتزاع الحق عن طريق اللجوء للقوة :

حيوا الدماء السائلا	ت على ربي القدس الشهيد
عودوا لزمجرة الحد	يد فما يفيد سوى الحديد
واستخلصوا العذراء من	أيدي الزبانية اليهود ^(٢)

وفي الجانب الرسمي تنادى الحكام العرب الى مؤتمر عقد في « انشاص » بمصر في
٢٨ من أيار ١٩٤٦ ، وأعلن المجتمعون أنهم يتمسكون بعروبة فلسطين ويأملون الا يؤدي

(*) الامر : المنكر أو العجيب

(١) من الكويت ص ٦٦

(٢) مخطوطة

ما لحق بالفلسطينيين من ظلم الى تعكير صفو العلاقات. بينهم وبين كل من بريطانيا وأمريكا .

وخلال شهر حزيران من عام ١٩٤٦ عقد اجتماع استثنائي لجامعة الدول العربية في « بلودان » بسوريا ، وكان من مقررات هذا المؤتمر مفاوضة الحكومة البريطانية لحل قضية فلسطين ، فإذا أخفقت المفاوضات تعرض القضية على الأمم المتحدة .

والجزء الثاني من التوصية يتفق مع رغبة بريطانيا في التنصل من مسؤوليتها تجاه تردي الوضع في فلسطين ، وجعل القضية في يد الأمم المتحدة ، التي تستطيع أمريكا ممارسة ضغط كبير عليها .

وفي تشرين الثاني ١٩٤٦ عقد مؤتمر لندن ، وتقدم العرب بمشروع يتضمن بعض التنازلات ، ولكن بريطانيا لم تأخذ به بحجة عدم موافقة اليهود ، وتقدمت بدلا من ذلك بمشروع آخر يقضي بوضع البلاد تحت حماية دولية لمدة خمسة أعوام وتقسيمها الى وحدات إدارية ، وبعد أربعة أعوام تحاول جمعية عربية يهودية سن دستور فلسطين المستقلة ، فإذا اتفقت أكثرية أعضائها اليهود وأعضائها العرب اعلن الاستقلال ، والا رفعت القضية الى الامم المتحدة^(١) .

ولما أصبح من المتعذر الوصول الى أي اتفاق نتيجة لتعارض مصالح الأطراف الثلاثة ، قررت بريطانيا التخلي عن الانتداب ، وعرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة .

(٥)

قرار التقسيم ومقاومته

طلبت الحكومة البريطانية رسميا ادخال قضية فلسطين في جدول أعمال الامم المتحدة في الثاني من نيسان ١٩٤٧ ، وفي ٢١ و ٢٢ نيسان طلبت مصر والعراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية أن يدرج في جدول الأعمال الانتداب على فلسطين ، واعلان استقلالها^(٢) .

وعينت الامم المتحدة لجنة لدراسة القضية وتقديم الاقتراحات المناسبة وتوصلت

(١) جهاد شعب فلسطين ص ٢٩٥

(٢) ملف القضية الفلسطينية ص ٤٣

اللجنة الى إقترح مشروعين أحدهما مشروع الأغلبية ، والآخر مشروع الأقلية ، واقترح مشروع الأغلبية إنهاء الانتداب ، وتقسيم فلسطين ، وانشاء دولة عربية ودولة يهودية وكيان منفصل لمدينة القدس يخضعها لنظام دولي خاص ، أما مشروع الأقلية فيقترح بدوره إنهاء الانتداب ولكنه يدعو الى انشاء دولة اتحادية ، قوامها دولة عربية وأخرى يهودية ، وتكون القدس عاصمة الدولة الاتحادية .

وعارض العرب تقسيم فلسطين مستندين الى أنه لا يتفق مع العدل والديمقراطية . وفي الجولة الأولى من التصويت لم ينل مشروع التقسيم في الامم المتحدة العدد اللازم من الأصوات لإقراره ، وتكرر التأجيل حتى تباح الفرصة للصهيونيين كي يمارسوا مزيدا من الضغط ، وفي هذه الأثناء لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دورا بارزا بتوجيه من الرئيس ترومان لدفع الدول المعارضة للتقسيم الى العدول عن رأيها وبدا ذلك جليا حين انتقلت خمس دول من معارضة التقسيم الى تأييده ، أو الاكتفاء بالامتناع عن التصويت . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ أقرت الامم المتحدة مشروع التقسيم بأغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا ، وامتناع ١٠ عن التصويت .

وبعد اقرار ذلك المشروع أعلنت بريطانيا أنها سوف تنهي الانتداب ، ولعلها قصدت بذلك اتاحة الفرصة لليهود ليعلموا قيام دولتهم ، بعدما هيأت أسباب قيامها . وكان لتلك النتيجة التي انتهت اليها القضية الفلسطينية وقع مؤثر على امتداد الوطن العربي ، حيث ارتفعت أصوات الغضب والاحتجاج ، ونرى الشاعر خالد الفرج يخاطب مجلس الأمن وهيئة الامم المتحدة في عام ١٩٤٧ متسائلا عن وجه العدالة في تقسيم فلسطين :

يا مجلس الأمن بل يا هيئة الامم	ماذا التلاعب في الألفاظ والكلم
هل العدالة سلب المرء موطنه	والأمن هل هو في القتل والنقم

ثم يلتفت الى بريطانيا ليدكرها بأنها منذ أصدرت وعد بلفور وهي تحتضن الوليد الصهيوني ، حتى اشتد عوده وأصبح قادرا على البقاء والاستفزاز والعدوان :

ما وعد بلفور الا بدء سلسلة	من المظالم في التاريخ كالظلم
مضت ثلاثون عاما وهو يكلوهم	كالأم تحضن طفلا غير مُنْظَم
فأعلن الانجليز اليوم عزمهم	على الجلاء وأبدوا طيش منهزم

ويؤكد أن الاضرابات والمظاهرات لا تعيد الحقوق المغتصبة ، وليس ثمة من سبيل الى ادراك الغايات بغير اللجوء للقوة ، ثم العمل على جمع الشمل واقامة الوحدة :

ما في الصباح ولا الاضراب منفعة وليس ينفع إلا بطش متقم
يا قوم ساعتنا العظمى لقد أزفت وليس غير امتشاق الصارم الخدم
فكُونُوا وحدة منكم مؤيدة بكل مقتدر بالله معتم^(١)

* * *

وبعد أن تلقى الشعب الفلسطيني بخاصة ، والشعب العربي بعامة قرار التقسيم بالرفض ، شرع القادة الفلسطينيون وغيرهم بالعودة الى فلسطين للمشاركة في النضال ، وأخذت عناصر جيش الانقاذ تتحرك للمساهمة في القتال .

واشتدت الصدامات بين العرب واليهود ، واتسع نطاقها ، الأمر الذي دفع أمريكا الى اعادة النظر في امكان نجاح مشروع التقسيم .

وفي ٩ من آذار ١٩٤٨ اضطرت لأن تطلب من مجلس الأمن عقد دورة خاصة للجمعية العامة لتعمل على وضع حل جديد .

وأنتهت الجمعية العامة دورتها الخاصة بقرار يوصي بتعيين وسيط دولي مهمته تسوية الموقف في فلسطين تسوية سلمية .

ويقول عبدالله زكريا الأنصاري مخاطبا الوسيط الدولي « الكونت برنادوت » ، ومبينا وجه الظلم الذي لحق بالعرب من جراء انحياز مجلس الأمن الى جانب اليهود :

رفعوا عن مسرح الظلم ستارا وأنبروا يبغون في الأرض جهارا
أوغلوا في الجور حتى خلتهم في مدى جورهم قوما سكارى
عبثت بالحق أيديهم وقد ملأوا الدنيا خرابا ودمارا
أو لم يأتك ماذا فعلوا حين سنوا لفلسطين قرارا
عبدوا صهيون في أمواله وتخلوا عن بني العرب أوزورا^(٢)

وخشي اليهود أن تؤدي محاولات مجلس الأمن البحث عن صيغة جديدة لمعالجة قضية فلسطين الى صرف النظر عن قرار التقسيم ، وقرروا لذلك زيادة الأعمال الارهابية واشاعة

(١) ديوانه ص ١٨٦

(٢) مجلة كاظمه آب ١٩٤٨

الذعر بين السكان العرب ، لدفعهم الى مغادرة بلادهم .
وكانت مذبحة دير ياسين في ٩ من نيسان ١٩٤٨ من أكبر الأعمال الوحشية تأثيرا
في السكان .

وعن تلك الكارثة ومثيلاتها التي ذبح فيها السكان ذبح النعاج يقول خالد الفرّج :
وغدّت فلسطين الشهيدة مذبحا فيه الدماء جرت من الأوداج
في « دير ياسين » وفي أخواتها ذبح الأهالي مثل سرح نعاج
والمسلمون جميعهم في - شاغل من سفسات أو عقيم لجاج^(١)
وصمد الفلسطينيون على الرغم من افتقارهم الى السلاح للقوة اليهودية التي تتفوق عليهم
بعدها وحسن تنظيمها ، ولكن نفاد ذخيرتهم من جهة والموقف المناصر للصهيونية من قبل
قوات الاحتلال من جهة أخرى مكّنا اليهود من احتلال بعض المواقع قبل أن يحل الموعد
المعلن لانتهاى الانتداب .

(٦)

الحرب العربية الاسرائيلية ١٩٤٨

وبعد اعلان انتهاء الانتداب في ١٥ من أيار ١٩٤٨ بدأت كتائب من الجيوش العربية
بدخول فلسطين تنفيذا لقرار سابق للجامعة العربية ، فاستقبلت بالبهجة والفرح والأمل
في القضاء على العدوان ، وعمّت الفرحة أرجاء الوطن العربي ، وعلت أصوات الفخر
والاعتزاز بمن تنادوا لنصرة الحق .

يقول عبدالله زكريا الأنصاري مصورا تلك المشاعر :

يا فلسطين زهت أوطاننا بني المجد وجاءت لا تُبارى
هتفت مصر وضجت مكة وغدت بغداد لا تبدي قرارا

.....

أعلنوها ثورة قدسية ومشى الاسلام فيها والنصارى
وثبوا كالأسد في وجه العدا وثبة أضحى لها القوم حيارى

(١) ديوانه ص ١٦

نحن لسنا عربا إن لم ندع فكرة التقسيم عنهم تتوارى^(١)
ويعبر أحمد السقاف عن الأمل بالنصر في قوله :

بين فتك الطبا وخوض الملاحم ظهر المجد وهو جذلان باسم
ويذكر أدياء السلام بما آلت اليه الحال في فلسطين :

يا حماة السلام مني سلام محرق كالشواظ غضبان ناظم
ليس عدلا أن يشنق العدل في القدر س وأن تستباح فيه المحارم
ليس عدلا أن تنجزوا حلم صهيو ن ، وصهيون فاقد الرشد وأهم
ثم يصف تحفز العرب للذود عن حقهم :

أقسم العرب أن تصان فلسطين ن وألا يروعاها أي قاسم
وتنزلت مما ارتكبتم ملايي ن وخفت الى الجهاد عوالم
فالعقال الأبي شد على العز م وليث على الثبات العمائم^(٢)

ومنذ الأيام الأولى لاندلاع الحرب « فرضت القوات العربية الحصار
البحري على فلسطين ، وأنزلت في صفوف العدو ضربات قوية ولم يمض
اثنا عشر يوما على بدء القتال حتى أضحت الكتائب المصرية والعراقية تحدد
بتل أبيب نفسها . ، وتحرز القوات العربية في سيرها تقدما مستمرا »^(٣)

وكان مجلس الأمن قد وجه نداء بوقف القتال بعد اسبوع واحد من اندلاعه
ولكن العرب لم يستجيبوا ، وفي ٢٩ من أيار ١٩٤٨ دعا المجلس الطرفين المتحاربين
الى هدنة لمدة أربعة أسابيع .

ونتيجة للضغط البريطاني والأمريكي تراجع العرب عن موقفهم ، ووافقوا
على قبول الهدنة ، وكانت هذه الموافقة من أكبر الأخطاء التي وقعت فيها
الحكومات العربية حيث تمكن اليهود خلالها من تنظيم صفوفهم ، وسد وجوه
النقص في استعدادهم سواء من جهة الرجال ، أو الأسلحة ، على الرغم من
مخالفة ذلك لشروط الهدنة .

(١) مجلة كاظمه آب ١٩٤٨

(٢) مجلة كاظمه أيلول ١٩٤٨

(٣) اسرائيل جناية وخيانة ص ١٢٠-١٢١

وعند انتهاء الهدنة في ٩ من تموز ١٩٤٨ ، استؤنفت الحرب ثانية وظهر أن اليهود أصبحوا أكثر استعدادا من ذي قبل .

واستمر القتال لمدة عشرة أيام تمكن اليهود في أثنائها من احتلال اللد والرملة بعد أن تخلّى عنها الجيش الأردني ، كما استولوا على مناطق أخرى تقع خارج الأجزاء المخصصة للدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم .

وفي ١٥ من تموز ١٩٤٨ أصدر مجلس الأمن قرارا يدعو الى وقف القتال واعلان هدنة غير محدودة بمدة معينة ، كما مارست أمريكا وبريطانيا الضغط على العرب حتى يقبلوا بالهدنة .

ولم يمض وقت طويل على بدء الهدنة حتى ضاعف اليهود استعدادهم ، وعمدوا الى خرقها ، واحتلال مزيد من المناطق العربية التي لم تكن في أيديهم . ومن بعد تم توقيع أربع اتفاقيات للهدنة ، الأولى مع مصر في ٢٤ من شباط ١٩٤٩ ، والثانية مع لبنان في ٢٣ من آذار ١٩٤٩ ، والثالثة مع الاردن في ٣ من نيسان ١٩٤٩ ، والرابعة مع سوريا في ٢٠ من تموز ١٩٤٩ . وبتوقيع تلك الاتفاقيات انتهت الحرب في فلسطين الى حين .

ولخالد الفرّج قصيدة بعنوان « الهدنة » يظهر فيها استخفافه باتفاقيات الهدنة ، الموقعة بين العرب واسرائيل ، التي جعل منها الاسرائيليون غربالا يمكن أن نستعين به لغربلة رجالاتنا الذين يدعون البطولات الكاذبة :

بين اليهود وبين قومي هدنة	قد خرّقت حتى غدت غربالا
فيه النصال على النصال تكسرت	وبه نخلنا للخطوب رجالا
لم يمسك الغربال منهم واحدا	حتى ولا وعدا ولا أقوالا
صور تراءت فوق شاشة مسرح	ومتى لمست لمست ثمّ خيالاً
« كالدون كيشوت » وطاحوناته	يغشى الوغى ويجندل الأبطال
واذا اليهود بغوا رأيت كفاحهم	بالاحتجاج صياحهم يتعالى ^(١)

كانت الأمم المتحدة قد تبنت توصيات وسيطها الكونت برنادوت التي رفعها قبل اغتياله من قبل اليهود ، وعينت لجنة للتوفيق من ممثلين عن الولايات

(١) ديوانه ص ٢٠٥

المتحدة الامريكية وفرنسا وتركيا ، لتقوم باتمام المهمة التي بدأها . وفي ١٢ من أيار ١٩٤٩ وافقت الحكومات العربية واسرائيل على مقترحات اللجنة التي عرفت بـ « بروتوكول لوزان » لتكون أساسا للعمل والمفاوضات حول القضايا المتعلقة .

وفي هذا الصدد عبر خالد الفرّج عن الاحساس السائد بخيبة الأمل والتشاؤم نتيجة قبول العرب الذهاب الى « لوزان » كما انتقد موافقتهم على التعاون مع لجنة يرأسها « يلجان » وزير خارجية « تركيا » ، الذي قال عنه أنه يهودى الأصل :

يا ليت شعري هل العربانُ عربانُ	وهل رأت ذلهمّ والخزي لوزانُ
واسوأُتاهِ وللتاريخ عبرته	أن الرئيس على المأساة « يلجان »
لِمَ الذهاب الى لوزان في ضعة	ألاّ اعتراف ؟ فليت القوم ما كانوا
لَمْ يبقَ شئٌ للوزان نفوز به	إلاّ خنوعٌ واذعان وخسران

وانتهى الى أنه لا سبيل الى تحقيق المطالب بغير القوة :

وهل تُرجونَ حقاً لا يؤيده من المدافع والبرهان^(١)

(٧)

من آثار النكبة

وبانتهاء الحرب بين العرب واليهود في عام ١٩٤٨ ، وتوقيع اتفاقيات الهدنة في عام ١٩٤٩ ظهر الكيان الاسرائيلي الى الوجود ، من خلال اغتصاب رقعة عزيزة من الأرض العربية ، وبذلك دخلت قضية فلسطين مرحلة جديدة .

فقيام كيان أجنبي في قلب الوطن العربي كان بداية متوقعة لسلسلة جديدة من المشكلات ، لعل من أهمها نزوح أعداد كبيرة من المواطنين الفلسطينيين عن مدنها وقراهم ، يضاف الى ذلك أن اسرائيل سعت منذ اعلان قيامها الى توسيع رقعة الأرض التي تحتلها ، فتجاوزت المساحة المحددة بموجب قرار التقسيم ، منهجة في سبيل تلك الغاية شتى أساليب التخويف والارهاب ، والاعتداء الوحشي على السكان الآمنين . الأمر الذي أدى الى تفاقم مشكلة النزوح من فلسطين .

(١) ديوانه ص ١٩١

وعلى الرغم من صدور عدة قرارات من الأمم المتحدة تطالب بعودة اللاجئين الى ديارهم فان اسرائيل لم تستجب ، ولم تعمر تلك المأساة الانسانية أدنى اعتبار . ومن الآثار النفسية الخطيرة التي تخلّفت عن النكبة ، الاحساس الجارف بالشك وفقدان الثقة بالنفس والمستقبل ، بحيث لم يكد ينجو من الوقوع في هذا الشرك سوى فئات قليلة من المؤمنين بامكانات الامة وطاقتها ، وبمقدرتها على تجاوز المحن وخلق الظروف الملائمة الكفيلة باعادة الحق الى نصابه .

وبمرور الأيام أصبح الكيان الاسرائيلي أداة طيعة لتنفيذ المخططات الاستعمارية الرامية الى عرقلة التحرر العربي ، وصرف العرب عن الالتفات الى تطوير أوضاعهم.

وكانت بريطانيا قد عمدت قبيل انتهاء الانتداب الى البدء بسحب قواتها من المناطق المخصصة لليهود بموجب قرار التقسيم ، حتى تيسّر لهم تثبيت مواقعهم وترسيخ أقدامهم فيها ، وتم الانسحاب قبل الموعد المعلن سابقا ، وبذلك وضع السكان العرب في تلك المناطق تحت رحمة اليهود ولم يتردد اليهود في انتهاج أقصى أساليب البطش والارهاب لاجبار السكان على الهجرة ، عملا بسياستهم الرامية الى اخلاء فلسطين من سكانها العرب ، واحلال مزيد من المهاجرين اليهود مكانهم ولم يتمكن العرب من مجابهة الارهاب بسبب تجريدهم من سلاحهم خلال فترة الانتداب ففرت جماعات كبيرة منهم الى الأقطار العربية المجاورة ، طلبا للنجاة .

وعند وقوع الصدام بين اليهود والجيوش العربية التي دخلت فلسطين بعد انتهاء الانتداب ، ترك كثير من الفلسطينيين موطنهم ، وفي نيّهم العودة اليه بعد انتهاء المعارك ، الا انهم لم يتمكنوا من العودة بسبب تعنت السلطات الاسرائيلية . ولم تتوقف موجة النزوح بعد الحرب ، بسبب استمرار اسرائيل في طرد السكان العرب من المناطق التي تحتلها ، أو الاستيلاء على أراضيهم وموارد رزقهم .

ويقدر عدد اللاجئين الفلسطينيين بنحو مليون لاجئ « تركوا أراضيهم وعقاراتهم ومتاجرهم وبضائعهم وأثاث بيوتهم وثرواتهم ، بما يمكن أن يقدر بنحو ألفي مليون جنيه »^(١) .

(١) أكرم زعير : القضية الفلسطينية ص ٢٥٦ .

وبقي معظم هؤلاء اللاجئين في المناطق العربية التي نزحوا إليها في حال مزرية ،
يقيمون في أكواخ بائسة وخيام رثة ، لا تقيهم برد الشتاء ولا حر الصيف ، ويتعرضون
لشبح الجوع والأمراض الفتاكة .

وفي هذا قال خالد الفرّج مصورا حالهم ، وساخرًا من الحكومات العربية
التي لم تولّ قضيتهم ما تستحق من عناية واهتمام :

اللاجئون من الرمضا إلى النار	عار عليكم جميعاً أيما عار
تركتموهم وقد غرّرتهم بهمّ	مشردين بلا مال ولا دار
الجوع يفتك والأمراض سارية	وكم رأى الليل من ضاو ومن عارى
ألا قلوبُ ألا عطفُ ألا صلةُ	حتى ولو من صلات الجار للجار
لا الحق عاد إلى أصحابه أبدا	فقد فقدناه في ذل واعدار
ولا المشرّد واسيناه عن سعة	دارا بدار وإيسارا بأعسار
ما للخيام وللأطمار مائلة	ما بين قصر وجنات وأنهار ^(١)

وأشار محمود الأيوبي الى الحال السيئة التي يعيشها اللاجئون ، من الشيوخ
والأطفال والنساء ، وكيف أنهم أمسوا عرضة للهلاك :

وحول التخوم تثنّ الألوّف	من اللاجئين بليل عكّر
وبين الوهاد وفوق الذرى	يزمجر غول الهلاك القدر
فتاة تصيح وأخرى تموت	وأخرى بأحزانها تحتضر
وطفل يولول فوق العدا	وشيوخ بهمهم أين المفر
وأمّ تهاوى وليس بها	سرى أعظم نال منها الضرر ^(٢)

وعالج محمد أحمد المشارى مشكلة اللاجئين بأسلوب قصصي مؤثر . حين
صور حال امرأة فلسطينية كانت عزيزة الجانب ، ولكن المأساة الجأتها الى السؤال
فأخذت تطوف مع طفلتها الشوارع :

لما رأتنا أسرع إثرنا	وعينها بالدمع . مُخَضِّلَة
قالت ومدّت كفّها نحونا	وصوتها مرتعش ذلّة

(١) ديوانه ص ٢٠١

(٢) الحان الثورة ص ١٦٦

الله لا يريك مأساتنا
كانت لنا أمس فلسطيننا
يا سيدى وشدة العله
وبيتنا والعيشة السهله

وغني عن البيان أن مشكلة اللاجئين لم تحل حتى يومنا هذا ، نتيجة تعنت اسرائيل ورفضها الاستجابة الى قرارات الامم المتحدة التي تدعو الى اعطائهم حق العودة لوطنهم ان هم رغبوا في ذلك .

وكذلك ما يزال اللاجئين الفلسطينيون يعيشون في ظروف سيئة يصعب احتمالها وما يزال الاحساس بخطورة تلك المشكلة يشغل الأذهان ويثير الألم في النفوس ، ويندر أن تمر مناسبة للحديث عن فلسطين دون أن تكون مأساة اللاجئين في مقدمة الموضوعات التي يلح المتحدثون على التذكير بخطورتها ، ولا نريد في هذا الموضع أن نتبع ما جاء على ألسنة الشعراء عن تلك المشكلة عاما بعد عام ، بل نكتفي بذكر مثال لواحد منهم ، وهو الشاعر عبد الله سنان ، الذي لجأ الى التذكير بمشكلة اللاجئين في عام ١٩٦٦ ، أى بعد مرور ثمانية عشر عاما على التقسيم ، فأعاد رسم الصورة كما فعل خالد الفرج من قبل ، وكأنما هو يؤكد أن وضعهم السيئ لم يطرأ عليه أى تحسن أو تغير :

وَشُرِدَ أَهْلُهَا ظِلْمًا وَبَغْيًا
وَبَاتُوا فِي الْعَرَاءِ بِلَا وَقَاءٍ
يَحْطُمُهُمْ عَلَى الْأَوْطَانِ حَزَنٌ
تَرَاهُمْ تَائِهِينَ بِكُلِّ أَرْضٍ
فلسطين الجريحة خبريني
متى يجد الشريد اليك دربا
حفاة أشبعوا نفيا وطردا
يقيهم في العرا قرأ^(١) وبردا
وتحصدهم يد الأمراض حصدا
يجوبون الفلا غورا ونجدا
فجرحي ما يزال عليك يندى
فيسلكه ويحمد فيك عودا^(٢)

ولعل من أخطر الآثار المتخلفة عن نكبة ١٩٤٨ شيوع روح الشك والقلق وفقدان الثقة بالامكانيات العربية ، بعدما تبين للمواطن عجز الحكومات عن مواجهة العدوان الصهيوني الاستعماري ، ومنذ ذلك الحين سرى في مجرى الأدب العربي تيار سلبي يصور الاحساس بالكآبة والتخاذل والعجز ، وساهم الأدباء من حيث لا

(١) مجلة البيان - حزيران ١٩٦٦

(٢) القَرَّ : هو البرد

يدرون في ترسيخ هذا الشعور المدمر الخطير ، الذي كرس في الوجدان العربي مفهومات مغلوطة تتطلب ازالتها جهدا كبيرا .

أما الجوانب الايجابية التي كانت النكبة سببا في تحقيقها ، فلم يعمد الأدباء الى ابرازها بالصورة المطلوبة .

فالنكبة كانت ناقوسا أيقظ العرب من سباتهم ، ودفعهم الى التنبيه والبحث عن مواطن الضعف في أوضاعهم الداخلية ، التي كانت من أبرز أسباب الهزيمة . وإذا كان الشعراء ساهموا قبل النكبة في إثارة الهمم ، والحث على النضال والتضحية والعطاء ، فقد كان وقوع النكبة سببا في تدمير الايمان بقدرات الامة لدى كثيرين منهم . وهذا ما يبرر انصراف تلك الطائفة الى الشكوى والتذمر والتهكم وترسيخ اليأس في النفوس بدلا من المساهمة في اقتلاع جذوره .

ويبدو أن هذا التيار السلبي بلغ حدًا من الاتساع يجيز اعتباره ظاهرة تستحق التسجيل .

وكان للشعر الكويتي نصيب من تلك الروح التشاؤمية ، التي ارتسمت على آثار كثير من الشعراء العرب بعد عام ١٩٤٨ .

فالشاعر عبد الله سنان بعد أن عدّد منجزات الآباء التي تداعت لم يتردد عن الدعوة الى البكاء على ما فات :

ابك ما قرطت يداك فأصبح	تَ بلا رفعة ولا تأييد
جرّد العز من يديك فأصبح	ت من الهون راضيا بالقيود
أنت أنت الذي أضعت طريق الـ	مجد فلتبكه بكاء المنكود

.....
هل حلمتم أم الألى^(١) حلموا أن تترك العرب دولة لليهود^(٢)

وبيّن في موضع آخر أنه لا أمل في مستقبل أفضل للعرب ، بعد أن أطبق عليهم العدو ، وهم مشغولون عنه باهتماماتهم الجانية التافهة :

أبفلح مستقبل للعرب وهل لهم عزّة تُرتقب

(١) استعمل الشاعر كلمة « الألى » بمعنى الأوائل أو الأقدمين وصواب معناها هو « الذين »

(٢) نفحات الخليج ص ٦٤

أترجو المحال لمن أطبقت
يقولون عُرِبَ وقد رابطوا
يقولون عُرِبَ وليست بهم
عليهم يد الجائر المغتصب
على اللهو دون العلا والطرب
ولا خلّة من خلال العرب^(١)

ويبلغ به اليأس غايته في موضع ثالث ، فيسرف في التهكم من قومه :
تركنا العلا ونبدنا الهمم
وبعنا الكرامة بيع النعم

.....

إذا لطمتنا يد الجائرين
ونشرب نخب انتصار العدا
ولا نأخذ الحق من غاصبيه
وضعنا على رأسنا من لطم
علينا ونقبل ركل القدم
ونقبل من غاصبيه النهم^(٢)

وتبدو في هذه الأبيات آثار اليأس ، الذي جرف الشاعر بعيدا عن قصده ،
وأوقعه في مبالغة غير محمودة ، في مثل قول « ونشرب نخب انتصار العدا » . .
وقوله « ونقبل ركل القدم »

وأمعن خالد الفرج في السخرية من قومه . واتهمهم بأنهم لا يجيدون سوى الكلام
ووصفهم بالطبول الفارغة :

وإذا الموائد في الولاثم صفّت
هي من كلام الليل لما أشرقت
وإذا اليهود بغوا رأيت كفاحهم
الطلب يدوى حين يُقرع بالعصا
فاسمع عراضا نُمّقت وطوالا
شمس الحقيقة ذوبته فسالأ
بالاحتجاج صياحهم يتعالى
والقوم ليسوا منه أحسن حالا^(٣)

وفي قصيدته « تمخض الجبل » سخر من مقابلة عبد الخالق حسونه - أمين
الجامعة العربية - لايزنهاور ، وصرح بأنه لولا اعتزازه بأجداده العرب ، ذوى
المفاخر واليأس لأقدم على الانتماء الى جنس آخر غيرهم :

تَمَخَّضَ الطود فهل من خَيْرٍ
تبسم الناس وقالوا لنا
ينبئ عما قد جرى من غير
قابل حسونة ايزنهاور

(١) نفحات الخليج ص ٢٩

(٢) نفحات الخليج ص ١٥٩

(٣) ديوانه ص ٢٠٥

يا أُمَّةَ القولِ ألا فِعْلَةٌ
لولا اعتزازي بجدودي الألى
لقلت يا « موماو » هل عندكم
تبقى لكم في الناس بعض الأثر
سادوا وشادوا المجد فيما غُبر
لي صَبْغَةٌ أو فلفل من شعر^(١)

والشاعر عبد الله النورى الذى دفعه حسه القومي الى الدفاع عن العروبة والانتصار لليبيا ضد الارهاب الايطالي عام ١٩٣١ ، والحث على صون عروبة فلسطين في عام ١٩٤٦ يتحول فيما بعد الى وصف القومية بأنها دعوة رعناء تسعى الى تشتيت الشمل في قوله :

قومية رعناء شتت شملنا
فالعرب وحدهم وفارس وحدها
فيها فصرنا طعمة لعدونا
والهند قوم ما هم من جنسنا^(٢)

وهو لا يجهل أن الهنود ليسوا من جنسنا ، والفرس قوم يختلفون عن العرب . كما أنه يدرك أن القومية لم تشتت شملنا ، بل سعت الى جمعه ، بل لعله أحد المؤمنين بها ، وعلى هذا لا نجد تفسيراً لتلك الانتكاسة لديه سوى القول بأنها ربما تكون نتيجة للحساس بخيبة الأمل التي كرسها نكبة فلسطين ، وعجز العرب عن التماس سبيل العلاج .

وممة فريق آخر من الشعراء آلمهم واقع النكبة ، وهزتهم الهزيمة ، ولكنهم حاولوا البحث عن العوامل الكامنة وراء ما حدث ، فنههم من أعادها الى تفرق كلمة العرب ، ومنهم من اتجه باللوم الى الزعماء الذين يملكون زمام الأمر .

وهناك من اكتفى بالتعبير عن حزنه وأسفه لما حدث ، فالشاعر عبد المحسن الرشيد يعدّ الهزيمة في عام ١٩٤٨ نتيجة طبيعية للشقاق والتفرق والتخاذل والغدر يقول :

أجل هذه العقى وبس هي العقى
رمينا الى داعي الشقاق قيادنا
وبالعار لا بالغار عادت جيوشنا
وضاعت فلسطين وشرّد أهلها
أما أصبحت أوطاننا للعدى نهباً
فلم نحمد المسعى ولم نشكر الدرباً
وقد هُزمت غدرا وما هُزمت حرباً
وضمّت مغانيها الصهبانة الغرباً

(١) ديوانه ص ٢٠٦

(٢) من الكويت ص ١١٧

إذا معشر دَبَّ التخاذل بينهم وجدتهم والضعف في عزمهم دبا^(١)

أما عبد الله أحمد حسين فيرى أن الحقيقة كشفت زيف الادعاءات ،
بدليل أن المسؤولين العرب لم ينفذوا وعودهم ، وما جاء في خطبهم الرنانة ، حول
الوقوف بوجه المؤامرات الاستعمارية ، بل لجأوا بدلا من ذلك الى التماس التسويات
السلمية التي تدل على الخنوع :

أَيُّ عَهْدٍ لَنَا وَأَيُّ مَنَاطِرٍ كَذَّبَ الْعَقْلُ مَا يَرَاهُ النَّاطِرُ
ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ مَهَازِلِكُمْ تَدَا لَكُمْ وَمَادَتْ بِيَدِهَا وَالْحَوَاضِرُ

.....

كَمْ مَلَأْنَا الْأَسْمَاعَ فِي شِدَّةِ الْخَطِّ بَ كَلَامَا ، وَكَمْ هَزَزْنَا الْمَنَابِرَ
وَاجْتَمَعْنَا مِنْ كُلِّ حُدُبٍ وَصُوبٍ وَسَمِعْنَا لِنَاظِمٍ وَلِنَاثِرٍ
غَيْرِ أَنَا لَمْ نَجِبْهُ الْخَصْمَ بِالْعِزِّ فِ وَمَلْنَا إِلَى السَّلَامِ الْخَازِرِ^(٢)

ويبدى عبد الله زكريا الانصاري ألمه وحزنه للمصير الذي آلت إليه
فلسطين حيث تم تهويد مدينتها التي كانت عامرة بسكانها العرب :

يَا لِيَا فَا أَتْرَاهَا هُودَتْ بَعْدَمَا كَانَتْ لِأَلِّ الْعَرَبِ رُكْنَا
وَلَحِيفَا أَتْرَاهَا أَفْقَرَتْ وَخَلَّتْ أَرْبَعَهَا مَغْنَى فَمَغْنَى

ويبلغ به البأس حدا يتمنى معه أن يكون في حال لا يرى فيها ولا يسمع ما
يجرى حوله :

لَبِئْسَ وَالِدُهُ فِي سَكْرَتِهِ لَا أَرَى عَيْنَا وَلَا أَسْمَعُ أَذْنَا^(٣)

وتجدر الإشارة الى أن المعاني التي تتسم باليأس والتشاؤم والاستهانة بالقدرات
العربية ، كما رأينا في النماذج السابقة ربما تكون لدى شعراء الكويت أخف
حدة وعنفا مما نجد عند كثير من الشعراء العرب الآخرين ، ونكتفي في هذا
الموضع بالاستشهاد بنموذج لواحد منهم ، لتبين من خلاله ما يمكن أن ينجم
عن اليأس نتيجة النكبات التي تتعرض لها الأمة .

(١) أغاني ربيع ص ٢٧

(٢) مجلة البعثة - كانون الثاني ١٩٤٩

(٣) مجلة البعثة - كانون الثاني ١٩٤٩

يقول الشاعر علي أحمد باكثير عن العرب بعد وقوع نكبة فلسطين :

عربُ أنتمُ كذبتُم كذبتُم	إنما أنتمُ يهودُ يهودُ
لا ، بل ان اليهود أمثلُ منكم	هم أفاعٍ تخشى وأنتم دُود
لَتَمَيَّتْ لو نَمِيت إلى الزن	ج وما مَتَّ بي اليكم جدود
إنمَّا أنتمُ شنَّارٌ وعار	ووبال دانٍ وغوت بعيد
لَعَنَات من السماء عليكم	تمترى بها صواعق ورعود
إن أصلاب يعرب لبراء	منكمُ أيها العبيد العبيد ^(١)

ومن الجلي أن مثل هذا الانسحاق النفسي أشد تأثيرا وأبعد خطرا من الهزيمة العسكرية .

* * *

وفي مقابل التيار المتشائم الغالب على الشعر ، كان هناك تيار آخر ، سلك الشعراء من خلاله مسلكا مغايرا ، حين عنوا بالتنبيه الى خطر الصهيونية ودعوا الى ضرورة النهوض لمقاومة مخططاتها ، وأشادوا بالطاقات العربية الكامنة التي لو أمكن حشدها لتغير الموقف .

وثمة جمهور من الشعراء ألحوا على ضرورة صرف النظر عن استجداء عون مجلس الأمن وهيئة الامم المتحدة ، والاعتماد على القوة الذاتية للعرب . يقول أحمد السقاف من قصيدة له أنشدها بعد النكبة في عام ١٩٤٨ :

الحقُّ للمدفع القَصَاف ليس لمن
يريد من « مجلس التضليل » إحسانا

يا أيها القوم هَبُوا ذا أوأنكمُ	عار عليكم اذا ما نتمم الآنا
الله أكبر ان بين اليهود لهم	بأرضكم عنوة مُلُكا وسلطانا
موتوا ففي الموت اعلاء لدينكم	ويمموا الخلد في تكريم رضوانا ^(٢)

(١) كامل السوافيري : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٥٤١

(٢) كامل السوافيري : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٥٣٩ = ويلاحظ أن المؤلف ذكر أحمد السقاف حين ساء حضرموت ، مع أنه واحد من شعراء الكويت المعروفين والسقاف وان كان ولد في عدن فقد استقر في الكويت منذ عام ١٩٤٣ - أنظر أيام الكويت - لأحمد الشراصي ص ١٨٠ .

وينبه عبد المحسن الرشيد في عام ١٩٤٩ الى أن العرب لا ينسون ثأرهم ولا يقبلون الضيم ، ولا بد أن ينهضوا لردع العدوان وتحرير الأرض ، لأنهم يمتلكون من الطاقات ما يتيح لهم تحقيق النصر في النهاية .

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْعَرَبَ يَنْسُونَ ثَأْرَهُمْ	وَيَرْضُونَ حَمْلَ الضَّيْمِ لَمْ يَعْرِفِ الْعَرَبَا
فَلَا يَحْسِبُ الْأَعْدَاءُ فِينَا هَوَادَةً	فَمَا هِيَ إِلَّا رَجْعَةٌ تَسْبِقُ الْوَثْبَا
رَوَيْدَهُمْ يَلْفُوا كَنَائِبَ عَرَبٍ	كَمَا فَاضَ فِي الْوَادِي الْمَضِيقِ إِذَا عَبَا
بِكُلِّ فَتَى كَابَنِ الْوَلِيدِ بَسَالَةً	يَرَى الْمَوْتَ فِي سَاحِ الْوَعْيِ مِنْهَا عَذْبَا
أَبِي هَوَى الْأَوْطَانَ حُلَّ شَغَافِهِ	فَلَيْسَ يُرَى إِلَّا بِهَا مَدْنَفَا صَبَا

.....
ستغدو فلسطين بعدد حسامه مُحَرَّرَةً سهلاً مُطَهَّرَةً هَضْباً^(١)

ويحث محمود الأيوبي العرب على السعي لتحرير الأرض من رجس العدو مبينا أن النصر سوف يكون حليفهم أن هم صمموا على اللجوء للقوة :

إِلَى تَحْرِيرِ أَرْضِ اللَّهِ مِمَّا	عَثَا فِيهَا مِنَ الرَّجْسِ الدَّمِيمِ
لَأَنَّا الظَّافِرُونَ إِذَا أَرَدْنَا	وَأَنَا الْفَائِزُونَ عَلَى الْخُصُومِ
أَعَدَّوْا لِلْسَّلَاحِ الْمَالِ وَامْشَوْا	إِلَى الْهَيْجَاءِ حَمْسًا فِي الْخُرُومِ
فَدَمْدَمَةُ الرِّصَاصِ عَلَى الْأَعَادَى	لَأَصْدُقَ مِنْ مَنَاقِشَةِ الْفُهُومِ
وَعِنْدَ الْقُوَّةِ الْحَمْرَاءِ يَأْتِي	إِلَيْنَا النِّصْرُ بِالْمَجْدِ الصَّمِيمِ ^(٢)

وقد مثلت اسرائيل منذ قيامها دور الشرطي ، المكلف من قبل القوى الاستعمارية بردع الأقطار العربية التي تتطلع الى الانعتاق من التبعية ، والسعي الى التحرر .

ولتنفيذ هذه الأهداف قامت باعتداءات غادرة كثيرة على الأردن وسوريا ومصر ولم يكن من قبيل الصدفة أن يأتي توقيت هذه الاعتداءات مع رغبة الدول الاستعمارية في ممارسة الضغط على تلك الأقطار . لدفعها الى تغيير سياستها بما يخدم مصالح الاستعمار . ولعل من أهم تلك الاعتداءات « مجزرة قبية » والاعتداء على قرى الساحل الشرقي لبحيرة طبريا ، والاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر .

(١) أغاني ربيع ص ٢٧

(٢) الحان الثورة ص ١٢٨

ففي تشرين الأول من عام ١٩٥٣ داهمت كنيّة اسرائيلية قرية قبية ليلاً بينما كان أهلها نائمين ، وأمطرتها بالقنابل ، فقتل من سكانها نحو سبعين فرداً كما قامت باعتداء مماثل على قرية نحالين ، وقتلت عدداً كبيراً من سكانها ، وكان توقيت هذه الاعتداءات متفقاً مع ظهور بوادر الرغبة في اصلاح الأوضاع السياسية في الأردن .

وكان لحادث قبية وقع مؤثر هزّ المشاعر ، وأثار السخط ، وارتفعت الأصوات في كل مكان تعيب التخاذل في مواجهة العدو ، وتطالب بوضع حد لتلك الأعمال الهمجية ، يقول خالد الفرج :

لو كنت يا « قبية » من « مازن »	لم يستبحك اللقطاء اليهود
لكنّا قومك وآسواتنا	تدرّعوا اليوم بذلّ العبيد
يلقون بالقول اعتداء العدى	والاحتجاجات بعيداً بعيداً ^(١)

ويكرر خالد الفرج سخطه وبرمه بعجز العرب عن رد العدوان ، عندما تعرضت قرية « نحالين » الفلسطينية لمثل ما تعرضت له قبية من قبل :

أف لهذا الوضع أف	إن لم تفوا بالقول كفوا
منكم تفتّرت المرا	تر والعدى بكم استخفوا

ماذا السكوت وفي وجو	هكم تداولت الأكف
يا أهل « نحالين » صب	را إن رزأكُم أخف
من « قبية » ستون في	أمثال محتكم توفوا
طلّت دماؤهم وأد	مع ثاكيها لا تجف ^(٢)

أما اعتداءات اسرائيل على سوريا فكانت تتفق مع رغبة الاستعمار في اكرامها على تغيير حكومتها « الوطنية » ومن الجدير بالملاحظة أن يلتقي بالتوقيت عدوان اسرائيل الغادر على قرى الساحل الشرقي لبحيرة طبريا بالمعركة التي شنها الاستعمار على سوريا لادخالها في حلف بغداد الاستعماري^(٣) .

(١) ديوانه ص ٢٠٣ . . وفي القصيدة اشارة الى قول الشاعر قريظ بن أنيف « لو كنت من مازن لم تستبح إبلي »

(٢) ديوانه ص ٢١٨

(٣) شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخاً وعمره ومصيراً ص ٣٦١

ويضاف الى ذلك رغبة اسرائيل الدائبة في توسيع رقعة الأرض التي تحتلها وسعيها في سبيل تنفيذ تلك السياسة الى ارباب السكان الآمنين واجبارهم على ترك أراضيهم .

وعن حادث الاعتداء على قرى بحيرة طبريا قال محمود الأيوبي مشيدا ببسالة السوريين :

قف من «طَبْرِيَّة» واقتحم أسوارها	متحفراً للتّلّ يوم لقاء ^(١)
وعلى طَبْرِيَّة حادّثات رَوّعت	جيش اليهود بأفرع الارزاء
دوت على صهيون كارثة الردى	محمرّة بصواعق الافناء
سيخر عرش الظالمين مديّنا ^(٢)	في لعنة الأجيال في الظلماء

والحق يؤخذ بالدماء ويُفتدى بدم الأبّاة يسيل في الأرجاء^(٣)

وكان الاعتداء الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ أصدق مثال على التلاحم بين المصالح الاستعمارية والصهيونية التي تهدف الى تدمير تطلعات الشعب العربي للتحرير من التبعية والاستغلال .

فحين كسرت مصر طوق الحظر على التسلح في عام ١٩٥٥ ، ثم أقدمت على تأميم قناة السويس في عام ١٩٥٦ ، لم تجد بريطانيا وفرنسا بدا من الاستعانة باسرائيل لتأدية الدور المقرر لها في خطة العدوان على مصر ، واعادتها الى دائرة النفوذ الاستعماري ، وكان أن قامت بتأدية مهمتها على الوجه الأكمل .

وفي هذا الصدد أشار محمود الأيوبي الى أن اتفاق اليهود مع الحكومتين البريطانية والفرنسية في العدوان الثلاثي ، يمثل حلقة من سلسلة الأيام المشؤومة التي بدأت بوعد بلفور ، وأن أهداف اليهود كانت تتجه أبدا الى القتل والارهاب والتدمير ، والقضاء على التطلعات العربية ، يقول مخاطبا اسرائيل :

من وعد بلفور حتى اليوم لم تدعي للآمنين حمى بالأمن ينتظمُ

مذابح فقهه الشيطان منتفضا
أعوامهم كلّها شؤم يسيل دما

من شكلها فزعا والهول ملتحم
وللمجازر فيها أدمع و د م

(١) انظر ص ١٦٠

(٢) المديّث : المطروق - المذلل

(٣) الحان الثورة ص ١٣٥

حتى اذا اجتمعوا بالدولتين دجى
وبيتوا الأمر أن يفنوا عروبتنا
« يوم القناة » على أوطاننا هجموا
بالذبح والسلب في أيديهم الخدم^(١)

لم يكن من اليسير على عرب فلسطين أن يركنوا للدعة والاستسلام ، وهم يشهدون اسرائيل تمنع في البغي والعدوان ، ولا تقيم لحقوقهم في العودة الى وطنهم أدنى اعتبار ، يضاف الى ذلك أن معظم الأقطار العربية لم تكن في وضع يمكنها من التصدي للعدو ، والسعي لاسترداد الحقوق المغتصبة ، أما الأمم المتحدة فتبين الفلسطينيون منذ وقت بعيد أنها لا تملك القدرة على تنفيذ مقرراتها ، الأمر الذي جعل تلك المقررات كلاما مكرورا لا طائل تحته .

وعلى الرغم من قسوة الظروف التي يعيشها الفلسطينيون في الأقطار المجاورة لوطنهم السليب ، فان ذلك لم يفت في عضدهم ، ولم ينهم عن العودة لمواصلة النضال .

وفي أوائل عام ١٩٥٥ بدأ الاعداد للعمل الفدائي ، واتخذ الفدائيون الفلسطينيون من قواعدهم العلنية في غزة وسوريا ، وقواعدهم السرية في الأردن ولبنان منطلقا لأعمال بدأت في عام ١٩٥٥ وامتدت حتى عام ١٩٥٨ .

وخلال هذه المدة قام الفدائيون على فترات متقطعة بأعمال ناجحة أقضت مضاجع الأعداء ، وأثارت الرعب والقلق في نفوسهم ، وللتدليل على خطورة ما وصل اليه العمل الفدائي ، يجدر التمثيل بكلمة لمندوب اسرائيل في مجلس الأمن ، ففي يوم ١٩٥٥/٩/٨ عقد مجلس الأمن جلسة خاصة لبحث شكوى اسرائيل من تكرار الهجمات الفدائية ، وقال المندوب الاسرائيلي « ان حوادث العنف التي وقعت أخيرا وصلت الى الذروة ، وأن اسرائيل لم تذق طعم الأمن والسلام طيلة أسبوع كامل »^(١) .

وبلغ العمل الفدائي ذروته في عام ١٩٥٦ ، ولعل من بين الأسباب التي دفعت اسرائيل للاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر رغبته في القضاء على الفدائيين الذين ينطلقون من غزة .

ومن جهة أخرى كان لعودة العمل الفدائي تأثير ايجابي كبير في الجماهير العربية ، التي بدأت تستعيد الثقة بالنفس بعد أن كاد اليأس يخنقها .

يقول محمود الأيوبي من قصيدة في عام ١٩٥٥ ، معبرا عن تفتح الأمل بالعودة

(١) الحان الثورة ص ٥٩
(١) صبحي محمد ياسين : حرب العصابات في فلسطين ص ١٨٥

الى الحمى المفقود ، بعد أن هب للذود عن الحق رجال مخلصون أرخصوا الأرواح والدماء :

إنَّ الفدائيين هم قد حققوا للنصر خلدا
ودم الشهيد يفور من ورد الربا أزكى وأندى

.....

متعاضدين يكسرو وتراهم في شرعة ال
ن ببأسهم قيذا فقيدا علياء ايمانا وجدا^(١)

كما يشيد في قصيدة أخرى له خلال عام ١٩٥٦ بمن تنادوا للثأر :

دعا للثأر في الأوطان قوم لأخذ الحق من بعد الضياع
من الشيب الأشاوس هب رهط وكل ثورة للحق داعي
شباب العرب لبوا والصبايا نداء المجد والأمر المطاع

.....

فلا عاش الجبان وكل حر له في يوم وثبته دواعي
سنرجع للحمى المدبوح نحى به روح الشباب بلا نزاع^(٢)

ولم تدخر اسرائيل جهدا في السعي للقضاء على الفدائيين ، وبعد أن أخفقت في وقف هجماتهم ، عن طريق القيام باعتداءات معاكسة على المدنيين في غزة وغيرها من المدن العربية ، لجأت آخر الأمر الى أمريكا طالبة تدخلها لدى مصر لتسريح الفدائيين ، الذين يتخذون من غزة قاعدة لهم .

وبعد العدوان الثلاثي سعت أمريكا الى تغيير الوضع المهادن للفدائيين في الأردن ، وساعدت على قيام حكومة جديدة أخذت على عاتقها محاربتهم وتضييق الخناق على نشاطهم حتى توقف في عام ١٩٥٨ .

على أن الشعب العربي الفلسطيني الذي لم يعرف طعم الراحة والسكينة منذ اتضحت خيوط المؤامرة الصهيونية ، لم يلبث أن عاود النضال مرة أخرى ، ففي اليوم الأول من كانون الثاني ١٩٦٥ صدر أول بلاغ عن حركة التحرير الفلسطينية يعلن بدء مرحلة جديدة من العمل في سبيل تحرير الأرض .

(١) الحان الثورة ص ١٧٤

(٢) الحان الثورة ص ١٠٠

ويوما بعد يوم كان رجال المقاومة يوسعون من نشاطهم ويلحقون بالعدو خسائر كبيرة في الأفراد والآليات والمنشآت الحيوية .

وكانت الآثار المعنوية لتلك الأعمال أكثر أهمية ، اذ بدأت الجماهير العربية والفلسطينية بخاصة تحس أن لديها من الامكانيات ما يمكنها من انتزاع حقوقها ولو بعد حين ، وأن القضية لم تمت ، وان حاولت اسرائيل ترسيخ الأمر الواقع ، وتعلقت الأنظار بالعمل الفدائي الذي أصبح يمثل نافذة للاطلاع على غد أفضل .

وخلال المدة من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٧ قام الفدائيون بتوسيع وتطوير جهودهم ، الأمر الذي أدى الى زعزعة الأمن والاستقرار في اسرائيل ، ومن المعلوم أن اسرائيل تعتمد في وجودها وبقائها على استمرار حالة الاستقرار التي تتيح لها جلب مزيد من المهاجرين الجدد ، وأن أي اضطراب في الأمن لا بد أن يؤدي الى نتائج عكسية ، تتمثل في عودة بعض المهاجرين الى أوطانهم الأصلية .

(٨)

نكسة حزيران ١٩٦٧ والمقاومة الفلسطينية

كانت رغبة اسرائيل في القضاء على العمل الفدائي من بين الأسباب المباشرة لعدوان ٥ حزيران ١٩٦٧ ، أما الأسباب البعيدة فتتصل بالاستراتيجية الاسرائيلية التي تعتمد على التوسع في احتلال المزيد من الأراضي العربية كلما كانت الظروف مواتية لتحقيق ذلك الهدف .

ومنذ توقيع اتفاقية الهدنة بين سوريا واسرائيل في ٢٠ من تموز ١٩٤٩ ، لم تكف اسرائيل عن خرق بنود الاتفاقية ، فيما يتعلق بالمنطقة المجردة من السلاح ، سواء من حيث محاولة استصلاحها ، أو من جهة الاعتداء على سكانها العرب ، ولم تكن القرارات المتعاقبة للهيئات الدولية كافية لردعها عن المضي في سياستها وأدت هذه الانتهاكات الى استمرار توتر الوضع على الحدود السورية .

وبحلول عام ١٩٦٧ رأت اسرائيل أن الوقت أصبح ملائماً لشن عدوان جديد تحقق من خلاله مزيداً من المكاسب ، ومنها :

١ - وقف تسلل الفدائيين من سوريا ، واجبارها على تغيير موقفها منهم .

- ٢ - تدمير الجيش المصري الذي يعدّ من أقوى الجيوش العربية .
٣ - احتلال مزيد من الأراضي .

وخلال شهر أيار من عام ١٩٦٧ اتخذت التهديدات الاسرائيلية ضد سوريا طابعا خطيرا ، الأمر الذي دفعها الى الاستنجد بمصر ، كما يقضي ميثاق الدفاع المشترك الموقع في ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

وسارعت مصر الى طلب سحب قوات الطوارئ الدولية من أراضيها ، ودفعت بقواتها الى احتلال مواقعها ، كما عملت على اغلاق مضائق تيران الواقعة ضمن مياهها الاقليمية . كانت التحركات العربية الاسرائيلية السريعة تنذر بأحداث ذات خطر سوف تشهدها المنطقة ، لذا أقدمت بعض الأقطار العربية على ارسال وحدات من قواتها للمشاركة في الدفاع عن الحق ضد قوى العدوان .

أما الجماهير فكان احساسها الفطري يتجه صوب تحرير فلسطين ، ووضع نهاية للوضع الشاذ ، ولعلها لم تكن تشك في أن الطاقات العربية الضخمة سوف تحسم المعركة المقبلة لصالح العرب .

ونفض الشعر ليؤدي دوره في اثارة الهمم والاشادة بالاجراءات التي اتخذت لاستعادة الحقوق الضائعة ، والتنبيه الى تحفز الجماهير للبذل والعطاء ، وتمجيد كل من هبوا لخوض حرب التحرير .

فالشاعر أحمد العدواني يخاطب القوة الكويتية التي اتجهت الى مصر قبيل وقوع الصدام لتشارك في مهمة الدفاع عن الأرض والكرامة ، فيقول :

أيدٍ أعدت للعلأ أقمارها	بوركت يا جيش الكويت وبوركت
حرب تخوض الى الخلود غمارها	وتقدست أرض نمتك وقُدست
عركوا الخطوب ورَوّضوا أخطارها	وهناك في سيناء اخوان لنا
واختر - اذا كان الخيار - كبارها	شاركهم الخطوات في شرف الفدى
رفعت على هام النجوم شعارها	وليَعلم الأعداء أنا أمة
للقاصدين وليس تنسى ثارها ^(١)	تنسى مكارمها إذا جادت بها

(١) جريدة الرأي العام ٢٨ أيار ١٩٦٧

ويذكر عبد الله الجوعان بالآسي التي تعرض لها الفلسطينيون ، ويدعو الى ضرورة
نجدتهم ، وانتزاع الحق من مغتصبه :

فربوعهم من بعد أن
تركوا اليتامى والايا
عمروا رباهم مقفرات
مى نائحين ونائحات

.....

هَبُوا لنجدة أرضهم
هذى فلسطين حبي
ما كنتم يوما لها
شدوا على الطغيان كي
ونسائهم والعائلات
بتنا لها أنتم حماة
الا قلوبا مصفيات
تستأصلوا أثر الطغاة (١)

ويتوجه خالد سعود الزيد الى الرئيس جمال عبدالناصر مشيدا بتحريكه الجيش الى
الخطوط الامامية ، ومناشدا إياه أن يقود الجموع لتحرير فلسطين :

إنَّ العروبة آمنت بك قائداً
لله إذ حركت جيشك مصعدا
فقد الجموع الى فلسطين وما
وادحر جيوش المعتدين وانها
وابعث صلاح الدين من حطينه
متعدد الطاقات غير مقاد
حركت فينا نخوة الأجداد
أحد سواك يقود جمع الضاد
لجيوش زيف لم تقم لرشاد
وامسك زمام قلوبنا يا حادي (٢)

ويصور عبد الله أحمد حسين ما سوف يكون عليه الغد العربي ، ما دامت الجيوش
تحركت لغسل العار وتحرير الأرض :

يا موطننا قد هبَّ يطلب ثأره
فغدا نزيل من الطريق شوابا
وغدا يثوب التائهون لرشدهم
وغدا تضم العائدين ديارهم
ما طاب لي في غيرك الاخلاص
وغدا تحطم بيننا الأعواد
وغدا يلف حباله الصياد
ويزاح عن وجه البلاد حداد

وانتهت جولة حزيران ١٩٦٧ على غير ما توقع العرب ، وانقلب الأمل في تحرير
الأراضي السليبة الى يأس مرير ، نظرا لضيق مزيد من الأراضي الجديدة وتشريد جموع

(١) جريدة الرأي العام ٣٠ أيار ١٩٦٧

(٢) مجلة البيان حزيران ١٩٦٧

أخرى من المواطنين ، الأمر الذي زاد القضية تعقيدا .

ولعل مما أثار الألم والجزع أن الفرصة لم تتح للجيش العربي لتؤدي دورها على الوجه الأكمل ، فكان الهجوم الصاعق المباغت من قبل إسرائيل سببا في قلب كل الموازين والحسابات والاحتمالات المتوقعة ، وخلال فترة وجيزة انتهى كل شيء وأفاق المواطن العربي ليحس بهول الفاجعة التي تجاوزت كل تقدير .

وعاد الشعور بالخيبة واليأس وفقدان الثقة ليطبق من جديد ، بحيث لم يعد من الممكن النظر الى الواقع الا من خلال منظار قاتم السواد ، يوشك أن يحجب الرؤية ، ويحول دون الاعتدال في تقويم الأزمات التي تتعرض لها الأمم عادة دون أن تفقدها الثقة بالنفس . كانت الأيام التالية للنكسة تمر ثقيلة في حساب المواطن العربي ، الذي يتوق الى غسل عار الهزيمة بأسرع مما تقتضي الحال ، وكان التراخي عن تحقيق هذا المطلب سببا في برمه وضيقه بالأوضاع القائمة .

ولم يكن اللجوء الى الهيئات الدولية لاستجداء عونها مقبولا ، فتجربة العرب مع تلك الهيئات تؤكد اخفاقها في تنفيذ أى من توصياتها التي تبقى في الغالب حبرا على ورق .

وكان لزاما على الشعر أن يتولى التعبير عن شك الجماهير في جدوى اللجوء الى الأمم المتحدة ، وسأمرها نتيجة التأخير في اقتلاع جذور العدوان . يقول عبد المحسن الرشيد من قصيدة له بعد ٥ حزيران ١٩٦٧ ، ساخرا من الاستنجد بالامم المتحدة ، في وقت لم يعد يسمع فيه غير صوت القوى :

ضاعت حقوقكم فالقوم في صمم	في مجلس الأمن أو في هيئة الامم
صوت الرصاص يدوى لا صدى الكلم	لا ينهض الحق إلا حين تسمعه
الحق للذئب ليس الحق للغنم	شريعة الغاب ما انفكت مهيمنة

ويبدى استغرابه لسكوت العرب على الظلم ، وضياح أوطانهم وتشريد اخوانهم :

وأصبحت مرتعا للغاصب الأثم	ما تنظرون وذى أوطانكم سلبت
وشردوا في سهول اليد والأكم	واخوة جردوا من كل ما ملكوا
يا للاباء قضى في العرب والشمم ^(١)	أتصبرون على ذل ومسكنة

(١) أغاني ربيع ص ٣١

ويتساءل عبد الله سنان عن مبرر السكوت والأعداء يحتلون الأرض اله
ويشردون أهلها ، ويعجب من التوجه الى الأمم المتحدة :
هذه جيوش العدا تحتل ساحتكم فأين أنتم وأين الحق والفض
سيناء قد ذهبت والصفتان^(١) وبشر في القناة وقدس الله والد
ولليهود اعتداءات مكررة ترى وما اعترفوا يوما بما ارت
في كل يوم لنا شكوى نردها في هيئة كل ما جاءت به ك
ماذا نؤمله من هذر هيئتهم ومجلس الأمن ماذا منه نرتقب
وتمر الذكرى الأولى لوقوع عدوان حزيران ١٩٦٧ ، وتليها الذكرى الثاني
دون أن يلوح في الأفق أى أمل بإمكان معالجة الوضع ، ويضيق المواطن بهذا
والتراخي عن استرداد ما اغتصب .

وها هو ذا عبد الله سنان يعود ثانية ليبدى تدمره من سكوت العرب واحتمالم
بعد مضي عامين على وقوع النكسة :

غدا سيأتي ويأتي بعده عا	عامان مرا وهذا ثالث لهما
جوفاء لم تزن الجلي وأجسا	ونحن نحن وحق المصطفى صور
على الجباه يكسو شعبنا الداء	نستقبل العام والأيام توصمنا ^(٣)
ساحاته منهم بغي وآثام ^(٤)	نستقبل العام والقدس الشريف على

ولمحمد المشاري كلمة مماثلة قالها بعد أن مر على وقوع النكسة عامان ، دون
العرب طاقاتهم الكبيرة لتصحيح الوضع :

مضنا ونحن بحالة عجب	ستتان لا شهر ولا سنة
وهم هم في سورة الغضب	عجبا لضبط العرب أنفسهم
ولم يكن أمام الجماهير بعد أن فقدت ثقها بالأنظمة سوى التعلق بأذبال	

(١) لعله يقصد بقوله « الصفتان » الضفة الغربية لنهر الأردن ، والضفة الشرقية لقناة السويس على الرغم من
شرقي القناة أيضا .

(٢) مجلة البيان أيار ١٩٦٩

(٣) قوله « توصمنا » صوابه : تصمنا

(٤) مجلة البيان حزيران ١٩٦٩

(٥) مجلة البيان تموز ١٩٦٩

الفلسطينية ، التي أصبحت كوة النور المهيأة لأن تنفتح كلما اربدت السماء العربية
بالمشكلات المعقدة .

ومنذ وقعت النكسة بادرت المقاومة الفلسطينية الى تصعيد نشاطها وتشديد
ضرباتها لتعيد للمواطن ثقته الضائعة بالنفس ، وكانت الرد المؤثر العاجل على
غطرسة العدو ، التي تفاقت بعد انتصاره الخاطف على الجيوش النظامية .
ونتيجة لذلك أصبحت المقاومة الفلسطينية قبلة الأنظار ، ومحط الرجاء
والأمل .

يقول عبد المحسن الرشيد مشيدا برجال المقاومة ، الذين أحيوا في النفوس أملا
أوشك أن يطوى :

أفدى أباة كآساد الشرى طلعا	على الرزايا طلوع الشهب في الظلم
أحيوا بأنفسنا ما مات من أمل	وفي القلوب شفوا ما حز من ألم
باعوا لأوطانهم أرواحهم ومضوا	تقلهم للمعالي أعظم الهمم
بهم فلسطين دمع الذل قد مسحت	عن وجنتيها وسلت سيف مُنتقم ^(١)

وتوجه عبد الله سنان بالتحية الى منظمة « فتح » التي بدأت بنضالها عهدا جديدا يبشر
بالفوز والنصر :

توقعي النصر « فتح »	ففي مُضَيِّكِ نَحْجُ
قد جاء عهد جديد	وحان للباب فتح
ولاح للفوز في ظلا	مة الدياجير ملح
وللفدائي شوق	للتضحيات مُلِحٌ ^(٢)

وعبر خالد سعود الزيد عن الشعور السائد بأنه لم يعد في الساحة سوى العمل الفدائي ،
الذي أسمى الأمل والرجاء كما صوّر مقدار تعلق الجماهير برجال المقاومة وتسليمها القياد
لهم :

وتلفَّت مَنَّا القلوب فما رأت	الآك في الميدان تحت لوائه
رمز البطولة أنت حين يلفنا	ضيم ويختال الردى بردائه

(١) أغاني ربيع ص ٣١

(٢) مجلة البيان آذار ١٩٦٨

فأقدم وقاك الله أنى يممت
قد أقسمت منا الشعوب ومن يُرذ
راياتك الغراء في أرجائه
موت الشعوب فقد سعى لفنائه
من جاد قبل فدائها بفدائه (١)

ولم يقف الشعر عند حدود التعميم في تمجيد رجال المقاومة الفلسطينية بل تعدى ذلك إلى متابعة الأعمال التي يقومون بها مما يدل على مقدار وقع تلك الأعمال وشغف الجماهير بتبعتها ، والاعتزاز بالقائمين بها .

فالشاعر عبدالله أحمد حسين يفرد قصيدة لتحية رجال الجبهة الشعبية الذين اقتحموا مطار أثينا ، ودمروا طائرة للعدو كانت جاثمة فيه :

دخل المطار وفي سريره
ترقب الساعات مقدمه
عزم بالأّ يخلف الوعدا
والدهر لا يقوى له صدا
وتقدمت للمجد خطوته
وسعى فأبصر أمره جدّا
ودعته للميدان نخوته
واستهضته فلم يجد بدا
القي على الدنيا رسالته
يوما فكان هتافها ردّا (٢)

ومرت ذكرى عدوان حزيران واغتصاب مزيد من الأراضي العربية ، عاما بعد عام ، وليس ثمة من بادرة تبشر بحل القضية حلا عادلا ، ومن الطبيعي أن يزداد الاهتمام بالمقاومة الفلسطينية ، على اعتبار أنها الجهة التي لم تتوقف عن السعي على طريق التحرير ، وإن كانت خطواتها تصطدم بكثير من العقبات التي تعرقل السير وتؤخر من ثم بلوغ الغاية المنشودة .

(١) مجلة البيان أيار ١٩٦٨

(٢) مجلة البيان نيسان ١٩٦٩

الفصل الخامس

مبادئ فنية عامة

* خصائص فنية عامة *

يتبين من نماذج الشعر التي استشهدنا بها في الفصول السابقة أن أهميتها تكمن في قيمتها التاريخية ، وذلك من جهة معالجتها كثيرا من الأحداث القومية في فترة مبكرة ، أما قيمتها الفنية فهي في الغالب متدنية .

وغني عن البيان أن وظيفة الشعر لا تنحصر في نقل الأحداث وتسجيلها تسجيلا أميناً ، أو تصويرها تصويرا فوتوغرافيا دقيقا ، فلك مهمة تنهض بها الصحافة عادة ، على حين ينبغي للتجربة الفنية أن تكون « تجربة نفسية للعقل عمل فيها ، ولكن بشرط أن لا يخرجها من عالمها عالم الرؤى والأحلام والصور الطريفة ولعله من أجل ذلك كان الخيال عنصرا مهما في التجربة الشعرية »^(١) .

وهذا ما لم يتنبه له كثير من الشعراء الكويتيين ، أو لعلهم لم يملكو سبل ادراكه ، وخاصة في المراحل المتقدمة ، لذا جاءت آثارهم بعيدة عن روح الشعر وعوالمه . فالقصيدة عندهم شذرات من المشاهد المشتتة ، التي تفتقر الى ما يسلك جزئياتها في نظم متسق ، يوشيه الخيال بحلل من المجازات والاستعارات التي تميز العمل الفني ، كما ترشد الى معرفة التباين بين أساليبه .

وعلى الرغم من سمو وشرف الموضوعات التي تناولها الشعر القومي فقد كانت المعالجة فاترة ، تفتقر الى الاثارة ، وتقتصر عن الارتقاء الى مرتبة الحدث أو القضية ، ويجدر التمثيل ببعض الشواهد لتوكيد هذا الرأي .

فالشاعر محمود الأيوبي - على سبيل المثال - يتطرق لقضية الاستشهاد في سبيل الوطن ، وهي من أهم القضايا ، وأكثرها خصوبة وقدرة على تفجير الأحاسيس ، وحين نبحت عن موقفه منها ، ونحاول تلمس وسائله الفنية في تناولها ، أو نفتش عن الاضافة التي أتى بها فسوف نتبين أنه لم يجاوز النقل الجامد للحدث .

يقول من قصيدة له عن استشهاد ثلاثة من المناضلين الفلسطينيين في أعقاب حادث البراق سنة ١٩٢٩ :

« فؤاد » شهيد الحق أسرى مُهللاً وخلفَ ذكرى وهو كالطفل طاهرُ

(١) الدكتور شوقي ضيف - في النقد الأدبي - ص ١٤٩

نقي المحيا وهو كالورد عاطر
يشنه ظلام السجن والوجه ناضر

وسار « خليل » للفراديس مشرقا
وأحمد لم يحفل مشى للردى ولم

وهو يوجه اهتمامه الأول الى تسجيل أسماء الشهداء ، الثلاثة : فؤاد و خليل وأحمد . ثم يخبرنا أنهم تقدموا الى ساحة الاعداء ، وهذه معلومات نعرفها من وكالات الأنباء ، ولربما كان في غنى عن أن يعيد سردها بتلك الطريقة الجافة . ولا يغير من الأمر قوله : « فؤاد أسرى » و « خليل سار » و « أحمد مشى » ، فهذه الكلمات الثلاث تعطي معنى واحدا .

ومن مظاهر ضعف المعنى والنظم اضطرابه الى القول أن الأول أسرى وهو « كالطفل طاهر » . والثاني سار وهو « كالورد عاطر » . والثالث مشى و « الوجه ناضر » . وهي معان فجأة لا تليق بمكانة الشهداء ، أما بقية الفاظ الأبيات فلا تعدو أن تكون حشوا استعان به الشاعر للوصول الى القافية المنكبة .

وبعد أن أبلغنا بأن هؤلاء الشهداء هتفوا ليك موطني ، وأنهم ضحايا الانجليز ، اتجه الى التهديد والوعيد بالثأر ، أى أنه لم يصف الى الأبيات السابقة شيئا جديدا عن الشهداء ، أو عن الاستشهاد في سبيل الوطن بصفة عامة . ولعل من بين النماذج التي استعنا بها في هذا البحث ما لا يفضل من حيث القيمة الفنية ، قصيدة الأيوبي في شهداء فلسطين .

ويحذر التنبيه الى أننا تجنبنا الاستشهاد بكثير من القصائد القومية لفرط رداءة معانيها ، أو لبعدها عن روح الشعر ، ومن أمثلتها قصيدة محمد أحمد المشارى « نحو المجد » التي استهلها بقوله :

قم فتي العرب الى المجد د الى سفك الدماء

ويبدو أن سفك الدماء مرادف للمجد في نظره ، أو أنه - في أحسن الأحوال - الوسيلة الموصلة اليه ، ولعل الشاعر قصد الدعوة الى التضحية والاستشهاد ، ولكنه عبّر عن ذلك بعبارة « سفك الدماء » التي توحى بالعدوان .

ثم مضى يعدد سبل بلوغ المجد فقال :

ليس بالأقوال يا ابن الـ حرب يأتيك العزاء
ليس بالصيحات عزّ أو هناء أو صفاء

انما بالفعل لا بال	قول نبقى سعداء
ذاك ماض فاستعده	فهو خير ورجاء
كيف لا ترحم شعبا	في جحيم وشقاء
كيف ترضى بحياة	كل ما فيها بكاء ^(١)

وهو يؤكد في هذه الأبيات أن الأفعال أجدى من الأقوال . وتلك بديهة ساذجة ، كما أن التعبير عنها جاء بصيغ ثرية رديئة مكررة ، لا يكاد المرء يحس أنه يقرأ من خلالها شعرا ، وهذه المعاني على ضحالتها مفككة لا تربطها وحدة نفسية ، ولا يجمع شتاتها سوى جبل القافية الرث .

وبعد أن تحدث عن الأفعال في ثلاثة أبيات قال : « ذاك ماض فاستعده » ، ولعله أراد أن يخبرنا بأن الأفعال هي من مآثر السلف ، فيجدر أن نفتسي آثارهم ، ويتبين من هذا القول مدى ضعف الفكرة وركاكة الاداء .

ثم انتقل الشاعر فجأة الى القول : « كيف لا ترحم شعبا في جحيم وشقاء » ويبدو أنه يقصد شعب فلسطين ، الذي دعانا الى نصرته بدافع الشفقة والرحمة ، وليس على أساس الدفاع عن أنفسنا وحقوقنا المغتصبة ، ومن بعد تساءل :
« كيف ترضى بحياة كل ما فيها بكاء »

ولنتأمل كلمة « بكاء » التي فرضتها القافية فزادت القصيدة تداعيا وسقوطا . وثمة قصيدة لخالد الفرّج بعنوان « الأمر الواقع » تطرّق فيها لاعتراف امريكا الفوري باسرائيل ، وعدّد مثالب امريكا ومواقفها المعادية لحرية الشعوب ، قال في مطلع قصيدته تلك :

ودولة تدّعي الحرية اعترفت
بواقع الأمر فورا في فلسطين

وقوله : « اعترفت بواقع الأمر فورا » لا يبتعد كثيرا عن لغة الصحافة التي هي شيء مغاير للغة الشعر .

ويبدو أن الشاعر مهتم بتسجيل الحقيقة كما هي ، دون أن يضيفي عليها مسحة من الفن ، تخرج بها من اطار التقرير الثرى الى أجواء الشعر وعوالمه الفسيحة .

(١) البعثة - تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٥٣ - ويجدر التنبيه الى أن هذه القصيدة تُعدّ من بدايات نظم الشاعر .

ولعل شغفه بتصيد المناسبات ، وحرصه على اجراء المقابلات والمجادلات العقلية من بين الأسباب التي دفعته الى القول :

هل بين « شنك كاي شك » أو مطارده « تونك » كما بين « محمود » و « كوهين »^(١) فهو يريد أن يعقد مقارنة بين الصين الشعبية ممثلة بزعيمها « تونك » أي : « ماوتسى تونغ » والصين الوطنية ممثلة برئيسها « شنك كاي شك » من جهة ، وبين العرب ، الذين رمز لهم باسم « محمود » واليهود الذين وضع اسم « كوهين » رمزا لهم من جهة اخرى ، ولكنه لم يوفق الى توصيل قصده من اجراء تلك المقارنة بصورة مقبولة .

ومن الواضح أن هذا البيت لا يمت للشعر بصلة ، حيث أثقلته الأسماء التي حشدت بكثير من التعسف ، وأبعدت عنه بريق الشعر ورونقه وظلاله ، يضاف الى ذلك أن المعنى جاء في غاية الضعف والتكلف .
وسوف نمثل في مايلي للملاحظات التي تتصل بالشعر القومي ، سواء من جهة المضمون أو الشكل .

(١)

المضمون

اتخذ التعبير عن القضايا القومية صورا متعددة ، فن الشعراء من اكتفى بلوم المستعمرين ، ورأى أنهم سبب البلاء، ومنهم من تجاوز هذا الحد الى التهجم على بعض المسؤولين العرب ، الذين لولا تقاعسهم وتواطؤهم مع المستعمر لما تمكن من تحقيق أغراضه . وثمة من أنحى باللائمة على الشعب العربي ، متهمًا إياه بالخنوع والاستسلام ، وفي مقابل هؤلاء أشاد فريق آخر بالقدرات والطاقات العربية .

وتفاوتت الأساليب بين الالحاح المستمر ، والاكتفاء بالتنبيه ، ولعلنا نلمس في كلمة عبد الله أحمد حسين عن الدعوة للجهاد ما يؤكد الاصرار :

فالجهد الجهد بُح لنا الصو ت وكل في مهمه الغى سادر

(١) ديوانه ص ٢٢٦

ومثله قول خالد الفرج في الدعوة الى الاتحاد :

الاتحاد الاتحاد قول نكرره مُعَاذُ

وهذا الاصرار يكشف احساس الشعراء بالغضب والضجر لان صيحاتهم لا تلاقي آذانا مصغية .

وكان لتوتر المشاعر وشدة الانفعال لدى بعضهم آثار سلبية ، خرجت بهم عن قصدهم النبيل ، وأوقعتهم في مبالغات مذمومة ، دفعتهم الى مجانبة الحقيقة والاسراف في التجني على قومهم .

ومن شواهد ذلك قول عبد الله سنان في أعقاب نكبة ١٩٤٨ :

اذا لَطَمْتَنَا يد الجائرين وضعنا على رأسنا مَنْ لَطَمَ
ونشرب نخب انتصار العدا علينا ونقبل ركل القدم

وخلط نفر من الشعراء بين بعض المفاهيم مثل العروبة والاسلام ، فاذا الشاعر يخاطب قومه العرب - في بعض الأحيان - على أنهم أمة الاسلام ، كقول ناصر الغانم :

فيا أُمَّة الاسلام هذى جموعكم أَلَمَ بها خطب عظيم مزعزع
اذا أصبحت الفتيها في تفرق وان هي أمست فالضغائن تصرع

وربما تفرّد الشيخ عبد الله النوري في مرحلة معينة بالتهجم على الدعوة القومية التي عدّها سبياً في تفرق قومه المسلمين :

قومية رعناء شتت شملنا فيها فصرنا طعمة لعدونا
فالعرب وحدهم وفارس وحدها والهند قوم ما هم من جنسنا

ويبدو أن الشيخ النوري ، وهو من رجال الدين ، لا يتنكر لقومه العرب ولكنه يعبر عن اليأس من امكان نجاح الدعوة القومية ، ويرى أن الرابطة الدينية يمكن أن تكون البديل المناسب ، وان هو أساء التعبير عن قصده في قوله « والهند قوم ما هم من جنسنا » ، اذ الحقيقة أنهم ليسوا من جنسنا .

ولعل صقّر الشيب يمثل الفريق الآخر الغالب من المتدينين ، الذين لا يرون الرابطة الدينية بديلاً للقومية ، ويتجلى ذلك في المقارنة التي أجراها بين مسؤولية

العرب من جهة والمسلمين من جهة اخرى تجاه قضية فلسطين :

فليس العجم تعذل إن تراخت
فإن متوا بدينهم إلينا
بنجدتها ولا تلحى الهنود
ونعم الرابط الدين الفريد
وفيما بيننا لغة ودين
وفيما بيننا النسب الأكيد

وتجدر الإشارة الى أن آراء صقر الشيب تلك تعود الى عام ١٩٣٧ ، على حين تعود آراء عبد الله النورى الى عام ١٩٥٥ ، الأمر الذى يكشف نضوج الوعي القومي عند صقر منذ فترة مبكرة .

أما الوحدة والاتحاد فكلمتان كانتا تردان لدى الشعراء ويقصد بهما معنى واحد ، هو التضامن وتكتيل الجهود ، والانضواء تحت ارادة موحدة ، ولم يكن الشعراء يميزون في أغلب الأحيان بين المعنى الاصطلاحي لكل من الكلمتين ، لذا نجد الشاعر يدعو الى الوحدة حيناً وإلى الاتحاد في أحيان أخرى .

أما مقومات الوحدة بين العرب فقد تكون متباينة عندهم ، ولكنها لا تخرج في الغالب عن اللغة والأصل والتاريخ ، بالإضافة الى الدين الذى كان يرد على السنتهم كثيراً ، وخاصة في المراحل المتقدمة .

وهذا الاختلاف الطفيف لم يكن ناجماً عن تباين في الاتجاهات والأفكار ، بقدر ما هو ترجمة للمشاعر العفوية التي تدفع الشاعر الى تقديم أحد العوامل وتأخير غيره ، تأثراً بلحظة الانفعال التي ترافق ميلاد القصيدة ، وربما كان لمتطلبات النظم من وزن وقافية تأثير مباشر في تقديم لفظ على سواه في بعض الأحيان ، ولعل محمد أحمد المشارى خير من أجمل مقومات الوحدة في قوله :

فنحن شعب دماء العرب تجمعه
والضاد والأصل والاحساس والنسب

ومما يلاحظ اهتمام الشعر بالأفراد ، واغفاله ما للعمل الجماعي من أهمية ، وتبلغ العناية بالأفراد ذروتها عند تمجيد القادة ، الذين ينسب لهم كل الفضل في أية خطوة ايجابية ، وكأنهم يقتطفون ثمار النصر من شجرة مقطوعة الجذور ، منبئة الصلة بالتربة التي عليها نشأت ومنها استمدت غذاءها وقوتها .

وربما كانت معظم هذه المبالغات بدافع الاعجاب . ولكن الذى يعيننا

أنها تكشف في الوقت ذاته تقصير الوعي عن ادراك ما للجماعة من أثر في صنع المكاسب ، وفي تهيئة الظروف الملائمة لظهور الفرد المميز ، إن كانت ثمة أهمية لظهوره .

ومن أمثلة المبالغات التي جاءت بدافع الاعجاب قول أحمد السقاف عن الرئيس محمد نجيب :

فلو لم تكن أنت معنى الخلاص	لجاءت مفاهيمه	قاصره
ولو لم تكن أنت معنى الكفاح	لظلت مكانته	شاغره

(٢)

الشكل

اتخذ الشعر القومي في الغالب أسلوب العرض المباشر للأحداث ، وتصوير ردود الفعل المتصلة بها ، وكان هذا العرض يقترب من الأساليب النثرية أحيانا ، نتيجة اللجوء الى التركيب والتوليد العقلي للمعاني .

ومرت حقبة من الزمن قبل أن تباعد القصيدة عن الالتصاق بالأحداث ، وتتنأى عن العرض المباشر الجاف للوقائع ، ويعد أحمد العدواني من أوائل الذين خرجوا بالقصيدة السياسية عن سننها المألوفة ، وكان ذلك في أواخر العقد الخامس من هذا القرن ، ولعلنا نلمس التطور الذي خلص القصيدة من أسر المناسبة في مثل قوله من قصيدة نشرت في عام ١٩٤٩ :

دعوا أهواءكم وارعوا شياها	أسأتم رعيها بين المراعي
حيبتم دونها خضر المراعي	فراحت ترتعي شوك اليباب
وأغلقت مشارعها عليها	فهامت تستقي لمع السراب
ألم تنتج لكم لبناً وسمناً	ألم تمنحكم أزهى شباب
ألم تنحفكم لحماً وشحماً	ألم تبلغكم نوح الرغاب
اتسقيكم وتطعمكم هنيئاً	وتلقى عندكم سبعان غاب

وهذا القول لا يحفل بواقعة معينة ، ولا يستهدف راعياً بذاته ، الأمر الذي

أتاح لأحاسيس الشاعر أن تتدفق برخاء ويسر ، دون أن يشوبها جفاف السرد
النثرى أو تحول دون انسياها الوقائع والأسماء .

ومن بعد اتسع تيار التجديد ، وتطورت الصيغ التعبيرية ، وأصبحت الرؤية
أكثر عمقا . الأمر الذي نلمسه عند العدواني نفسه في آثاره الجديدة . وكذلك
عند نفر من الشعراء الشباب ، ومع هذا فإن جمهرة كبيرة من الشعراء بعيدة عن
التأثر بتيارات التجديد .

وثمة من انتهج الشكل الجديد في النظم « الشعر الحر » ، ولكن يلاحظ أن
معظم النماذج التي تنتمي الى هذا الشكل لم تسلم من الهنات ، مما يدل على
أن الشعراء لم يتمثلوا بعد تلك التجربة الجديدة بالقدر الذي يجنبهم المزالق ،
ويبتعد بهم عن الوقوع في أسر التقليد ومسايرة الموجة .

وعلى الرغم من عناية الشعراء عامة باللغة ، فإن ذلك لم يحل دون وقوع
نفر منهم في بعض الهفوات اللغوية والنحوية ، أو لجوئهم الى استعمال الصيغ
الركيكة ، وسوف نورد في ما يلي بعض الشواهد ، فن أمثلة الأخطاء اللغوية
قول عبد اللطيف النصف في وصف حال الكويت وما تعاني من جمود المتعصبين :

لعبت به العِمَّات أشنع لعبة فشقي بها وشقت به عمَّاته

فقوله « شقت » صوابه « شقيت » ويلاحظ أنه اضطر الى تسكين ياء « شقي » لكي
يستقيم الوزن .

وربما كان هذا المثال الهفوة الوحيدة في كل ما وصلنا من شعر عبد اللطيف
النصف الذي عرف بمتانة نظمه وسلامة لغته .

ومن أمثلة الأخطاء النحوية قول محمد أحمد المشارى من قصيدة مطلعها :

سر نحو بغداد نبع المجد بغدادُ يلقاك بالرحب أحباب وخلانُ

.....

فالنسر لو كان مفتوت الجناح جثا ووحدة العرب للعرب الجناحان

.....

بني العروبة في بغداد إن بكم ويشهد الله اصرار وإيمان

وقوله « الجناحان » بضم النون خطأ صوابه « الجناحان » بكسرها ، لأن نون

المثنى مكسورة أبدا ، ويبدو أن الشاعر جعل « الجناحان » كلمة مفردة ، فأدخل عليها حركة اعراب المفرد .

وقوله « إصرارٌ وإيمانٌ » بالرفع خطأ صوابه « إصرارا وإيمانا » بالنصب ، لأن « اصرارا » اسم إن و « إيمانا » معطوفة عليها .

ومن شواهد الصيغ الركيكة قول أحمد السقاف في الدعوة للجهاد :

بارك الله في الجهاد ولا عا شت نفوس تعيش عيش البهائم

وهذه الركابة جاءت نتيجة التكرار في قوله « عاشت تعيش عيش »

وللشاعر عبد الله سنان في تصوير فداحة نكسة الانفصال قوله :

فليست نكسة نكراء أونك بة عظمى على حد المثال

ونتوقع حينئذ أن نسمع منه تسمية تفوق كلمتي نكسة ونكبة بشاعة ولكنه يفجؤنا بقوله « ولكن ردة . . . »

والردة أخف وطأة من النكبة العظمى عادة ، ولا يرتفع بها الى مرتبة النكبة وصفها بأنها زلزلت شم الجبال ، ثم أن قوله « على حد المثال » يعدّ تعبيرا بعيدا عن روح الشعر .

وله من قصيدة في وصف حال اللاجئين الفلسطينيين :

وباتوا في العرا بلا وقاء يقيم في العراء قرّا وبردا
 والمعروف أن « القرّ » هو البرد ، وكان حقه أن يقول « تقيم في العرا حرّا وبردا » لتصح المقابلة - ان كان راغبا فيها - وليضيف جديدا للمعنى .

ومن ذلك أيضا قول عبد الله النوري عن الايطاليين وأعمالهم الوحشية في ليبيا :

زلزال ظلمكم والله انّ له نارا تفجّر فيما بعد بركانا

وقوله عن العروبة :

الحزن قرح بالبكا أجفانها وأزال نضرتها وأسقط شأنها

لبست حزينّة السواد وأسبلت دمعا يجدد دائما أحزانها

فكلمة « فيما بعد » في المثال الأول بعيدة عن الصياغة الشعرية ، وهي أقرب الى لغة المراسلات الرسمية ، ومثلها في المثال الثاني كلمة « دائما » .

وفي المثال الثاني نلمس أيضا ضعف المعنى في تشبيه العروبة بالكائن الذي يبكي وقد

قرّحت أجفانه من فرط الحزن والبكاء كما زالت نضرتة وتداعى شأنه .
ويؤكد الشاعر المعنى مرة ثانية في قوله أن العروبة لبست السواد علامة
للحزن وأسبلت الدمع ، وأن الدمع يجدد أحزانها .

وهذه المعاني كما يبدو غاية في الضعف ، ويضاف الى ذلك أنه جعل الدمع
سببا في تجدد الحزن ، وكان حقه أن يجعل الحزن دافعا الى البكاء ، كما يلاحظ
أن كلمة « حزينة » في البيت الثاني قلقة غير مستقرة في موضعها .

وتأتي الصياغة ركيكة ، والأوزان مضطربة في بعض الأحيان نتيجة التعسف في اقحام
الأسماء وبخاصة الأجنبية منها ، وربما لجأ الشاعر الى التصرف في تلك الأسماء
وتحريفها ، ان لزم الأمر حتى يستقيم الوزن ، ويبدو ذلك جليا لدى محمود الأيوبي
الذي أسرف في حشر الأسماء وفي تحريفها ، حتى أوشكت آثاره أن تكون نثرارديثا .

فمن قوله في قضية فلسطين :

« فبنتيوس » و « صمويل » وأولهم « بلفور » كلهم للجور أوثان
فالبيت لا يحتمل مجيء هذه الأسماء الثلاثة متتالية ، كما أن اسم صمويل وهو
« هربرت صمويل » لا يتفق مع الوزن ، لذا نجد الشاعر يتصرف فيه ويحذف الهزمة
ويجعله « صمويل » ولسنا نظن أنه أراد الاتيان بالاسم بصيغته الأجنبية .
ويقول في موضع آخر :

هذا اللهب الذي أورت شرارته لم يطفه « المانش » و « التاميز » و « النهر »
ويلاحظ أنه أتى بثلاثة أسماء في البيت هي « المانش » و « التاميز » و « النهر »
ولجأ الى تحريف التيمز ليصبح « التاميز » ، كما اضطر الى وضع هامش يبين المقصود
« بالنهر » ويتبين من الهامش أنه قصد نهر السين في فرنسا .

وللأيوبي أمثلة كثيرة مشابهة مثل تحريفه « طَبْرِيَّة » لتصبح « طَبْرِيَّة » ، وتل أبيب
لتصبح التل في قوله :

قف من « طَبْرِيَّة » واقنحم أسوارها متحفزا « للتل » يوم لقاء

ومثل تحريفه مدغشقر لتصبح « دغشقر » ودبغول ليكون « دويغيل » ونحسب
أن دواعي النظم في هذا الموضع الجأت الى الاتيان بصيغة التصغير الذي لم يكن
مقصودا لذاته .

ويشارك خالد الفرج الأيوبي شغفه بالأسماء ، وتصرفه في تحريفها وان فعل ذلك على نطاق أضيق .

يقول في السخرية من قومه :

« كالدَّوْنِ كَيْشُوتِ » وطاحوناته يغشي الوغى ويجندل الأبطالاً
فالقصيد من بحر الكامل ، ولكن اسم « دون كيشوت » لا يلائم التفعيلة ولا يستقيم معه الوزن ، الأمر الذي دفع الشاعر الى اجراء شيء من التحريف ، حين لجأ الى كسر نون « الدون » وتنوين التاء في « كيشوت » .

تعايق

مع اطلالة العقد الثالث من هذا القرن تفتحت في الكويت مواهب كثير من الشعراء الذين انتقلوا بالشعر الى ممارسة دور أكثر ايجابية في مواكبة الأحداث المحلية والعربية .

ويعد عبد اللطيف النصف من أوائل الشعراء الكويتيين الذين تعرضوا للقضايا العربية وذلك من خلال قصيدته التي حيا فيها المجاهد المغربي عبد الكريم الخطابي في فترة تقع بين عامي ١٩٢١ و ١٩٢٦ ، والقصيدة ذات قيمة تاريخية كبيرة ، لكونها تكشف مدى التفاعل مع أحداث الوطن العربي في أقصى بقاعه ، خلال فترة مبكرة تعود الى أوائل العقد الثالث من هذا القرن .

ومن المعلوم أن الشاعر النصف لم يكتسب من الشهرة ما يليق بمنزلته ، على الرغم من جودة ما وصلنا من آثاره ، وذلك بسبب انقطاعه عن النظم أو عن النشر منذ زمن بعيد . وكان خالد الفرج أوفر عطاء وأكثر ايجابية ، ويبدو أن لطبيعة حياته تأثيرا مباشرا في توجيه اهتماماته ؛ فقد تسنى له أن يرحل عن بلده الصغيرة ، البعيدة عن معترك الصخب والصراع ، ويتصل بالكثيرين من رجالات الدولة في الجزيرة العربية وشواطئ الخليج ، ويتعرف على قادة الرأي وأرباب الكلمة في كثير من الأقطار العربية ، ويشهد تجربة الاستعمار البريطاني في الهند خلال اقامته هناك ، لذا جاء ديوانه حافلا بتسجيل الأحداث التي عاصرها وهزت مشاعره ، وكانت قضية فلسطين همّه الأكبر منذ فترة مبكرة تعود الى عام ١٩٢٩ .

ويحذر التنبيه الى أن خالد الفرج كان من أوائل الشعراء العرب الذين تناولوا القضية الفلسطينية في تلك الفترة المبكرة ، فضلا عن اهتمامه الكبير بقضايا التحرر والوحدة بصفة عامة .

وعاش محمود الأيوبي ظروفًا مقارنة لظروف خالد الفرج ، حيث قضى شطرا من حياته متنقلا ما بين العراق وسوريا وفلسطين ولبنان ومصر وإيران ، حتى انتهى به المطاف الى أندونيسيا التي استقر فيها حينًا من الزمن ، وأفاد الأيوبي من ترحاله وطوافه بتلك الآفاق ، وتعرفه على أنماط متباينة من ضروب الحياة فانعكست تجاربه على شعره الذي جاء حافلا بتسجيل الأحداث .

وكان للقضايا العربية عامة ، ولقضية فلسطين بصفة خاصة جانب كبير من اهتمامه ويعد لذلك من أوائل الذين عالجوا قضية فلسطين ، من خلال تطرقه لحادث البراق في سنة ١٩٢٩ .

ويلاحظ أن الأيوبي يتكلف في رصد الأحداث والمناسبات ، حتي توشك قصائده أن تكون نظاما سطحيا جافا تثقله أسماء المدن والأشخاص والحوادث التي تقحم في كثير من الأحيان بصورة متكلفة .

ويكاد خالد الفرج يقع - في بعض قصائده القومية والسياسية - في ما وقع فيه الأيوبي وان كان أجود منه وأكثر وعيا وأعمق ثقافة .

ويعد صقر الشيب من رواد الشعر القومي ، وإن كان الأيوبي سبقه في تناول أحداث عام ١٩٢٩ في فلسطين ، كما سبقه عبد الله النوري في قصيدته عن طرابلس الغرب اللتين نشرتا في عامي ١٩٣١ و ١٩٣٢ ، وهو أجود منهما شاعرية وأدق حسا ، وأعمق وعيا ، وأكثر جرأة في التصريح بما يحس .

وعاش صقر وضعاً مغايراً لوضع زميله الفرج والأيوبي ، حيث فرضت عليه العاهة^(١) ، جوا من العزلة والانطواء والتشاؤم ، ولكن تلك الظروف لم تحل بينه وبين التفاعل مع قضايا الوطن العربي ، وبخاصة قضية فلسطين خلال ثورة ١٩٣٦ .

وكان فهد العسكر من بين الذين عالجوا قضية فلسطين في فترة مبكرة ، وكان ذلك من خلال استقباله بعثة المدرسين الفلسطينيين الذين قدموا الى الكويت في عام ١٩٣٦ ، ولكن دوره بقي خافتا ، إذ أنه آثر العزلة والابتعاد عما يحيط به ، والاكتفاء بترديد الشكوى والتعبير عن برمه بالحياة .

ومن بعد طرأت عوامل جديدة دفعت بالشعر الى تأدية دور أكثر أهمية على صعيد القضية العربية . ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية برز عدد من الشعراء منهم : أحمد العدواني ، عبد المحسن الرشيد ، عبد الله زكريا الأنصاري ، عبد الله سنان محمد ، عبد الله أحمد حسين ، أحمد السقاف ، هائل خلف وغيرهم .

وساهمت هذه الطائفة من الشعراء في توجيه هتمام الأكبر نحو القضية العربية .

(١) أصيب في بصره وهو في السابعة أو التاسعة من عمره .

وثمة من يذهب الى أن العدواني كان قليل التفاعل مع الأحداث القومية ويرى أحدهم أن « الشاعر يعيش في مجتمع عربي اسلامي ، ولكن قراءه لا يرون شعره في العروبة والاسلام »^(١)

ونرى في هذا الصدد أن للعدواني أسلوبه المميز وأدواته الفنية المتطورة في تناول موضوعاته ، فهو لا يعني بتسجيل الأحداث أو التعليق على المناسبات ، وهذا موقف فني ، ولكنه ينظر الى ما وراء تلك الأحداث والمناسبات نظرة شاملة ، لا تحفل بالجزئيات ، ثم يعمد الى تأدية تصورات من خلال الرمز الذي يتخذ صوراً متعددة لدية ، وهو يسجل بذلك الاتجاه تطوراً ملحوظاً في الشعر الكويتي ، كان له فضل شق مجراه . ويبدو أن العدواني متأثر بالمهجرين وبالمنحى الرومانسي المغلف بغلالة رمزية شفافة لدى بعض شعراء جماعة أبولو . وحاول محمد أحمد المشاري اقتفاء آثاره ، وانتهاج بعض وسائله الفنية ، وبخاصة الحكاية الرمزية التي استعان بها لتوصيل تصورات ، ولكن محاولاته بقيت تفتقر الى العمق .

وفي الكويت اليوم - بالإضافة الى من ذكرنا - طائفة من الشعراء الشباب ، الذين يحاولون مواصلة حمل الرسالة التي نهض بها أسلافهم من قبل ، وذلك من خلال التعبير عن رفضهم للواقع السيئ ، وتطلعهم الى النهوض والتحرر من كل أشكال التسلط والتخلف . وقد أفاد هؤلاء الشعراء إفادة جزئية من تيارات التجديد التي شهدها الشعر في البيئات المتقدمة ، فجاءت آثار بعضهم تصور ما طرأ على الشعر الكويتي من تطور نسبي في الصيغ التعبيرية ، ومن توجه الاهتمام الى معالجة قضايا وهموم الانسان المعاصر . ويمكن أن نمثل لهذه الطائفة بكل من علي السبي ومحمد أحمد المشاري وخالد سعود الزيد ومحمد الفايز وعبد الله العتيبي وكاتب هذا البحث .

على أن الهزة الاقتصادية والاجتماعية التي تعرض لها المجتمع الكويتي منذ منتصف القرن العشرين تركت آثاراً سلبية خطيرة ، كان من نتائجها تبييع الاهتمامات الجادة ، واجهاض كثير من الطاقات الجيدة ، أو صرفها عن أن تصب في مجرى العطاء الأصيل ، الموجه لمعالجة قضايا الأمة .

(١) أحمد الشرباصي - أيام الكويت ص ١٦٣

المصادر والمراجع

- ١ - د . ابراهيم الوائلي الشعر السياسي العراقي - في القرن التاسع عشر بغداد - ١٩٦١
- ٢ - أحمد الشرباصي أيسام الكويت القاهرة - ١٩٥٣
- ٣ - أكرم زعير القضية الفلسطينية القاهرة - ١٩٥٥
- ٤ - الان . تايلور مدخل الى اسرائيل - تعريب شكري محمود نديم . بغداد - ١٩٦٥
- ٥ - د . جميل صليبا الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام القاهرة - ١٩٥٨
- ٦ - د . حسن سليمان محمود الكويت ماضيها وحاضرها بغداد - ١٩٦٨
- ٧ - د . حسن علي الابراهيم الكويت - دراسة سياسية بيروت - ١٩٧٢
- ٨ - حسين خلف الشيخ خزعل تاريخ الكويت ج١ ج٢ ج٣ ج٤ ج٥ القسم الأول بيروت - ١٩٧٠
- ٩ - حمد محمد السعيدان الموسوعة الكويتية المختصرة ج١ ج٢ ج٣ الكويت - ١٩٧٠ الكويت - ١٩٧١ بيروت - ١٩٧٢
- ١٠ - خالد سعود الزيد أدباء الكويت في قرنين ط٢ الكويت - ١٩٦٧
- ١١ - خالد سعود الزيد خالد الفرغ : حياته وآثاره الكويت - ١٩٦٩
- ١٢ - خالد سليمان العدساني نصف عام للحكم النيابي في الكويت بيروت - ١٩٤٧
- ١٣ - خليل مردم بك أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع . بيروت - ١٩٧١
- ١٤ - خير الدين الزركلي فهرس الأعلام بيروت - ١٩٦٩
- ١٥ - ديكسون . ه . ر . ب الكويت وجاراتها الكويت - ١٩٦٤
- ١٦ - راشد عبد الله الفرحان مختصر تاريخ الكويت القاهرة - ١٩٧٠
- ١٧ - ساطع الحصري آراء وأحاديث في الوطنية والقومية ط٤ بيروت - ١٩٦١

- ١٨- سامي هداوى ، ملف القضية الفلسطينية = بيروت - ١٩٦٨
يوسف صايغ
١٩- سعدى بسيسو اسرائيل جنائية وخيانة ط ٢ حلب - ١٩٥٦
٢٠- سيف مرزوق الشمالان من تاريخ الكويت القاهرة - ١٩٥٩
١١- شفيق الرشيدات فلسطين ، تاريخا وعبرة ط بيروت - ١٩٦١
ومصيرا
٢٢- د . شوقي ضيف في النقد الأدبي ط ٢ القاهرة - ١٩٦٦
٢٣- صابر عبد الرحمن اليهود في موكب القاهرة - ١٩٦٩
طعيمه
٢٤- صالح مسعود بويصير جهاد شعب فلسطين ط ٣ بيروت - ١٩٧٠
٢٥- صبحي محمد ياسين حرب العصابات في فلسطين القاهرة - . . .
٢٦- د . صلاح العقاد معالم التغيير في دول الخليج القاهرة - ١٩٧٢
٢٧- عباس العزاوي لأدب العربى في العراق بغداد - ١٩٦٠
٢٨- عبد العزيز حسين محاضرات عن المجتمع القاهرة - ١٩٦٠
العربى في الكويت
٢٩- عبد العزيز الرشيد تاريخ الكويت بيروت -
٣٠- عبد العزيز محمد الكويت وعلاقتها بالبصرة القاهرة - ١٩٧١
المنصور وعربستان
٣١- عبد الله الحاتم من هنا بدأت الكويت دمشق -
٣٢- عبد الله زكريا فهد العسكر حياته ط ٣ الكويت - ١٩٧٢
والانصارى وشعره
٣٣- عبد الله النورى قصة التعليم في الكويت القاهرة -
٣٤- عبد المسيح الانطاكي الايات الصباح في مدائح القاهرة -
الشيخ مبارك باشا بن الصباح
٣٥- د . عبد الوهاب الكيالي تاريخ فلسطين الحديث بيروت - ١٩٧٠
٣٦- عثمان بن سند البصرى سبائك العسجد في أخبار بمبي - ١٣٨٥ هـ
أحمد نجل رزق الاسعد .

- ٣٧- عمر دقاق الاتجاه القومي في الشعر ط ٢ حلب - ١٩٦٣
العربي الحديث
- ٣٨- عواطف خليفه العذبي الشعر الكويتي الحديث الكويت - ١٩٧٣
الصباح
- ٣٩- فاضل خلف دراسات كويتية الكويت - ١٩٦٩
- ٤٠- كامل السوافيري الشعر العربي الحديث في القاهرة - ١٩٦٤
مأساة فلسطين
- ٤١- محمد جابر الأنصاري لمحات من الخليج العربي البحرين - ١٩٧٠
- ٤٢- محمد حسين الاتجاهات الوطنية في القاهرة - ١٩٥٤
الأدب المعاصر
- ٤٣- محمد حسين الصغير فلسطين في الشعر النجفي بيروت - ١٩٦٨
المعاصر
- ٤٤- محمد خليفه النهاني التحفة النهائية في تاريخ القاهرة - ١٣٤٢ هـ
الجزيرة العربية
- ٤٥- محمد سعيد المسلم ساحل الذهب الأسود بيروت - ١٩٦٢
- ٤٦- محمود الدرّ الحرب العراقية البريطانية بيروت - ١٩٦٩
سنة ١٩٤١
- ٤٧- منيف الرزاز معالم الحياة العربية الجديدة ط ٤ بيروت - ١٩٦٠
- ٤٨- هنري كتن فلسطين في ضوء الحق والعدل بيروت - ١٩٧٠
- ٤٩- يوسف عز الدين الشعر العراقي : أهدافه بغداد - ١٩٥٨
وخصائصه في القرن التاسع عشر
- ٥٠- يوسف بن عيسى صفحات من تاريخ الكويت ط ٤ الكويت - ١٩٦٨
القناعي
- ٥١- يوسف بن عيسى الملتقطات الكويت -
القناعي

المجموعات الشعرية

- ١ - خالد سعود الزيد صلوات في معبد مهجور الكويت - ١٩٧٠
 - ٢ - خالد محمد الفرج ديوان خالد الفرج دمشق - ١٩٥٤
 - ٣ - صقير الشبيب ديوان صقير الشبيب الكويت -
 - ٤ - عبد الجليل البصري روض الخل والخليل ط بومباي - ١٣٠٠ هـ
- « الطباطبائي »

طبعة حكومة البحرين - ١٩٦٤

طبعة حكومة قطر - ١٣٨٥

- ٥ - عبد الله سنان محمد نفحات الخليج الكويت - ١٩٦٤
 - ٦ - عبد الله الفرج ديوان عبد الله الفرج ط ٢ دمشق - ١٩٥٣
 - ٧ - عبد الله محمد النوري من الكويت القاهرة -
 - ٨ - عبد المحسن محمد أغاني ربيع بيروت -
- الرشيد
- ٩ - علي السبتي بيت من نجوم الصيف بيروت - ١٩٦٩
 - ١٠ - فاضل خلف على ضفاف مجرده الكويت - ١٩٧٣
 - ١١ - محمد الفايز النور من الداخل الكويت - ١٩٦٦
 - ١٢ - محمود شوقي الأيوبي الحان الثورة الكويت - ١٩٦٩
- بعض المجموعات الشعرية المخطوطة .

الدوريات

اعداد متفرقة من الدوريات الآتية :

- ١ - أخبار الكويت
- ٢ - الارشاد
- ٣ - الأيمان
- ٤ - البيان
- ٥ - البعث
- ٦ - دنيا العروبة
- ٧ - الرائد
- ٨ - الرأي العام

- | | |
|----------------------|----------------------------|
| ٩ - الرسالة | ١٠ - سجل الكويت اليوم ١٩٥٦ |
| ١١ - السياسة | ١٢ - الشعب |
| ١٣ - الطليعة | ١٤ - صدى الايمان |
| ١٥ - صوت الخليج | ١٦ - الفجر |
| ١٧ - كاظمية | ١٨ - الكويت |
| ١٩ - الكويت والعراقي | ٢٠ - الهدف |
| ٢١ - البقعة | |

الفهرس

مقدمة

٥

الفصل الأول : ظهور شعر الفصحى في الكويت

- ١- حديث المصادر ١١
- ٢- عبد الجليل البصرى « الطباطبائي » ١٧
- ٣- بدء ظهور شعر الفصحى ٢٧

الفصل الثاني : الوعي السياسي بواعثه وآثاره

- ١- بواذر الوعي ٣٥
- ٢- المجلس الاستشارى ١٩٢١ ٤١
- ٣- المجلس التشريعى ١٩٣٨ ٤٥
- ٤- منذ الحرب العالمية الثانية ٥٣
- ٥- الأوضاع السياسية ٥٤
- ٦- ميول تحريرية ٦٢

الفصل الثالث : قضايا التحرر والوحدة

- ١- النزعة القومية ٦٩
- ٢- التفاعل مع الأحداث العربية ٧٧
- ٣- الحث على النضال ٨٢
- ٤- الثورات التحررية ٨٧
- ٥- الايمان بالوحدة ٩٤
- ٦- وحدة مصر وسوريا ونكبة الانفصال ١٠١

الفصل الرابع : قضية فلسطين

- ١- الحركة الصهيونية ١٠٧
- ٢- وعد بلفور ١٠٩
- ٣- الانتداب ونضال الشعب الفلسطيني ١١١
- ٤- ثورة ١٩٣٦ ١١٥

١٢٣	٥- قرار التقسيم ومقاومته
١٢٦	٦- الحرب العربية الاسرائيلية ١٩٤٨
١٢٩	٧- من آثار النكبة
١٤٣	٨ - نكسة حزيران ١٩٦٧ والمقاومة الفلسطينية
	الفصل الخامس : خصائص فنية عامة
١٥٣	خصائص فنية عامة
١٥٦	١- المضمون
١٥٩	٢- الشكل
١٦٤	تعليق
١٦٥	المصادر والمراجع

